أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في القيمة
عبد الرحمن محمود العقاد
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض

الجزء الأول — السنة الخامسة والثلاثون — المحرم سنة ١٣٨٣ هـ - يونية ١٩٦٣ م

أمة التوحيد تتوحد

بقلم : أحمد حسن الزيات

كان العرب في جاهليتهم قوى مبعثرة على رمال البوادي ومياه الأنهار يفنى بعضهم بعضا بالغزو والثأر حتى أراد الله الذي يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس أن يجعل منهم أمة وسطاً بين مادية اليهود وروحانية النصارى تصلح الدنيا بالدين، وتصل الأرض بالسماء، فألف قلوبهم على حبه، ووحد شعوبهم على رسالته، وأخرجهم من الجزيرة يحملون مشاعل الهدى وسيوف الحق ليقيموا الميزان ويحطموا الطغيان ويبنوا معالم الطريق إلى الغاية التي تنتهي إليها الجماعة وتتم عندها الوحدة.

ونفذت إرادة الله على ما سبق به علمه وجرى في حكمه فتوحد الشتات والتأم الشمل وبلغت وحدة العرب والمسلمين غايتها من الشمول والقوة في عهد الرشيد حتى قال يوما لغمامة مرت من فوقه : « امطري حيث شئت فإن خراجك لي ». وظلت هذه الوحدة شاملة قوية حتى خلافة المتوكل، ثم نجمت رءوس الشياطين من الأعاجم في الدولة تنشر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الشعوبية والزندقة والفرقة فانقطع الخيط وانفرط العقد واختلط اللسان وتفرقت الكلمة وانشعبت الخلافة الإسلامية ثلاث شعب : شعبة فى العراق ترفع العلم الأسود ، وشعبة فى مصر ترفع العلم الأخضر ، وشعبة فى الأندلس ترفع العلم الأبيض ، ثم جف الثرى بين الإخوة فتصارعوا على الحكم وتنازعوا على السلطان :

وتفرقوا شيعاً فكل مدينة
فيها أمير المؤمنين ومنبر

ثم دها العالم العربى الاستعمار الانجليزى والفرنسى مع الحروب الصليبية ففرق ليحكم ، وقسم ليستغل ، وفجر ليستعبد فنشأت العصبية الإقليمية لدرء خطره أو تخفيف ضرره ولكنه كان قد استشرى واستضرى وتوقح ، ففسد النظام واختل الميزان وذل الحق وأفلس المنطق وأصبح من فوق الطاقة ووراء الإمكان أن يناضل الهوى المتفرق الرأى الجميع ، وأن ينازل الحق الأعزل عدوان الباطل المسلح ، وكان لا بد للعرب أن يعالجوا ضعف الفرقة بقوة الجماعة ، وأن يتركوا بنيات الطريق إلى سواء الجادة .

وما كان للعالم العربى وهو يرى الخطوب تتواثب على جوانبه والنوازل تتفاقم فى أحشائه أن تظل كل دولة من دوله سادرة فى مشاعب هواها تتلهى بالنظر الغرير إلى حركات زعمائها وهم يتكالبون على عرض الدنيا ويتواثبون إلى كراسى الرياسة كأن السلامة والسلام أمران يجريان من حياتها مجرى الأمور الطبيعيـــة كالنوم واللذة والضحك فهى لا تشغل بهما البال ولا تدير عليهما الفكر . وكأن غريزة حب الحياة التى جعلت من ضعاف النمل أمما متحدة ومن بغاث الطير أسرابا متعاونة لم تكن من غرائز أهله ولا من نحائز حاكيه !

لذلك شعرت كل أمة من أمه فى وسط هذه الكوارث السود التى تتفجر عليها من الداخل والخارج بما تشعر به الشاة الشاردة عن القطيع وكبها الغرور أو الضلال ساعة من الزمن فنسيت أن قرنها الحاد لا يقوى على الناب الأعصل ، وأن عيشها مقيدة مع الراعى خير من عيشها حرة مع الذئب ، وأن أسهل على الطبيعة أن تعيد اتحاداً ألفه الله من صلة الدم ونسب الروح ووحدة المصير من أن تبدئ اتحاداً صنعه الشيطان من جون بول وحسين ، ومن العم سام وسعود ومن السيدة مريان[1] وعشاقها من هنا وهناك ، فإن هذا الاتحاد الذى ألفه الدينار والدولار والفرنك من

---

(١) جون بول لقب انجلترا ، والعم سام لقب أمريكا ، ومريان لقب فرنسا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

دول ثلاث ومن أفراد ثلاثة لا يدوم إلا ريثما تأنف الشعوب وتغضب. والأنفة والغضب شيمة الأبي الحر، والإباء والحرية أصلان في طبع العربي لا ينفكان عنه إلا بالقهر. والقهر وما يتبعه من الذل والفقر معناها الاستعمار. فمتى تحلحل كابوسه الفادح عن صدر الأمة العربية وجدت نفسها الضائعة وأدركت وجودها المتميز فنهضت تجمع أطرافها وتصل أجزاءها وتسأل عن صلة القربى الواشجة كيف قطعها الدخيل، وعن رقعة الوطن المتصلة كيف مزقها المستعمر، وعن هذه الأسماء المتعددة لهذه الأمة الواحدة كيف افتعلها الدخلاء والعملاء ليكون لكل اسم منها دخيل في يده أصابع قرد، ولكل دخيل فيها عميل في أصابعه مخلب قط ... وما هذه الثمرات المأكولة بالباطل إلا رزق ورزقك ورزقه من أبناء هذه الأمة الكادحة المحرومة اقتطعها الملوك بالصوالجة واغترفوها بالتيجان ليقدموها قرابين غير مقدسة إلى آلهة الخمر والقمر والفسق والرذيلة.

• • •

شعر بمخاطر الاستعمار ومخازيه ضباطنا الأحرار، وتبلورت فيهم ثورة الشعب، فدكدكوا حصونه عليه، وكبكبوا سماسرته صرعى من حواليه، وطهروا من أوزاره وآثاره مصر وسورية والعراق، وحطموا من بينها الأسوار والحدود، وكسروا من حولها الأغـــلال والقيود، فتلاقى الإخوة وجها لوجه، ولساناً لسان، ويداً ليد، وفي أيديهم أعلام العباسية، والفاطمية، والأموية، مصورة في علم واحد ذي ثلاثة ألوان وثلاثة نجوم يتذاكرون أماني الأخوة ويتناشدون أغاني الوحدة، ويتساقون كئوس المودة مترعة من كوثر النيل ورحيق بردى وسلاف دجلة.

ويمثلون الأقطار الثلاثة في اتحاد عام يتوحد فيه الاسم والرئيس والعلم والجيش والدســـتور والتعليم والاقتصاد والخطة والغاية، فلا يبقى وراء ذلك كله إلا شئون محلية يختص بها إقليم دون إقليم ويختلف فيها قطر عن قطر.

هـذه الأقطار الثلاثة هي أساس الوحدة الشاملة، وضمه الثوار على تقوى من الله ورضوان لتقوم فوقه الجمهورية العربية المتحدة بأقطارها الثانية عشر.

ولو علمت أن كل قطر من هـذه الأقطار الأساسية الثلاثة قد قامت فيه خلافة وتمكنت فيه دولة وازدهرت به حضارة، وأن الأقطار التسعة الباقية إنما كانت أقماراً توابع لها تدور في فلكها وتجري لمستقرها، وأن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الحوائل العارضة التي كانت تحول بين الفرع وأصله ، وتفصل بين الجزء وكله ، قد زالت أو كادت ، لعلمت يقيناً أن الوحدة في الوطن ستتم وإن بعدت في بعض أرضه الشقة ، وأن النجوم الإثنا عشر ستبزغ في العلم وإن تراكمت في بعض سمائها السحب .

* * *

إن الوحدة المحمدية كانت كلية عامة لأنها قامت على العقيدة ، ولكن العقيدة مهما تدم قد تضعف أو تحول . وإن الوحدة الصلاحية كانت جزئية خاصة لأنها قامت على السلطان ، والسلطان يعتريه الوهن فيزول . أما الوحدة الناصرية فباقية نامية لأنها تقوم على الاشتراكية في الرزق والحرية في الرأي والديمقراطية في الحكم . وهذه المقومات الثلاثة ضمان دائم للوحدة ألا تستأثر فتستغل ، وألا تستبد فتطغى ، وألا تحكم فتتحكم ، والأثرة والطاغية والطغيان والحسد كانت وما زالت علة العلل في فساد الزمان وهلاك الأمم .

* * *

بعد قرابة ألف سنة من تمزق الوحدة العربية بين الترك والفرس والمغول والكرد والجركس والأسبان والعثمانيين والفرنسيين والانجليز والطليان يعود التراث المحمدي إلى أهله ومعه ماضيع الجهل والفقر والانحلال من كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة فيسعى بعضه إلى بعضه ، وينضم قاصيه إلى دانيه ، ويشعر ثمانون مليونا من العرب يعيشون بين المحيط والخليج بأن لهم كيانا طبيعياً تميز بالجنس واللغة والدين والتاريخ والموطن والمجد والثقافة ، فمن حقهم أن ينزلوا في مكانهم من صدر الوجود ، وأن يشاركوا بإمكانهم في سياسة الدنيا ، وأن يقولوا للكتلتين الرأسمالية والشيوعية : إن الكتلة العربية هي وحدها التي تملك غرس الوئام في النفوس وإقرار السلام في العالم ؛ لأنها تقوم على الإيمان المحض ، وتنزل في خير مكان من الأرض ، وتهيمن على الموارد الأولى في الاقتصاد ، وتدين بالأديان السماوية المثلى للاجتماع ، وتشرق أعمالها في الصفحات العظمى من التاريخ ، فافسحوا لها في الطريق ، ومدوا إليها يد الصديق ، وأريحوا أنفسكم من الكيد لها والائتمار بها ، فقد جربتم معها كل سلاح ماعدا سلاح الحق فجربوه ولو مرة !

أحمد حسن الزيات

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى مطلع العام الهجرى

للإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت

هذا هو الفلك يدور دورته ، فيمضى عام ويقبل عام جديد آخر ، عام مضى لا ندرى ما الله فاعل به ، وعام أتى لا ندرى ما الله صانع فيه ، وبين هذا وذاك ينادى مناد يقول : يا ابن آدم أنا عام جديد وعلى عملك شهيد ، فتزود منى قبل أن أذهب ولا أعود .

« إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب . الذين يذكرون الله قياما وقعوداً وعلى جنوبهم ، ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ، ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » .

نحن - معشر المسلمين - إذا نظرنا إلى تاريخنا كأمة ، قرأنا كتابا أوله مشرق وحاضره مظلم : أوله أمة قوية فتية تكونت من لبنات صحراوية متفرقة جمع التوحيد بين قلوبها وربطت الأخوة الدينية بين عواطفها ، وجعلت قيمة الإنسان فى عمله وجهاده ، لا فى حسبه ونسبه : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » . « لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى » ، « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ، ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ، ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا » ، « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ، ما عليك من حسابهم من شىء ، وما من حسابك عليهم من شىء فتطردهم فتكون من الظالمين » .

ثم تركها الرسول الكريم ، والمصلح العظيم ، صلوات الله وسلامه عليه ، بعد أن حول جهالتها علما وحكمة ، وشتاتها قوة واجتماعا ، وشكها إيمانا واطمئنانا ، تركها بين الأمم قوية عزيزة ، لها فى شئون الحياة رأى ، وفى مجال الحياة أعمال وآثار تعرف للضعيف واجبه وللفقير حقه ، وتجعل ذلك نصب أعينها ، وتدعو إليه فى كثير من مواطنها : « وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » ، « وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » ، فسموا فى الحياة ، وسمت بهم الحياة ، وظلت على هذه المبادئ ترقى سلم المجد ، وتمضى قدما فى سبيل العز ما دامت حريصة على مبادئها ، قوية الإيمان بفكرتها ، فلما بدلت وغيرت ، وفرطت وضيعت وهانت على نفسها ، وهانت عليها مبادئها ، وأعادت

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

حوادث الدهر أذنا صماء وعيونا عشواء ، واشتغل أفرادها ورؤساؤها ورجال الفكر والرأى فيها بما لا يجدى من اللهو واللعب وألوان العبث بدل الله عليها ، وغير أحوالها ، فأخذت تتفكك وجعلت تنحدر حتى وصلت إلى موضع الأطماع ، وتطلعت إليها الذئاب والسباع ، وشغلت بنظرات الخوف والحذر « تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت » .

« وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون » « ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

« واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه » .

وصدق رسول الله صلى عليه وسلم إذ يقول : « توشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، فقالوا : أو من قلة نحن يومئذ ؟ قال : بل أنتم كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور أعدائكم المهابة منكم وليقذفن فى قلوبكم الوهن : قالوا : وما الوهن يارسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت » .

يجدر بنا أن ننظر فى مطلع كل عام هجرى إلى هذه الصفحات لنعلم أن السبب فى نجاح آبائنا ، وقوة أسلافنا ، يرجع إلى أن قلوبهم قد هاجرت من الرذيلة إلى الفضيلة ، ومن الباطل إلى الحق ، وأنهم آمنوا بفكرتهم ، وصدقوا فى دعوتهم وجاهدوا فى سبيلها لله وفى الله ، وأن هجرة أبدانهم من مكة إلى المدينة لم تكن فراراً من الاضطهاد أو ضعفا فى مقاومة الأهوال ، ولا التماسا لمال ، ولا طلبا لسلطان ، وإنما كانت تلبية لهذه الهجرة القلبية ، وعملا على إقرار الحق ، وإزهاق الباطل ، متمثلين أمامهم : « قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره ، والله لا يهدى القوم الفاسقين » .

ما أحوجنا معاشر المسلمين إلى أن تهجر قلوبنا ما هجرته قلوبهم وإن نطالع هذه الصفحات ، وأن نذكر هذه العبر ، ما أحوجنا إلى الإخلاص فى الدعوة والصدق فى الكلمة ، والصبر على المكاره لنشق طريق السابقين بعزائم قوية ، وهمم عالية وأخلاق كريمة ، وإصغاء لصوت الحق .

ما أحوجنا - وأخص أهل القيادة والفكر وأرباب القلم واللسان - إلى أن نكون كما كانوا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

العدد في اللغة العربية

للأستاذ عباس محمود العقاد

مسألة العدد أو مسألة التفرقة بين المفرد والمتعدد ، هي إحدى مسائل الدلالة العقلية التي تتميز بها اللغات في مقاييس النمو والتقدم ، للعلم بدرجتها في « التجريد » والحسية .

ولا تزال الأصول الحسية لفكرة العدد ملحوظة في جميع لغات الحضارة ، فوحدة العشرة هي عدد أصابع اليدين ، ووحدة العشرين هي جملة أصابع اليدين والقدمين ، ولا تزال كلمة « ثمانين » الفرنسية تدل على أربعة عشرينات ، وكلمة « تسعين » تدل على أربعة عشرينات تزيد عليها عشرة ، وكلمة (اسكور) Score بالانجليزية تقابل كلمة الحز أو الفاصل بين مقدارين ، لأنهم كانوا يضعون الحز بعد تمام العد بأصابع اليدين والقدمين ، ويقولون (ثلاثة حزوز) بمعنى ثلاثة عشرينات Threescores .

مثلا حية أمام الناس في السيرة والدعوة والأخلاق واتحاد الكلمة ، ألا إن هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله .

أما بعد . فتلك هي الذكريات الإسلامية الأولى ، نطالع فيها أسباب العزة والمجد ، ونتلقى عنها دروس الحياة القوية الناهضة ، ونعرف بها أن سنة الله في نهضة الأمم ، واستقرار سلطانها ، ترجع أولا وقبل كل شيء إلى الإيمان المالك القلوب ، وإلى الصبر الذي يذلل الصعاب ، وإلى الإخلاص الذي يربط الإنسان بربه ، وتهون به وسائل التضحية . بها نعرف أن أسلافنا ما عرفتهم العزة عفواً ولا هبطت عليهم منحاً ، وإنما وصلوا إليها بالجد والعمل والمثابرة ، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر .

فعلينا أن نفقه هذه الذكريات واحدة فواحدة ، وأن نتعرف فيها مواطن العظة والاعتبار ، ونتخذ منها مصابيح الهداية والإرشاد ، فتسمو حياتنا ، وتنظر إلينا أرواح الأولين وهي في عليين ، نظرة الفرح والابتهاج بمحافظتنا على مقدساتهم وسيرنا في سبيلهم بما آتاهم الله من فضله ، « ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يستبشرون بنعمة من الله وفضل ، وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين » .

« والعصر . إن الإنسان لفي خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر » .

محمود شلتوت
شيخ الأزهر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

العدد في اللغة العربية

للأستاذ عباس محمود العقاد

مسألة العدد أو مسألة التفرقة بين المفرد والمتعدد ، هي إحدى مسائل الدلالة العقلية التي تتميز بها اللغات في مقاييس النمو والتقدم ، للعلم بدرجتها في « التجريد » والحسية .

ولا تزال الأصول الحسية لفكرة العدد ملحوظة في جميع لغات الحضارة ، فوحدة العشرة هي عدد أصابع اليدين ، ووحدة العشرين هي جملة أصابع اليدين والقدمين ، ولا تزال كلمة « ثمانين » الفرنسية تدل على أربعة عشرينات ، وكلمة « تسعين » تدل على أربعة عشرينات تزيد عليها عشرة ، وكلمة (اسكور) Score بالانجليزية تقابل كلمة الحز أو الفاصل بين مقدارين ، لأنهم كانوا يضعون الحز بعد تمام العد بأصابع اليدين والقدمين ، ويقولون (ثلاثة حزوز) بمعنى ثلاثة عشرينات Threescores .

مثلا حية أمام الناس في السيرة والدعوة والأخلاق واتحاد الكلمة ، ألا إن هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله .

أما بعد . فتلك هي الذكريات الإسلامية الأولى ، نطالع فيها أسباب العزة والمجد ، ونتلقى عنها دروس الحياة القوية الناهضة ، ونعرف بها أن سنة الله في نهضة الأمم ، واستقرار سلطانها ، ترجع أولا وقبل كل شيء إلى الإيمان المالك القلوب ، وإلى الصبر الذي يذلل الصعاب ، وإلى الإخلاص الذي يربط الإنسان بربه ، وتهون به وسائل التضحية . بها نعرف أن أسلافنا ما عرفتهم العزة عفواً ولا هبطت عليهم منحاً ، وإنما وصلوا إليها بالجد والعمل والمثابرة ، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر .

فعلينا أن نفقه هذه الذكريات واحدة فواحدة ، وأن نتعرف فيها مواطن العظة والاعتبار ، ونتخذ منها مصابيح الهداية والإرشاد ، فتسمو حياتنا ، وتنظر إلينا أرواح الأولين وهي في عليين ، نظرة الفرح والابتهاج بمحافظتنا على مقدساتهم وسيرنا في سبيلهم بما آتاهم الله من فضله ، « ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يستبشرون بنعمة من الله وفضل ، وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين » .

« والعصر . إن الإنسان لفي خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر » .

محمود شلتوت
شيخ الأزهر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ومن المعلوم أن كلمة « رقم » Fingere اللاتينية ترادف كلمة إصبع ، ولا تزال كلمة الرسم أو الرقم Figure باللغات الأوربية مأخوذة من هذا الاشتقاق .

والمتفق عليه أن العالم المتحضر قد نقل عن العرب صور الأرقام فى المرحلة الكتابية بعد تلك المرحلة الشفوية التى تخلفت إلى اليوم فى اللغات الأوربية ، بين لاتينية وجرمانية .

فهم يسمون الأرقام فى اللغات الأوربية « بالصور العربية » وكلمة الصفر لا تزال محفوظة بلفظها فى جميع تلك اللغات ، مبتدئة من (سفر) إلى (زفر) إلى (زيرو) إلى (زيرو) كما تنطق اليوم بالانجليزية .

ولا نريد فى هذا المقال أن نطيل البحث فى أصل هذه الصور العددية ، فقد تكون هندية فى أصلها القديم كما هو الشائع بين مؤرخى العلوم الرياضية ، ولكن الأمر الذى لا خلاف عليه أنها تأصلت فى البلاد العربية وانتقلت منها إلى الأقطار الأوربية ، وأن أهم هذه الأرقام وهو « الصفر » محفوظ باسمه العربى وعلامته النقطة (.) هى العلامة التى تقابل النقطة الهندسية بتعريفها الرياضى الذى يجردها من الطول والعرض والامتداد حيث كان ، ولم تكن لهذا (الصفر) علامة هندية معروفة قبل القرن التاسع للميلاد ، وهو القرن الذى شاع فيه استعمالها فى كتب الرياضة العربية .

على أن الأرقام لا تعنينا هنا بمقدار عنايتنا بتراكيب الكلمات فى بنية اللغة التى سبقت اختراع الأرقام والأعداد ، بل سبقت علم الحساب فى أدواره الشفوية وأدواره الكتابية ، لأن تكوين الكلمات فى اللغة هو الدليل الأصيل على طبيعة التعبير عند القوم من نشأتها الأولى ، ثم يأتى تكوين القواعد النحوية والصرفية دليلا آخر على أصالة الإدراك العقلى فى طبيعة اللغة المتطورة ، لا فرق بينه فى هذا الغرض وبين الأدلة العضوية أو الحيوية ، ونعنى بها ما يعرف بالأدلة البيولوجية .

ولا توجد فى لغات العالم المتحضر لغة واحدة حفلت فيها مسألة التفرقة بين المفرد والمتعدد مثل محلها المكين المتأصل من بنية اللغة العربية .

أول علامات التمييز بين الإفراد والتعدد أن اللغة العربية تقسم المتعدد إلى قسمين ، فليس كل ما عدا الواحد جمعاً فى التعبيرات العربية ولكن المتعدد قد يتألف من واحد وواحد ، وقد يتألف من الكثرة التى هى زيادة على واحد ومعه واحد آخر .

نعم إن التثنية تلاحظ فى بعض اللغات الأوربية عرضا عند تصريف الفعل فى بعض الحالات على غير اطراد فى جميع الأفعال ولا فى جميع مواضع الإعراب .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولكن اللغة العربية ، وحدها ، بين اللغات الكبرى هى التى قام تركيبها الأصيل على قواعد مطردة للتمييز بين المثنى والجمع ، فى تصريف الأفعال وتصريف الضمائر وتصريف الصيغ التى تستخدم للتكلم أو للمخاطب أو للغائب ، فى جميع مواضع الإعراب .

وقد وضعت اللغة العربية معنى الجمع «عقلا» فى موضعه الصحيح الذى نخلص إليه بعد تحقيقه من الوجهة الفلسفية ، فكل ثلاثة فما فوقها فهو الجمع مميزاً من معنى الإفراد ومعنى الاثنينية .

ولو جاز أن نبدأ الحساب من المئات والألوف لاحتجنا إلى فاصل «عقلى» للتفرقة بين العشرين والسبعة والأربعة والخمسة ، فى معنى « الصفة الجمعية » .

وفى هذه الحالة يجوز السائل أن يسأل : لماذا تكون العشرون جمعاً ولا تكون الخمسة أو الأربعة أو الثلاثة ؟ . .

ولكننا نبدأ الحساب من الواحد وهو أول العدد ، فإذا جاوزنا الواحد لم يقم أمامنا غير واحد وواحد آخر ، ولم ننتقل من فكرة التوحد والتفرد إلا لنقول إنهما واحدان أو فردان أو اثنان .

ثم نصل إلى الثلاثة فنصل إلى معنى آخر غير معنى الواحد مفرداً أو معنى الواحدين مفردين ، وهذا هو معنى « الصفة الجمعية » بلا اختلاف بين الثلاثة أو الأربعة أو المائة أو الألوف المؤلفة ، وإنما تكون التفرقة هنا تفرقة بين جمع قليل وجمع كثير ، وليست تفرقة بين الفردية والاثنينية ولا بين الاثنينية وما زاد عليها .

ولم تهمل اللغة العربية أن تميز بين جمع القلة وجمع الكثرة فى صيغ كثير من الجموع كما هو معلوم ، بل وجدت فيها الصيغ التى تدل على القليل كما وجدت فيها الصيغ التى تدل على الكثير ، ولم تترك التمييز بينهما للوصف وحده ، كما يقال مثلا طائفة صغيرة وجمهور كبير ... وقد يكون ذكر كلمة الطائفة وكلمة الجمهور فى اللغة العربية مغنياً عن إتباعها بالوصف لما فى معظم هذه الكلمات العربية من الدلالة على القلة والكثرة بغير حاجة إلى الصفات .

* * *

ثم يأتى الجمع باختلاف الصيغ واختلاف المميزات بين الجموع وبين أنواع الكثرة التى لا ينحصر معناها فى مجرد التعدد بغير دلالة أخرى .

فهناك الجمع القياسى فى المذكر والمؤنث ، وهناك الجمع القياسى للعاقل وغير العاقل .

وهناك جمع التكسير على غير قاعدة واحدة تقاس فى جميع الكلمات ، ولكن قواعدها تحصر على كثرتها فلا تخلو من رابطة بينها أو رابطة بين الكلمة والشىء المعدود .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فالغالب فى أسماء الإفراد التى تعرف لها جموع تكسير أن جمعها غير القياسى يشتمل على نوع من التعريف لا يستفاد من جمعها على القياس .

فإذا قيل عاملون وزارعون وحاصدون وفارسون فهذا غير قولنا (عمال وزراع وحصدة وفرسان) لأننا نلمس فى جموع التكسير معنى الفئة ذات الصناعة الخاصة التى تنعزل من جملة الجموع بتلك الصناعة ، فليس معنى (عمال) مائة أو ألف أو ألوف عدة فى حالة العمل الذى يقوم به كل عامل ، ولكن الكلمة تفيد معنى التعريف لطائفة من الناس بين طوائف أخرى لها مثل هذا التعريف بين تكسيرات الجموع على الإطلاق .

ولم تترك اللغة العربية هذه التفرقة لجموع التكسير على اختلاف الصيغ واختلاف الدلالة على القلة والكثرة .

ومما نستدل به على اطراد هذه الدلالة أن صيغة مفعول لا تجمع على صيغة من صيغ جموع التكسير ، ولكنها تشذ أحياناً فيستفاد من اللفظ الشاذ معنى التخصيص ، أو التعريف ، لطائفة خاصة لها صفاتها المميزة لها بين جملة أفرادها ، وكذلك يستفاد من كلمة « ملاعين » غير ما يستفاد من كلمة « ملعونين » التى هى الجمع على القياس ، وينصرف الذهن عند سماع كلمة « ملاعين » إلى أناس تخصهم اللغة لأسبابها ، وليس قصارى الأمر فيهم أنهم ملعون ، وملعون ، وملعون ...

* * *

بل توجد غير جموع التكسير ألفاظ بصيغة المفرد مخصصة لهذا المعنى فى مواضعه ، ونعنى بتلك الألفاظ أسماء الجمع وتلحق بها أسماء الجنس الجمعى من بعض الوجوه .

فأسماء القوم والنساء والخيل والإبل هى أسماء للجموع لا تأتى لمجرد الدلالة على التعدد أو التفرقة بين الواحد والاثنين وما هو أكثر من الواحد والاثنين ، ولكنها تفيد التمييز بين الفرد والنوع كيفما كان عدده أو كيفما كانت كثرته بالنسبة إلى واحده ، ويلحق به اسم الجنس الجمعى الذى يدل اشتقاق المفرد منه على أنه قد وجد - أصلا - للجماعة ثم أخذ منه المفرد كما ينبغى عقلا بالنسبة إلى الجماعة التى ينسب إليها واحدها ، فكلمات الترك والروم والنمل والشجر لم تؤخذ من المفرد التركى أو الرومى أو من النملة والشجرة ، ولكن العكس هو الصحيح فى هذه الجموع وأمثالها كافة .

ويجب أن نقرر هنا فضل اللغة العربية فى الاستعداد للتفكير الفلسفى فى هذه القضية التى تقدمت جميع القضايا الفلسفية فى بحوث الخلاف العويص بين المفكرين من قبل أرسطو وأفلاطون إلى ما بعد مدرسة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الواقعيين والاسميين فى القرون الوسطى . إذ كان الخلاف بين الطرفين فى كل قضية من تلك القضايا المتلاحقة أيهما أسبق إلى العقل : إدراك الجنس والنوع أو إدراك الفرد والواحد ؟ !

فهذه تراكيب اللغة العربية تحسب الحساب لكل من هذين الغرضين ، فيوجد فيها اسم الجنس الذى يتبعه الفرد وتوجد فيها صيغة المفرد الذى يتكاثر بالعدد وصيغة المفرد الذى يتكاثر فى طائفة معينة وعلى وصف محدود .

ونعود فنقول فى هذا الصدد كما قلنا فى بحوث أخرى من قبل إن اللغات الكبرى لم تخل من دلالات على هذه الفوارق فى جملتها ، ولكنها دلالات مبعثرة لم تجتمع لها قواعدها المطردة فى أساس التركيب كما نرى فى قواعد اللغة العربية حيثما بحثناها فى باب العدد أو باب الصفة أو باب الظرف أو باب الجمل الفعلية والجمل الاسمية ، أو غير ذلك من أبواب القواعد النحوية والصرفية التى تناولنا البحث عنها أو نتناولها فيما يلى من الفصول .

* * *

ونحن نؤثر كلما استطعنا أن نفسر هذه المزايا فى لغتنا العربية بتفسيراتها العلمية أو الفكرية التى نستطيع أن ندركها بالقياس إلى الواقع وإلى الحقائق الواقعية أمام أعيننا من قبيلها .

فما هو التفسير العقلى لهذه المزية فى تعبيرات العدد باللغة العربية ؟

إننا نرجح أن تمييز العربى بين المثنى والجمع راجع إلى مزية أخرى فى اللغة سابقة لمزية الإفراد والتثنية وهى مزية التذكير والتأنيث التى تأصلت فى لغة العرب قديما من عهد اشتغالهم بالرعاية وتقسيمهم الأحياء إلى أزواج وإطلاقهم معنى الزوج على الاثنين تارة وعلى الفرد المتمم للجنس الآخر تارة أخرى .

هذا سبب راجح يضاف إليه سبب آخر ، وهو أن مسألة الكثرة والقلة على درجاتهما قد كانت هى مسألة الحياة والموت ، ومسألة القوة والضعف ، ومسألة الثروة والفاقة ، ومسألة الأصول والفروع . عند قوم يعتزون بالقبيلة ويعتزون بما تملك من أنعامها وبما تحسب من أصولها وفروعها ، فلا غرابة فى تخصيص كل عدد بالصيغة التى يتميز بها مما عداه .

وقد تكون لهذه المزية أسباب غير ما تقدم ترجع إلى المطابقة بين الكلمات والأصوات عند النطق بها لا يتسع هذا المقال لتفصيلها وتحقيقها ، ولكننا لا نحتاج إلى تحقيق الأسباب وبراهينها لكى نقرر الواقع من ثبوت تلك المزايا ، لأن بيان هذه المزايا لا يتوقف على تفصيل أسبابها ؟

عباس محمود العقاد

مناهج الإسلام
لتقوية روابط الأسرة
للأستاذ محمد محمد المدني

— ٤ —

حقوق الزوجية :

لكل من الزوجين حقوق على صاحبه :

١ — فالزوج عليه النفقة وكل ما يحتاج إليه بيت الزوجية :

ومن هدى النبوة فى ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« دينار أنفقته فى سبيل الله ، ودينار أنفقته فى رقبة ، أى فى عتق رقبة ـ وذلك هو تحرير العبد أو الأمة من الرق ـ ودينار تصدقت به على مسكين . ودينار أنفقته على أهلك ، ـ أى زوجتك ـ : أعظمها أجراً الذى أنفقته على أهلك » .

وعن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لرجل : ابدأ بنفسك فتصدق عليها ، فإن فضل شىء فلأهلك ، فإن فضل عن أهلك شىء فلذى قرابتك فإن فضل عن ذى قرابتك شىء ، فهكذا وهكذا » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تصدقوا . قال رجل : عندى دينار ، قال تصدق به على نفسك ، قال : عندى دينار آخر ، قال : تصدق به على زوجتك ، قال : عندى دينار آخر ، قال : تصدق به على ولدك ، قال : عندى دينار آخر ، قال : تصدق به على خادمك ، قال : عندى دينار آخر ، قال : أنت أبصر به » .

وهذه الأحاديث تدل على أن نفقة الزوجة مقدمة على نفقة جميع الأقارب .

وينبغى أن نفهم أن قوله صلى الله عليه وسلم فى هذا المقام : « تصدق به على زوجتك » ، لا يراد به تقرير أن هذا من قبيل الصدقة التى تعتبر عطاء للفقير المحتاج ، والزوجة ربما أنفقت منه إذا كان على هذا الوضع ؛ فإن النبى صلى الله عليه وسلم استعمل لفظ الصدقة فى هذا المقام حتى بالنسبة لمالك الدينار ، إذ يقول له عن الدينار الأول : تصدق به على نفسك . والمراد أن ينفقه على نفسه ، رضى النفس ، صادق النية ، واضعا إياه فى موضعه فيكون له به ثواب الصدقة .

وقد أجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم للزوجة أن تنفق من مال زوجها ولو بدون علمه على نفسها وأولادها بالمعروف .

وذلك فيما روى عن عائشة رضى الله عنها : أن هنداً قالت يارسول الله : إن أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطينى ما يكفينى وولدى إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فقال : خذى ما يكفيك وولدك بالمعروف .

٢ — وعلى الزوج أن يعاشر زوجته بالمعروف ، وألا يضخم ما عسى أن يجده فيها من نقص يمكن علاجه ، أو الغض عنه ، فإن من ينشد الكمال المطلق لن يجده ، وربما كان فى الزوجة بعض نواح حسنة تجبر ما عسى ألا يعجب الزوج منها .

وفى ذلك يقول الله عز وجل :

« وعاشروهن بالمعروف ، فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيراً كثيراً » .

ويقول النبى صلى الله عليه وسلم :

« لا يفرك مؤمن مؤمنة — أى لا يبغضها — إن كره منها خلقا رضى منها غيره » .

« أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا ، وخياركم خياركم لنسائهم » .

« خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلى » .

وهذان الحديثان الأخيران يدلان على أن مقياس رقى الرجل هو معاملته بالحسنى لزوجته ، وهذا المقياس النبوى هو الذى يتشدق بعض الناس بأنه مقياس المدنية الأوربية .

٣ — وبلغ الأمر فى رعاية حق الزوجة إلى أن يرشد النبى صلى الله عليه وسلم الرجال إلى عدم مفاجأة النساء بالدخول عليهن بعد القدوم من السفر وذلك لإعطائهن فرصة لإصلاح شأنهن ، والاستعداد لأزواجهن .

ومن ذلك :

ما روى عن أنس خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن النبى صلى الله عليه وسلم كان لا يطرق أهله ليلا ، وكان يأتيهم غدوة أو عشية .

وعن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرق أهله ليلا » .

وعنه أيضا قال : كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة ، فلما قدمنا ذهبنا لندخل فقال أمهلوا حتى ندخل ليلا أى عشاء لكى تمتشط الشعثة ، وتستحد المغيبة — وذلك كناية عن التنظف والتهيؤ للزوج .

وعنه أيضا قال : « نهى نبى الله صلى الله عليه وسلم أن يطرق الرجل أهله ليلا يتخونهم أو يطلب عثراتهم » .

قال الإمام الشوكانى فى نيل الأوطار : والحكمة فى النهى عن الطروق المفاجىء — أن المسافر ربما وجد أهله مع الطروق وعدم شعورهن بالقدوم على غير أهبة من التنظف والتزين المطلوب من المرأة ، فيكون ذلك سبب النفرة بينهما .

٤ — والزوجة عليها طاعة زوجها فى السر والعلانية لا فى المظهر فقط .

وفى ذلك يقول الله عز وجل : « فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله » .

والقنوت : هو الطاعة فى إخلاص وخشوع أى أن على الزوجة أن تطيع زوجها طاعة حقيقية صادقة ، وبعض النساء يخرجن على

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

هذه الطاعة ، فتفسد العلاقة بينهن وبين أزواجهن وبعض النساء يطعن أزواجهن فى الظاهر ، بينما يخرجن على هذه الطاعة فى السر حين يأمن علم الزوج واطلاعه ، وذلك من شأنه أن يهدد الحياة الزوجية ، ويبعث الشك فى نفس الرجل ، ولذلك يصف الله الزوجات الصالحات بأنهن مع الطاعة الصادقة المخلصة حافظات الغيب أى محافظات على غيب أزواجهن كما هن محافظات فى حضورهم ، وقوله : « بما حفظ الله » إما أن يكون المراد به أنهن محافظات على غيب الأزواج بما شرع الله من أحكام وآداب للزوجية يتبعنها وينفذنها فيكون حفظهن بحفظ الله . وإما أن يكون المراد به أن يعمل النساء على حفظ غيبة الأزواج متوسلات بحفظ الله ، طالبات توفيقه ومعونته ، فإن الأمر منه وإليه .

وأيا ما كان المعنى فإن المراد هو أن تبذل المرأة كل ما فى وسعها لتحقيق طاعتها الكاملة المخلصة لزوجها مع محافظتها التامة ، فإن ذلك هو الذى يدرأ عن الحياة الزوجية أكبر الخطر ، وإذا تحققت طاعة المرأة لزوجها ، وشعر الرجل بأنه « القوام » حقيقة على المرأة كان ذلك هو صمام الأمان الزوجى ، وإلا فإنه يثور ظاهرا أو باطنا ولا يستريح إلى وضعه الزوجى ، فيعاند ويصادم ومن لم يقصد وربما كانت ثورته الباطنية التى لا تظهر أو المكبوتة - كما نعبر الآن - أشد خطرا على الحياة الزوجية من الثورة الظاهرة المعربدة وفى كل خطر شديد لو يعلم الناس .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة » .

« إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجىء فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح » .

« لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد ، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » .

« لا تصوم امرأة ، وزوجها شاهد ، يوما من غير رمضان إلا بإذنه »

« لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم غيركم ، وألا يدخلن أحدا تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم ، ولا يأتين بفاحشة » .

وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه ، وهو من الصحابة الذين دخلوا مصر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« إياكم والدخول على النساء » ، فقال رجل من الأنصار : أفرأيت الحم ؟ قال : « الحم الموت » . . قال العلماء الحم هو أخو الزوج وما فى معناه من أقارب الزوج ابن العم ونحوه كأخيه وابن أخيه وأقارب الزوجة يسمون الأختان وهم فى معنى الحم .

وقال ابن الأثير : « الحم الموت » هذه كلمة تقولها العرب ، كما تقول : « الأسد الموت » و « السلطان النار » ، أى لقاؤهما

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مثل الموت والنار يعني أن خلوة الحم أشد من خلوة غيره من الغرباء ؛ لأنه ربما حسن لها أشياء وحملها على أمور تثقل على الزوج من التماس ما ليس في وسعه . أو سوء عشرة أو غير ذلك ، ولأن الزوج لا يؤثر أن يطلع الحم على باطن حاله بدخوله بيته .

٥ — ولا يجوز للزوجة أن تسأل زوجها الطلاق بدون سبب ، ومع كون الإسلام يبيح « الخلع » وهو الطلاق في مقابل مال تدفعه المرأة لزوجها ، فإنه ينظر إلى هذا الخلع نظرة كراهية .

فالقرآن الكريم يقول : « ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله ، فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به » .

يعني إن مال « الخلع » هو في الأصل مما لا يحل للزوج ؛ لأنه يأخذ مما أعطاها من المهر شيئا ، أو يأخذه كله ، والله تعالى يقول : « وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا . وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض ، وأخذن منكم ميثاقا غليظا » .

لكن أبيح ذلك فيما إذا وصل الأمر بالزوجين إلى حال من القلق لزوجي لا يمكن معها إقامة حدود الله في الزوجية بأن يظلم الزوج زوجته ، أو تخرج هي على طاعته ، ففي هذه الحال يحل للمرأة أن تختلع ويحل للرجل أن يأخذ مال الخلع .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أيما امرأة سألت زوجها طلاقها من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة » .

« إن المختلعات هن المنافقات ، وما من امرأة تسأل زوجها الطلاق من غير بأس فتجد ريح الجنة — أو قال — رائحة الجنة » .

٦ — ومن حقوق الزوج التي جعلها الإسلام له بحكم العقد ملك العصمة ، فمن حقه أن يبقى على عقد الزوجية ، ومن حقه أن يفضه ، ولم يجعل الشارع هذا الحق للزوجة أصالة ولكنه أباح أن يملكها الزوج أمر نفسها ، إما عند العقد . وإما بعده فلها حينئذ أن تفصم عقدة الزواج ، ويكون هذا في الحقيقة فصما من الزوج لأنه هو الذي أعطاها هذا الحق ، وبإرادته ثبت لها .

وإنهاء الزوجية على هذا النحو هو المعروف بالطلاق ، ومع كون الطلاق من حق الرجل أصالة ، فإن الإسلام لم يتركه دون أن يضع له من الأحكام ما يتمشى مع روح المحافظة على رابطة الزوجية وما يحول بين الزوج وبين اتخاذه وسيلة للظلم وإساءة استعماله بوجه من وجوه التعسف .

ولكي نعرف شريعة الإسلام في أمر الطلاق ، وتتابع خطواته التي تدل على ما ذكرناه ، نؤجل الكلام عنه إلى العدد المقبل إن شاء الله تعالى .

محمد محمد المدني
عميد كلية الشريعة

نفحات القرآن

العبث بالتاريخ الصحيح ضلالة في الدين

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

(ا) « إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا ،
(ب) « يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله » .
(ج) « فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم . والله لا يهدي القوم الكافرين »

تمهيد :

حدثناك في المقال السابق عن عناية القرآن باعتماد التاريخ في تقويم الحياة ، وما للأخذ بالتاريخ من أهمية في شأن الفرد والجماعة ، بل في جانب الدنيا بوجه عام .

وكان اعتمادنا في الحديث على آيات ، وسنة .

فمن الآيات قوله تعالى : « وجعلنا الليل ، والنهار آيتين ، فمحونا آية الليل ، وجعلنا آية النهار مبصرة ، لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب » - « يسألونك عن الأهلة . قل هي مواقيت للناس والحج » - هو الذي جعل الشمس ضياء ، والقمر نوراً ، وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب » ، كذلك ما ورد عن الرسول في احتساب الأشهر القمرية ، واستيفاء عددها باثني عشر شهراً كما قرر القرآن ، وكما كان جاريا في الشرائع الأولى .

وكما كان تقديره الأشهر القمرية مناط المعرفة لموعد الصوم ، والحج ، وموعد الزكاة ، وأمد المعاهدات بين المسلمين وسواهم ، إلخ . . .

وما كانت شئون الحياة لتأخذ وضعها الصحيح لولا تنسيق الأمور في نطاقها التاريخي كما أسلفنا .

ومن هذا كله يكون الأخذ بالتاريخ سنة حتمية مشروعة من جانب الله ورسوله ، ولا يعتبر وصفا تقليديا ، ولا أمراً اعتباطيا ويكون العبث بالتاريخ إفساداً لنظام مفروض ، وتعرضا لأضرار جسام والله

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ينهى عن الفساد ، وعن التعرض للأضرار وإن هان شأنها .

١ ـ ومع ما وضح لنا فى سياق الحديث السابق من توجيهات نحو اعتماد التاريخ فى تقييد أمورنا ، وتقدير أعمالنا : فإن الله تعالى يزيدنا بيانا فى ذلك بما ينكره على الكافرين قديما إذ كانوا يقدمون ، ويؤخرون بين الشهور ، ويبدلون فى أسمائها ، ويتوصلون بهذا النسىء إلى استحلال الحرب فى الأشهر الحرم ، وتحريمها فى أشهر أخرى بدلا منها ، ثم يعكسون هذا فى عام آخر .

ولم يكن هذا النسىء والتلاعب به مرة ، أو مرات ، معدودات بل ظل عشرات من السنين ، حتى استوعب جميع أشهر العام مرة ، أو مرات وبسببه كان موعد الحج يخرج بتقديمه أو تأخيره عن ميقاته الزمنى فى ذى الحجة ، فلم يكن حجهم صحيحاً على دين إبراهيم كما زعموا حتى صادف وقوع الحج فى شهره مرتين متعاقبتين ـ على ما قيل ـ .

وإحداهما حجة الوداع التى كان الرسول فيها على رأس الحجيج . وكان الحج صحيحاً على الأصل المشروع من عهد إبراهيم عليه السلام .

وهذا ما قرره النبى صلى الله عليه وسلم ـ فى خطبته الأخيرة التى ظلت منهجاً إسلامياً بعد وبما قال فيها ـ صلوات الله عليه ـ « ... إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ... » .

يريد : أن الزمان عاد إلى ترتيبه بعد دوراته المخالفة ...

ثم لا نسىء بعد ، ولا جاهلية ، ولا عبث بالأحكام ، ولا مزيد فى عدد الأشهر .

فإن ذلك كله زيادة فى الكفر ، ويفتتن به الذين كفروا ، فيسلكون به مسلك التحليل فى عام والتحريم فى عام ، ويحتالون فى تحريم أربعة أشهر من السنة حسب اختيارهم ، ويخالون أنهم اتبعوا ما عرف لهم من دين إبراهيم فى تمام العدد ، ويعجبهم لأنفسهم هذا التمويه . وإن علموا أنه ضيعهم ، وأنه مخالف ، وباطل ، وافتراء على الله ، وعلى دين إبراهيم ! .

٢ ـ وإذا كان القرآن يعيب على الكافرين هذا التغيير ، فهو يستحثنا إيجابا على اعتماد التاريخ . ويشتد فى إنكاره سلبا للعبث منا بالتاريخ .

فليس ذلك حكاية مجردة عن الأهداف ، ولا خصوص حديث قاصر على شأن الكفار ، وإنما هو قصص يساق للتوجيه إلى العمل أكثر مما يساق للحكاية والتشفيع .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وإذا كنا ضربنا بعض الأمثال بما نحتاج فيه إلى ضبط التاريخ والاعتماد عليه فى معرفة المواقيت للعبادة ، وحلول الدين فى موعده ، وخروج المعتدات من عدتهن ، وتحمل المسئوليات الدينية ، والمدنية ، والجنائية لمن بلغ رشده فى السن عاقلا ، والتحلل من المعاهدات المؤقتة بزمن محدود بين المتعاهدين

فإن هناك أمورا سلبية فى مقابلة هذه الإيجابيات وتكون لها أضرار خطيرة تهب علينا من إهمال التاريخ ، أو من العبث به تقديما أو تأخيرا .

وذكر النسىء - وهو التأجيل - لا يخرج التقديم فى التاريخ عن الحرمة . فإن كل تأخير فى التاريخ يلزمه تقديم لما كان متأخرا عنه ، أو يلزمه إثبات الاستحقاق لغير ما يستحق .

فالدائن - مثلا - يعبث بوثيقة الدين ، ويقدم تاريخها ، ليتعجل دينه قبل موعده .

والمدين يعبث فى الوثيقة التى تكون بيده ليسقط الحق ، أو يبعد أجله إن استطاع .

والأب قد يؤجل قيد مولوده لغاية ما ، فيكون هناك زمن مختلس من عمر الصبى ، وذلك قد يكسبه حقوقا ليست له فى الواقع .

والزوجة ترجىء تاريخ فرقتها للزوج ، وترجىء نهاية العدة ، ليتسع لها زمن النفقة عليه ، أو تكسب حقا فى ميراثه ببقاء السعدة المصطنعة ، أو تلحق به ولدا جاءت به بعد العدة الواقعية .

وقد تعمد الزوجة أو الزوج إلى الاحتيال فى تقديم العدة ليتخلص أحدهما أو كلاهما من قيود العدة الصحيحة .

٣ - والتدليس فى التاريخ أنواع شتى ، وصور لا تحصى .

وساحات القضاء حافلة بالمشاكل من هذا القبيل ، وفيها ألوان شيطانية ، يرتكبها المحتالون فى حذق ، ويعانى فيها القضاة جهودا مضنية .

وآثار ذلك كله غير هينة فى اضطراب الحياة ، وفساد العلائق ، وزعزعة الثقة .

حتى لترى بعض الناس ينكشون فى المعاملة ، ويقبضون أيديهم عن تبادل المنافع : خوفا من التعرض للجاحد ، وبعدا عن مظان الخلافات ، ومسالك الضلال . وهذا ضرر عام .

وقد أحاط القرآن بكل ما يدرأ هذا فى كثير من مقاماته .. نحو قول الله تعالى : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، وتدلوا بها إلى الحكام ، لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم ، وأنتم تعلمون » .

وواضح أن التلاعب فى التاريخ وخاصة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تاريخ الوثائق : من أخطر الوسائل إلى أكل الأموال بالباطل .

وقد حرم الله ذلك الأكل ، وحرم كل وسيلة تؤدى إليه .

٤ ـ ومن الإلمام بما ذكره القرآن عن النسىء ، وما يتصل به عن عبث فى التاريخ : تقديما ، أو تأخيرا يتبين لذى الوعى أن من حق التاريخ علينا ألا نشوبه بتدليس ، وألا نتخذ عنه وسيلة إلى الإخلال بالأوضاع الصحيحة.

وحسبنا أن الله أخذ على الكافرين كفرهم واشتد فى إنكار ضلالهم بتحويلهم الحرام إلى حلال وحرمهم الله من هدايته الموصلة إلى رضاه فقال : « والله لا يهدى القوم الكافرين » .

وكل حرام يعاب على الكافرين فهو معيب على المؤمنين . وليست هناك محاباة فى تشريع الله لعباده فإن الله حق ، ولا يرضى من عباده غير الحق ، وليس بعد الحق إلا الضلال ، « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » ، « ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين » .

٥ ـ وإذا تحدث القرآن أولا ـ عن الإشادة بالتاريخ فى قوام الحياة .

وتحدث ثانيا ـ عن خطر التلاعب بالتاريخ فى الجانب الدينى ، والدنيوى ، واعتبر النسىء ، وما هو من قبيله عملا كفريا ، وضلالا يباعد العبد عن هداية ربه ومناجزته .

فقد انتقل بنا من هذه الآيات إلى آيات فيها عتاب على المؤمنين فى شأن التخلف ، أو التباطؤ عن النهوض إلى القتال حين دعوتهم إلى النفرة لقتال العدو .

« يا أيها الذين آمنوا ما لكم ، إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض » ؟ ؟

وهل هناك مناسبة بين الحديث عن النسىء الذى ارتكبه الكافرون ، وبين العتاب على المؤمنين فى تباطئهم عن القيام سراعا إلى جهاد العدو ؟ .

إن المناسبة فى سياق الآيات ليست حتمية دائما ، فقد يكون لكل آية مقام خاص بها وغرض لا يرتبط بالأخرى فى موضوعها بالذات : فلكل مقام مقال ، كما يقول البلغاء .

على أن المناسبة هنا يسيرة المدرك بين الحديث عن النسىء ، وبين العتاب على المؤمنين فإن السياق كله تهذيب . وتربية للمسلمين .

ومجال التربية يتسع لسوق الحديث فى ألوانه العديدة .

وفى ذكر النسىء تطهير للمسلمين من لوثة الكفر التى كانت لأصحاب النسىء ، وترفع بهم عن الوقوع فيه ...

وكذلك فى العتاب على المؤمنين لتخلفهم ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أو تباطئهم عن الجهاد حفزاً لعزائمهم ، وبعداً بهم عن مظهر التخاذل ، وكراهة الجهاد كما يفعل المنافقون .

وفى كلا التوجيهين دفع بالمسلمين إلى التخلص من النقائص الدينية والخلقية ، وترغيب لله فى محاولة الكمال اللائق بهم وهم تحت لواء الإسلام .

فليس لغيره من أعداء الإسلام أن يقول : إن الآيات ليست متماسكة فى سياقها .

فانها آيات مفصلات فى أغراض مقصودة ومتعددة ويزيدها روعة أن تكون كذلك .

فضلا عما بينها من تناسب فى الغرض العام - وهو التربية الإسلامية .

وموضوع العتب على المؤمنين : أنهم فى العام التاسع للهجرة قاموا بغزوة فى الطائف ، وفى حنين ، ثم فوجئوا بنبأ عن قدوم جيش الروم لمحاربتهم فى تبوك — مكان معروف بين المدينة ودمشق .

وكان الحر شديدا حين دعاهم الرسول إلى النفور للقاء العدو المحتشد إليه .

وكانت ثمار البساتين على وشك النضوج ، وهم فى ذلك الأوان معسرون من المال ، والأرباح فكان من البعض تباطؤ فى الاستجابة وظهر فيهم ضعاف ، ومنافقون لا ينشطون إلى مثل هذا ...

ومع هذا خرج إلى الجهاد من خرج ، وظهر من المنافقين من لم يكن معروفا بوضوح وأراد الله ألا يكون قتال ، حيث ظهر كذب الأخبار عن احتشاد الأعداء ، فكفى الله المؤمنين القتال .

وكان تكليف الناس بالنفرة لمجرد الاختبار وإظهار المنافقين ، وتعليم المؤمنين ألا يتخلفوا عن الدعوة إذا اقتضاهم الأمر .

وليس ذلك خاصا بعهد الرسول بل هو درس تربوى يعتبر منهجا خالدا فى الحياة الإسلامية بعد .

فما يتخلف عن الجهاد حين الدعوة إليه غير منافق يجنح إلى القعود والراحة ، ويرضى بالدنيا عن الآخرة وهيهات أن تطيب له الدنيا كما يزعم ، ومهما كانت فمتاعها قليل وزائل .

والمؤمن الحق لا يخذل دينه ، ولا يفتن فيه بعمل المنافقين .

وعلى هذه الشاكلة الكريمة تكون حياة المسلمين الصرحاء .

عبد اللطيف السبكى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المحرم والسنة العربية وعاشوراء

للأستاذ الدكتور على عبد الواحد وافى

المحرم هو اسم للشهر الأول من شهور السنة العربية القمرية . ومن المتفق عليه أنه كان لشهور هذه السنة فى أقدم عهود الجاهلية أسماء أخرى غير الأسماء المعروفة الآن ، وإن اختلف الرواة فى تحديد تلك الأسماء . وأشهر ما ورد فى هذا الصدد أنه كان يطلق على المحرم اسم « المؤتمر » لأن العرب كانوا يعقدون فيه المؤتمرات للفصل فى أقضيتهم ، فيستفتحون السنة بتصفية خلافاتهم فى العام السابق ورسم ما ينبغى أن تسير عليه علاقاتهم فى العام الجديد ؛ وعلى صفر اسم « الناجر » من النجر أى شدة الحر ؛ وعلى ربيع الأول اسم « الخوان » كشداد من الخيانة ، وعلى ربيع الثانى اسم « الصوان » من الصيانة ، وعلى جمادى الأولى اسم « الزباء » وهى الداهية الكبيرة ؛ وعلى جمادى الآخرة اسم « البائد » لكثرة القتل والقتال فيه ، فقد كانوا يحرصون فى هذا الشهر على فض خصوماتهم بحد السيف والانتهاء من حروبهم قبل أن يجىء شهر رجب الذى كان من الأشهر الحرم التى لا يجوز القتال فيها (وذكر صاحب القاموس المحيط أنه كان يطلق على هذا الشهر اسم « رنة » ولعله من رنين الأسلحة) ؛ وعلى رجب اسم « الأصم » لأنهم كانوا يكفون فيه عن القتال فلا يسمع فيه صليل السيوف (وقد بقيت صفته هذه بعد الإسلام ، فكان يطلق عليه « رجب الأصم ») ؛ وعلى شعبان اسم « الواغل » لهجومه على رمضان (والواغل فى الأصل هو الداخل على القوم فى شرابهم من غير أن يدعى إليه ، كالوارش فى الطعام) وعلى رمضان اسم « الباطل » وهو وعاء يكال به الخمر (وذكر صاحب القاموس المحيط فى مادة « رمض » أن رمضان كان يسمى « الناتق » من نتقه إذا زعزعه ونفضه) ؛ وعلى شوال اسم « العاذل » من العذل وهو الملامة ؛ لأنه أول أشهر الحج ، فكأنه يلومهم على ما يزاولونه من غير أعمال هـذه الشعيرة ، ويثنيهم عن كل شىء ماعدا مناسكها . أو لعله سمى بذلك لشدة حره ، فقد كانوا يصفون الأيام الشديدة الحر بأنها « معتذلات » و « عذل » بضمتين . وتردد صاحب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

القاموس فى اسم العاذل فذكر أنه اسم شعبان فى الجاهلية أو شوال) ؛ وعلى ذى القعدة اسم « رنة » لأن الأنعام كانت ترن فيه أى تصوت لقرب النحر (وذكر صاحب القاموس المحيط أن ذا القعدة كان يسمى « ورنة » بالواو) ؛ وعلى ذى الحجة اسم « ترك » لأنهم كانوا يتركون الإبل فيه . وتتفق هذه الأسماء مع ما نقله الخطيب خير الدين المدنى فى تذكرته .

وقد أورد محمود باشا الفلكى فى رسالته التى ألفها بالفرنسية وترجمها إلى العربية أحمد بك زكى بعنوان : « نتائج الأفهام فى تقويم العرب قبل الإسلام » أسماء أخرى للشهور فى الجاهلية ، وهى على التوالى ، ابتداء من المحرم : ناتق ، ثقيل ، طليق ، ناجر ، أسلج أو أسلخ أو سماح أو سماخ ، أمنح ، أحلك ، كسع ، زاهر ، برط أو مرط ، حرف أو نعيس ، نعس أو مريس .

أما أسماؤها المستعملة الآن فالمشهور أنها وضعت فى عهد كلاب بن مرة أحد أجداد الرسول عليه الصلاة والسلام . وكان ذلك قبل الإسلام بنحو قرنين ، وقد اختلف فى تعليل تسميتها بهذه الأسماء . وأشهر ما ورد فى هذا الصدد أن العرب سموا الشهر الأول « المحرم » لحرمة القتال فيه فقد كان أحد الأشهر الأربعة الحرم « ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب » ؛ والثانى « صفر » لما كان يعتريهم فيه من مرض تصفر به ألوانهم ؛ والثالث والرابع « ربيع الأول » و « ربيع الثانى » لأنهما كانا يأتيان فى الخريف ، وكانت العرب تسمى الخريف ربيعا ؛ والخامس والسادس « جمادى الأولى » و « جمادى الآخرة » لجيئهما فى أيام الشتاء إذ يجمد الماء ويتساقط الجليد ؛ والسابع « رجب » من الرجب وهو الكف لأنهم كانوا يكفون فيه عن القتال ، فهو أحد الأشهر الأربعة الحرم ، أو من الرجب وهو التعظيم لأنهم كانوا يعظمونه فلا يحاربون فيه ؛ والثامن « شعبان » لانشعاب القبائل فيه إلى طلب الماء والكلأ وإغارة بعضهم على بعض ، والتاسع « رمضان » من الرمض وهو شدة الحر لمجيئه فى صنفوان الصيف ؛ والعاشر « شوال » من شال القوم إذا ارتحلوا وتفرقوا وخلت منازلهم منهم ؛ لأنهم كانوا يرتحلون فيه ويتفرقون فى طلب الكلأ والماء ، أو من شالت النوق بأذنابها إذا رفعتها لشهوة الضراب ، لأن هذا الشهر كان موسم لقاحها ، ولذلك كانت العرب لا تجيز الزواج فيه حتى لا يتشبهوا بالأنعام ؛ والحادى عشر « ذا القعدة » لقعودهم فيه عن القتال ؛ لأنه كان من الأشهر الأربعة الحرم ؛ والثانى عشر « ذا الحجة » لإقامتهم الحج فيه .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ومع أن السنه العربية سنة قمرية تتحدد شهورها بدورة القمر حول الأرض ولاعلاقة لأشهرها بالفصول لأن الفصول إنما تتحدد بدورة الأرض حول الشمس (فقد يأتى الشهر العربى فى سنة ما فى الصيف ثم يأتى بعد بضع سنين فى الخريف ثم فى الشتاء ثم فى الربيع) مع ذلك فإن بعض الشهور العربية قد سميت بأسماء تشير إلى أحوال جوية خاصة أو إلى أمور تقع فى فصول معينة ، وهى شهور صفر وربيع الأول وربيع الثانى وجمادى الأولى وجمادى الآخرة ورمضان وشوال ، وقد علل ذلك محمود باشا الفلكى فى رسالته السابق ذكرها « بأن العرب أطلقت على الأشهر أسماء تناسب الحوادث الجوية أو غيرها التى كانت جارية فى وقت التسمية فقط ، ولم يرسلوا أنظارهم إلى ما وراء ذلك ؛ لجهلهم أنه بعد مضى سبع عشرة سنة تنتقل شهور الصيف فى الشتاء وبالعكس » ـ وإلى هذا المعنى يشير الفيروز أبادى فى « القاموس المحيط » إذ يقول فى مادة « رمضان » إنه « سمى به هذا الشهر لأنهم لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالأزمنة التى وقعت منها ، فوافق ناتق (وناتق هو الاسم القديم لرمضان على ما يذهب إليه الفيروز أبادى كما تقدم) زمن الحر » . ـ أو لعل تقويمهم كان فى قديم عهودهم تقويما شمسيا ثم تحولوا عنه فيما بعد إلى التقويم القمرى ، مع احتفاظهم بالأسماء القديمة الدالة على الفصول والأحوال الجويه ، وهى أسماء لا تستقيم مدلولاتها ولا تطرد إلا مع التوقيت الشمسى . ويذهب بعض الباحثين إلى أنه كان لديهم تقويمان تقويم شمسى وتقويم قمرى ، وأنهم سموا شهور السنة القمرية بالأسماء نفسها التى كانوا يطلقونها على شهور السنة الشمسية حتى لا تختلف أسماء الشهور فى التقويمين ، وإن كانت المدلولات لا تصدق إلا فى شهور السنة الشمسية ، ثم اقتصروا فيما بعد على التقويم القمرى .

* * *

ويظهر أنه كان لشهر المحرم مكانة خاصة كبيرة فى نفوس العرب بدليل أنه اختص من بين الشهور الأربعة الحرم بالاسم الذى يدل صراحة على حرمته وقد احتفظ له الإسلام بهذه المكانة ، فسماه الرسول عليه الصلاة والسلام « شهر الله » ولم يندب عليه السلام إلى صيام شهر كامل على سبيل التطوع غير شهر المحرم ، وجعله أفضل صيام بعد رمضان فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى الصيام أفضل بعد رمضان ؟ فقال « شهر الله الذى تدعونه المحرم » ، (رواه أحمد ومسلم وأبو داود) .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

هذا ، ويسمى اليوم العاشر من شهر المحرم « عاشـــوراء » وقد يسمى التاسع كذلك « تاسوعاء » . والراجح أن هـــذه وتلك تسميتان عربيتان قديمتان وليستا منقولتين من لغة أخرى . وقد روى عن الرسول عليه الصلاة والصلاة والسلام بعض أحاديث ندب فيها إلى صيام يوم عاشـــوراء ويوم تاسوعاء واليوم الحادى عشر من المحرم . واستخلص ابن قيم الجوزية من الأحاديث الواردة فى هذا الصدد أن أكمل الحالات أن يصام يوم عاشوراء ويوم قبله ويوم بعده ؛ ويليها أن يصام تاسوعاء وعاشوراء فقط ؛ ويلى ذلك إفراد عاشوراء بالصوم . ويروى أن الرسول عليه الصلاة والسلام لما قدم المدينة رأى طوائف اليهود فيها تصـــوم عاشوراء ، فسألهم عن ذلك فقالوا إننا نصومه تخليدا لذكرى اليوم الذى نجى الله فيه موسى وبنى إسرائيل من فرعون وكيده ويسر لهم الهجرة من مصر . فقال عليه السلام : « نحن أولى بموسى منكم ، وإنى لأحتسب على الله أن يكفر بصيام هـــذا اليوم ذنوب العام السابق له » . فصامه وحبب المسلمين فى صيامه ويقال إن النبى عليه السلام قد حرص على مخالفة اليهود فندب إلى صوم التاسع مع العاشر فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما صام رسول الله عليه وسلم يوم عاشوراء وأمر بصومه ، قالوا يا رسول الله يوم تعظمه اليهود والنصارى ، فقال : « إذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع » فلم يأت العام المقبل حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم (رواه مسلم وأبو داد) .

ولا أكاد أطمئن إلى هذه الروايات التى تربط بين صيام عاشوراء عند المسلمين وصيام اليهود . ويبدو لى ضعفها من عدة وجوه أهمها ما يلى :

١ ـ أن ما يسمونه عاشوراء اليهود هو اليوم العاشر من الشهر السابع العبرى (تشرين) الذى كان يسمى عندهم كذلك يوم « كبور » أى يوم الكفارة ، وقد جاء أمر اليهود بصيام هذا اليوم وعدم مزاولة الأعمال فيه فى عدة فقرات من أسفار العهد القديم (انظر من ذلك : سفر اللاويين ، إصحاح ١٦ ، فقرة ٢٩ وتوابعها ، وإصحاح ٢٣ فقرة ٢٧ وتوابعها ، وسفر العدد إصحاح ٢٩ فقرة ٧) ولكن هذا اليوم لا يوافق العاشر من شهر المحرم فى أية سنة من السنين التى قضاها الرسول عليه الصلاة والسلام فى المدينة وذلك أن الرسول عليه السلام قد دخل المدينة على أرجح الأقوال يوم الاثنين ١٦ من ربيع الأول الموافق ٢٠ من سبتمبر سنة ٦٢٢ ميلادية ، وكان هذا اليوم يوافق اليوم العاشر من شهر تشرين العبرى وهو يوم عاشوراء.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عند اليهود (حسب ماحققه محمود باشا الفلكى وغيره) . فلا يمكن إذن أن يكون العاشر من شهر تشرين العبرى قد جاء فى العاشر من شهر المحرم العربى فى أية سنة من السنين العشر التى أقامها الرسول عليه الصلاة والسلام فى المدينة ، سواء اعتبرنا السنة العبرية سنة قمرية أم اعتبرناها سنة شمسية .

٢ — أن اليهود لا يصومون هذا اليوم تخليداً لذكرى اليوم الذى نجى الله فيه موسى وبنى إسرائيل من فرعون وكيده ويسر لهم الهجرة من مصر كما تذكر الروايات التى نناقشها ، وإنما يصومونه للاستغفار وطلب العفو عن الخطايا كما تصرح بذلك نصوص العهد القديم التى أشرنا إليها فى الفقرة السابقة بل إن اسم هذا اليوم عندهم ليدل على ذلك ، فهو يسمى عندهم « يوم كبور » أى يوم الكفارة .

هذا . وقد روى عن عائشة ما يفيد أن صيام عاشوراء يرجع إلى أصل عربى جاهلى لا إلى أصل يهودى . فقد قالت : « كان يوم عاشوراء يوما تصومه قريش فى الجاهلية . . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه . فلما قدم المدينة صامه وأمر الناس بصيامه . فلما فرض رمضان قال من شاء صامه ومن شاء تركه » ، (حديث متفق عليه من الجماعة)

وأنا أميل إلى ترجيح هذه الرواية على الرواية السابقة التى ظهر لنا ضعفها ، والتى تربط بين صيام يوم عاشوراء عند المسلمين ، وصيام « يوم كبور » عند اليهود .

وتحافظ بعض فرق المسلمين على أنواع من الصيام ترتبط مواقيتها بأحداث اجتماعية ذات بال فى تاريخها الخاص . ومن ذلك إحياء بعض فرق الشيعة للأيام العشرة الأولى من المحرم بالصيام والقيام وترتيل الأوراد وتعذيب الجسم تخليدا لذكرى من استشهد من آل البيت فى هذه الأيام .

ويظهر أن هذه الفرق قد استغلت الأحاديث الواردة فى صيام عاشوراء فأولتها على الوجه الذى يتفق مع حرصها على تخليد ذكرى شهداء آل البيت فى كربلاء ، مع أن الأحاديث والروايات السابق ذكرها تدل على أن الصيام يوم عاشوراء أصلا يختلف كل الاختلاف عما تذهب إليه هذه الفرق ، ومع أن إجماع الثقات من فقهاء المسلمين منعقد على أنه ليس من تعاليم الإسلام اتخاذ أيام وفاة الأنبياء والشهداء والصالحين من المؤمنين أيام صيام ولا أيام مأتم وعزاء .؟

دكتور على عبد الواحد وافى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الإسلام والمدنية الحديثة

للأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود

— ٢ —

١ — إذا نظرنا إلى مدنية الصين ، وإلى مدنية الهند، فإننا نجد أنهما قائمتان على الدين، وكذلك الأمر فى كل الحضارات القديمة ، ولم تكن الحضارة الإسلامية بدعا فى هذا الأمر : إنها كذلك تقوم على الدين .

وقد رأينا فى المقال السابق : أن الدين — وهو عقيدة وأخلاق — لا يتعارض مع الاتجاه العملى أو التطور المادى ، بل رأينا على العكس من ذلك : أنه يحث على التقدم فى مختلف ميادين الصناعة والزراعة وغيرهما مما يتصل بالمادة .

ولكن الحضارة المادية ، إذا لم تقم على مبادئ من الخلق السليم وعلى الإيمان بالله وباليوم الآخر ، فإنها تدمر نفسها ، وتشقى بها الإنسانية .

ولا ريب فى أن العقيدة الصحيحة ، ليست اختراعا بشريا ، ولا يمكن أن يكون الخلق السليم نتاجا من صنع البشرية ذات الأهواء المتعارضة .

والكلمة الأولى والأخيرة إذن ، فى العقيدة والأخلاق ، إنما هى للوحى المنزل المعصوم .

وما من شك فى أن الطابع الجوهرى الذى يجب أن يكون للعقيدة والأخلاق ، إنما هو أن تكونا مبادئ ثابتة لا تتقلب بحسب الظروف ، ولا تختلف باختلاف الأهواء ، ولا تخضع للشهوات فتتكيف تبعاً لها .

ومن المسلم به أنه لابد للحضارة ، أيا كانت من أن تقوم على مبادئ ثابتة ، ومن أن ترتكز على عقيدة صحيحة ، ومن أن تكون أهدافها : إسعاد الإنسانية بالسير بها فى الطريق الذى رسمه الحكيم الخبير ، والذى ترشد إليه النصوص التى لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، وإلا لما كانت الحضارة حضارة ، بل ارتكاسا وانتكاسا .

ولا ريب ، أن كل من يتدبر ما قدمناه يرى دون كثير من الجهد : أن الأمر كما ذكرنا ، أو على الأقل أن الأمر : « ينبغى » أن يكون كما ذكرنا .

٢ — بيد أن الحضارة الحديثة : تمردت على كل هذه القواعد ، وشذت على كل هذه المبادئ ، وكانت بدعا من الحضارات ، ونشازاً من المدنيات !!!

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أما بيان ذلك وتوضيحه : فليس بالأمر العسير :

لقد بدأت الحضارة الحديثة ـ فى ميدان المعرفة ـ بقلب الأوضاع الثابتة الصحيحة السليمة ، فحددت ميدان العلم الصحيح بأنه الميدان المادى فحسب ، حتى لقد أصبحت كلمة : « العلم » لا مدلول لها فى الحضارة الحديثة إلا المعرفة فى الميدان المادى ، وفى الدائرة الحسية .

لقد حصرت الحضارة الحديثة نفسها ، منذ المبدأ ، إذن ، فى دائرة المادة ، وسجنت نفسها فى سجون الحس ؛ وإنها حينما اتخذت الملاحظة والتجربة أساساً ، والاستقراء حكماً وميزاناً ، فإنها بذلك : استبعدت ـ بجرة قلم ـ الميدان الروحى ، أو ما وراء الطبيعة ، أو الإلهيات عن الميدان العلمى ، وعن مجالات المعرفة الصحيحة

وما دام « ما وراء الطبيعة » لا يظهر فى المعمل وفى المصنع ، ولا ينظر بعين ، ولا بميكرسكوب ، فإنه إذن لا يدخل فى المحيط العلمى .

هذه النظرة القاصرة ، تقابلها النظرة الرحبة ذات الأفق الواسع ، أعنى نظرة الدين ، إنه يدع للحس مجالا يسرح فيه ويجول بالملاحظة والتجربة والاستقراء ، ويدع للعقل مجاله يستنتج فيه ويستنبط ، ويدع للروح مجالها تستشف فيه وتستلهم .

ونظرة الدين : تصل الإنسان بالكون كله : سمائه وأرضه ، بحاره وجباله ، وهاده وسهوله ، كواكبه ونجومه ، ولكنها تصله أيضاً بما وراء الكون : باللا نهاية إنها لاتحد الإنسان ولاتسجنه فى حسه ، ولاتقيده بسلاسل وأغلال .

هكذا شأن الإسلام مع الإنسان . وكان الأمر كذلك فى الحضارات السليمة ، التى توالت على الإنسان منذ أقدم العصور .

وبينما المدنية الحديثة تربط الإنسان بالمادة ، برباط محكم ، إذا بالدين يرفعه إلى الله ، فيصله به .

وبينما الحضارة الحديثة تخضعه للمادة ، إذا بالدين يخضع المادة له ويجعله سيد الكون وخليفة الله تعالى .

ومما هو جدير بالذكر : هذه الأمثلة الكثيرة التى يتحدث بها القرآن عن الإنسان ، فيرفع بها من درجته ، ويعلى بها من شأنه ، فى مقابلة سائر المخلوقات .

ولقد وصل الدين فى تكريم الإنسان إلى مالا يتطرق إليه خيال المدنية الحديثة ولا وهمها ؛ لقد أمر الله الملائكة بالسجود لآدم تكريما له ، فآدم إذن وبنوه : يمكنهم أن يترقوا فى المجالات الروحية إلى ما هو أسمى درجة من الملائكة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وقد أذن الله بهذا التصوير الجميل :- سجود الملائكة لآدم - للإنسان أن يسمو روحيا إلى ما لا نهاية .

ولم يقف ذلك عند حدود الإمكان فحسب ، بل لقد تحقق بالفعل :

فها هو ذا سيدنا محمد ، صلى الله عليه وسلم ، وصل من القرب فى المجال الروحى إلى سدرة المنتهى ، وإلى قاب قوسين أو أدنى ، وأوحى الله إليه مباشرة ، وأراه من آياته الكبرى .

وأما صلة الإنسان بالمادة فإنها صلة تسخيرها لأمره وإرادته ، لا تسخيره لها : فسيدنا داود : سخر له الحديد ليلينا يصوغه كيفما شاء .

وسيدنا سليمان : سخرت له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب ، وسخرت له الجن والطير على اختلاف أنواعها ، فكان الحاكم عليها بإذن الله .

وسيدنا إبراهيم ، سخرت له النار ، فكانت عليه برداً وسلاما .

وسيدنا عيسى : سخرت له الطبيعة فى مظاهرها المختلفة ، يخلق من الطين كهيئة الطير ، فينفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله ، ويبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى بإذن الله .

إن الله يرشدنا إلى أنه يأذن للإنسان بالسيطرة على الكون : ما ظهر منه وما خفى ، حينما يتخذ الوسائل المادية والروحية لهذا التسخير ، والإنسان إذن دون منازع : سيد هذا الكون .

ذلك تكريم الحضارة التى تقوم على الدين للإنسان .

أما المدنية الحديثة : فإن من نظمها التى انتهت إليها فى أحدث مثلها وفى آخر أطوارها ، إنما هو : النظام الشيوعى .

ولا نستطيع أن نجد تعريفا للنظام الشيوعى أدق من أنه : استعباد المادة للإنسان وسيطرتها عليه ، إن المادة هى : أساس النظام ، والمادة : هى هدف النظام والمادة : هى هم الشيوعيين المقيم المقعد . لقد أصبح الإنسان فى النظام الشيوعى : آلة من الآلات المادية بل جزءا فى آلة ، كمسمار مثلا فى حذاء مارد مدمر ، هو المادة .

ونظرة الحضارة الإسلامية إلى الإنسان والعلم إذن : تختلف اختلافا جذريا عن النظرة الشيوعية وإذا كانت النظرة الشيوعية تقول : ولقد سخرنا بنى آدم ، وتتخذ ذلك مبدأ لها ، فإن النظرة الإسلامية تتخذ مبدأها من القرآن : « ولقد كرمنا بنى آدم » .

وبالله التوفيق ؟

الدكتور عبد الحليم محمود

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وحدة الشاعر

للأستاذ العوض الوكيل

نستعرض فى هذا المقال ثلاثة شعراء ، أحدهم عربى وهو العقاد ، الثانى فرنسى وهو لامارتين ، والثالث انجليزى وهو إسكندر بوب .

نستعرض ما قالوا فى موضوع كان القول فيه حظا مشاعا بينهم ، وهو وحدة الشاعر ، وبين يدى الحديث أحب أن أتقدم بكلمة إلى السيد / عبد الوارث سعيد الذى نشر فى عدد رمضان سنة ١٣٨٢ هـ من هذه المجلة (فبراير سنة ١٩٦٣) كلمة عاب فيها علىّ أن جعلت العنوان الجانبي لهذه الكلمات لفظة « أدب مقارن » .

وهو يرى أننا أسأنا التعريف وتجافينا عن وجه الحق وذلك « لأن للأدب المقارن مفهوماً محدداً عند دارسيه ، يخالف المفهوم الشائع لكلمة مقارن أو مقارنة ، هذا المفهوم هو البحث فى الصلات التاريخية بين الآداب المختلفة ، وما لهذه الصلات من تأثير أو تأثر » .

وأنت بعد هذا التعريف الرسمى المسجل ، لا تستطيع أن تستعمل مادة المقارنة فيما وضعتها له لغتنا ، ولا تستطيع أن تدنو من مادة « ق . ر . ن » بحال من الأحوال ، إلا إن أردت المعنى الذى أورده السيد / عبد الوارث فضيق به مفهوماً واسعاً رحيباً لهذه المادة .

لن تستطيع بعد هذا أن تسلك شيئين فى نظام ، ثم تتخذ من ذلك سبيلا إلى الموازنة ، ثم تسمى عملك هذا قرنا ، أى ربطا ، أو مقارنة أى موازنة .

والسيد عبد الوارث كان حريصاً فى كلمته على أن يثبت مراجعه بالتفصيل ، ولكنه مع هذا كان خليقا به أن يجعل من مراجعه معاجم لغة العرب ، وتراثها فى الشعر والنثر ، ليعرف أن العرب تعرف مدى القرب بين المقارنة والموازنة .

وكنت أحب للسيد عبد الوارث ، وهو ابن من أبنائنا بدار العلوم أن يتروى فيما يكتب ما دام لا يستطيع أن يكون من أصحاب الارتجال . وعليه السلام .

* * *

وحدة لامارتين ، إحدى قصائد التأملات ، وقد سبق لنا التعريف بلامارتين فى عدد شوال سنة ١٣٨٢ هـ (مارس سنة ١٩٦٣)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من هذه المجلة ، حين كنا نستعرض بحيرته ، وبركة البحترى .

والتأملات ديوان شعرى لهذا الشاعر الفرنسى العظيم نظمه حوالى سنة ١٨٢٠ م ، وصادف بنشره نجاحاً منقطع النظير ، وارتقى به الشاعر - فى سرعة - درجات فى سلم المجد والشهرة والخلود .

وقد سماها النقاد التأملات الأولى تمييزاً لها عن «التأملات الجديدة» التى نظمها بين عامى ١٨٢٣ ، ١٨٣٠ م وبها - أو بغيرها - دخل الشاعر الأكاديمية الفرنسية سنة ١٨٣٠ م .

أما إسكندر بوب فهو شاعر انجليزى عاش فى القرنين السابع عشر والثامن عشر ، وقد نشأ معتل الصحة ، واهى البنية ، وكان مرض الربو صدره ، حتى أودت به أزمة من أزماته سنة ١٧٤٤ عن ستة وخمسين عاماً قضاها فى القراءة والتفكير ونظم الشعر ، وكتابة المقالات النقدية .

وقد استطاع بوب ، وتلاه من بعده لورد بيرون أن يجعلا من الشعر وسيلة للرد على نقادهما ، يقول العقاد[1] :

«على أن «بيرون» و «بوب» لم يكونا ناقدين فيما نظماه من القصيد بل كانا مدافعين يردان هجمات النقاد عليهما ، وكانا أحيانا محاربين يهجمان على أصحاب المذاهب المخالفة لهما بين الشعراء والأدباء : كتبت مجلة «بلاكوود» الأدبية نصولها عن ديوان «ساعات الفراغ» فاشتدت عليه وسخرت منه ، فأراد الشاعر أن ينتصف لنفسه ، وأن يعلم النقاد أن عروس الشعر تحسن النضال فى ميدانه ، ونظم قصيدته التى سماها «الشعراء الانجليز والصحفيين الإيقوسيين» فأوسع فيها النقاد سخرية وهجوا وعرج على نظرائه من شعراء عصره فقال فيهم مقاله ، وأعمل فيهم لسانه وخياله ، وحسبها الأدباء يومئذ مثلا من أمثلة الردود الطريفة ولم يحسبوها فناً من فنون النقد ، أو ميزانا من موازين التميز والتقدير .

وكذلك صنع «بوب» حين أنحى عليه نقاد عصره ، وخالفه النظراء فى مذهبه فإنه نظم شعراً ، ولم يكتب نثراً فى الدفاع عن أدبه ليثبت لناقديه أن سلاح الشاعر لا يقصر عن سلاح الناقد الناثر فى ميدانه ، وأرسل قصيدته إلى صديقه الطبيب الأديب «أربثنوت» يشرح مذهبه ويكيل الصاع صاعين لخصومه ومنافسيه ، وقيل عنه يومئذ إنه عرفهم بأقدارهم ، وإن لم يحمد له ميزانه فى تعريف الناس بتلك الأقدار» .

أما أستاذنا العقاد فهو غنى كل الغنى عن التعريف ، وقد اخترنا له فى مقام عرض المتقاربات فى الأدب العالمى عن الوحدة

(١) مقدمة ديوان رسوم وشخصيات من نظم كاتب المقال .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

قصيدة لا تحمل عنوان الوحدة كصاحبيه : الانجليزى ، والفرنسى ، وإنما تحمل عنوان « يا كتبي » ، وإن كانت له قصائد ومقطوعات كثيرة تتحدث عن الوحدة والانفراد ومن ذلك قطعة الشعر (١) ووقفة فى الصحراء (٢) وغيرها .

قصيدة لامارتين ، ترسم صور الطبيعة ناطقة بالروعة والجمال ، وتصور لنا نفسه وقد غامت فيها سحب الحزن والألم ، ثم لا تلبث أن تتجه إلى الله يستهل الشاعر قصيدته بقوله :

أسرح الطرف فى الوادى الذى انبسطت
أمام عينى ووجدانى مرائيه
والشمس تسبح نحو الغرب فى طفل
وقد جلست حزين الفكر عانيه
فى ظل « بلوطة » أمست كهولتها
تذرو الشجون على الوادى وما فيه
أرى هنا غالباً فى وحدة عجب
مشرداً وكأن القلب فى تيه

وفى المقطع الثانى من القصيدة يرسم لنا النهر هادراً فى واديه ، حيناً ، وسائراً يتلوى حيناً ، وماء البحيرة كأنه نائم يلفه الصمت العميق ، ونجم المساء يصعد من جانب الأفق إلى كبد السماء بهياً جميلا ، يقول :

كم يهدر النهر فى واديه منطلقا
وفوق أمواجه وشى من الزبد
لقد تلوى على الوادى وسار إلى
حيث اختفى مخدرا فى ظلمة الأبد
وفى البحيرة ماء راح فى سنه
قد لفه عبقرى الصمت فى برد
نجم المساء سما من عندها صعداً
إلى السماء وما أبهاه فى الصعد

وهو يشكو وحدته وحزنه ، هائما قلقاً ، لايستقر ، والطبيعة ، على جمالها ، لاتستطيع أن تهبه العزاء والسلوى :

أرنو إلى الأرض روحا هائما قلقا
لا يستقر من البلوى على حال
وليس فى صور الأكوان قاطبة
ما ينقذ القلب من هم وبلبال

* * *

أنقل العين ما بين الربى عبثا
وأقطع اليوم من صبح إلى غسق
وأقطع الكون بالعين التى جهلت
مداه فى ظلمة تطغى وفى ألق
وهل لمثلى مكان فى رحائبه
فيه سعادة روح فى الحياة شقى

ثم لا تلبث نفسه أن تتجه إلى رجاء السعادة فى السماء :

لكن هناك شمس جد ساطعة
شمس حقيقية فى عالم ثان

---

(١) ديوان من دواوين ص ٤٤ .
(٢) الجزء الأول من ديوان العقاد .

هل لى سمو بروحى وهو فى جسد
مركب الجسم من أخلاط أدران

* * *

هناك أشمل من ورد ومن نهل
يا طالما رمته من قبل سلسالا
هناك سوف ألاقى الحب مبتسما
هناك سوف تلاقى النفس آمالا

وفى ختام القصيدة يبرز شوق الشاعر إلى عالم المجهول ، فيطلب من ريح الشمال أن تحمله إليه عاصفة به دون أن تأخذها فى ذلك رحمة أو شفقة .

إذا هوت من ذرا أغصانها ورقة
والشمس فى موقف التوديع محترقة
تهب ريح فتذروها وتحملها
إلى عوالم لم تحلم بها حدقة
وإننى مثلها لا شىء يفرقنى
عنها ولا هى عنى قط مفترقة
هيا احملينى يا ريح الشمال ولا
يأخذك فى العصف بى عطف ولا شفقة !

أما وحدة بوب ، فدون ذلك بكثير ، سواء فى حجمها وعدة أبياتها أو أفكارها ومعانيها ، فهى وحدة بسيطة يعرضها الشاعر فى صورة رجل يكتفى بما عنده ، ويستغنى عن غيره ، ثم لا تكون به حاجة إلى أن يتدخل فى شأن غيره ، فتمضى حياته هينة لينة ، هادئة صافية ، ويكون ليله نوما عميقا ، ونهاره رضاء وبراءة ، وتأملا لطيفا :

يقول بوب :

سعيد ذلك الرجل الذى يعيش .
قانعاً يقتنفس هواء أرضه .
القليلة الموروثة الكافية .
تمده أبقاره باللبن .
وحقوله بالخبز ، وأغنامه بالصوف .
أما أشجاره فتمنحه فى الصيف ظلا ـ
وفى الشتاء ناراً !
وإنه لمبارك ، لا يتدخل فى شأن غيره .
وتمر ساعاته وأيامه وسنوه ، لينة .
فى صحة جسم وأمن بال .
نهاره هادئ ونومه هنىء .
ظافراً بالراحة والبراءة والرضا والتأمل .

ثم يتمنى الشاعر أن يعيش هكذا غمراً لا يعرفه أحد ، حتى إذا جاءه الموت مضى غير مأسوف عليه ، متسللا من العالم ، ثم لا يكون هناك حجر أو شاهد قبر يدل الناس عليه . يقول :

هكذا دعنى أعيش .
غير معروف . هكذا دعنى .
أمضى متسللا من العالم غير مأسوف علىّ .
ثم لا حجر ولا شاهد يدل علىّ حيث أرقد .

أما قصيدة أستاذنا العقاد ، فقد قلنا إن موضوعها الأصيل ليس هو وحدة الشاعر ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولكنها مع ذلك تتحدث عن الشاعر بين كتبه وحيداً يجن عليه الليل بينها ، فإذا هو عاكف عليها ، لا يجفوها مهما أرهقته ونال العكوف عليها من صحته ، وهو يعرف أنها صرفته عن ملاذ الحياة فالناس بين نائم غارق فى كراه ، وبين معاقر كأسا يرتشف طلاها أو عاشق بين يديه معشوقه .

وتأسره أرواحها فيسألها كيف يحل هذا الأسر ، وماذا الذى كسب منها ؟ هل كسب النور والمعرفة ؟ لقد طالمـــا كشفا له عن القبيح :

إذا أرانى النور قبحا فيا
حسن الذى يضمره الغيب

هل كسب الأحاديث والمنى والخبرة ، إن صاحبها لمتعب :

ينتفع المرء بما يقتنى
وأنت لا جدوى ولا مأرب
إلا الأحاديث وإلا المنى
وخبرة صـــاحبها متعب

لقد صور العقاد فى بلاغة وقوة كيف تقف الكتب حوله بالليل وكأن جماجم أصحابها تهيأ للحديث ، ثم لا تلبث أن تتجادل وتتناقش بصوت يسمعه قلب العقاد الذكى ويعيه خاطره الخصب :

كم ليلة سوداء قضيتها
سهران حتى أدبر الكوكب
كأننى ألمح تحت الدجى
جماجم الموتى بدت تخطب

ولهذا المعنى الأخير معى قصة ، فقد كنت أقضى جانباً من الليل فى مكتبتى الخاصة ، وورد على خاطرى هذا البيت ، فما هو إلا أن تصورت الكتب فى شجار وجدال ، وتصورت أصحابها يتحدثون ، فأشعر بدنى وقت من فورى وغادرت المكتبة الصاخبة الساكنة !

ووحدة العقاد إذن وحدة الأديب العالم الفنان ، وحدة العقاد حين يلتقى بالقائلين من كل عصر وجيل ، ومن كل قطر وبلد يبعثهم خياله أحياء ينطقون ، وتشخص أمام عينه صورهم وأزياؤهم وكأنهم أصحاب سمر ، وروّاد ندوة ، والعقاد يرهقه الجهاد فى سماعهم وقراءتهم ، ولكنه مع هذا لا يرجو أن يزايله ذلك الإرهاق

يا كتبى ألبست جلدى الضنى
لم يغن عنى جلدك المذهب
يا كتبى أين ترى المنتأى
عن أسر أرواحك والمهرب
أنفقت منى ما يضن الورى
به على الله ولم يذنبوا
من ضوء عينى ومن صحتى
سدى ومن وقتى وما أكسب
ومن شباب فيك ضيعته
فما أنا إلا الفتى الأشيب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المجتمع الاشتراكي في ظل الإسلام

للأستاذ عبد الرحيم فوده

— ٢ —

١ — العدل :

قلت في ختام كلمتي السابقة إن الاشتراكية في الإسلام هي ما يفهم من قول الله : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى » وقد أكد الله مفهوم هذه الكلمات بالنهي عما يقابلها . إذ قال : « وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي » فإن المتأمل في معاني الفحشاء والمنكر والبغي يجدها تقابل العدل والإحسان وإيتاء ذي القربى . لأن الفحش — وهو تجاوز الحد — كما يقع على القول يقع على الفعل ، وهو — دون شك — ضد العدل والفحشاء والفاحشة هي القبيح الشنيع من الأقوال والأعمال ، وقد استعملت الفاحشة في معنى البخل ومنع الصدقات حيث يقول الله « الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء » واستعمل الفاحش بمعنى البخيل في قول الشاعر القديم :

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي
عقيلة مال الفاحش المتشدد

أما استعمال الفحشاء بمعنى تجاوز الحد في القبيح فقد فهم من قوله تعالى في الشيطان : « إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون » وقوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر » وقد أطلقت الفاحشة على الزنا — لأنه غاية في الشناعة والقبح وجاء من ذلك قول الله : « واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم » وقوله « ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة » وقوله في قوم لوط : « إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين » وهي بهذا المعنى أيضا تقع في مقابل العدل لما فيها من الجور وتجاوز الحد ، والخروج عن القصد ، ولأن العدل قد فسر بالواجب وقيل في توجيه هذا التفسير : إن الله عدل فيه على عباده فجعل ما فرضه عليهم واقعا تحت طاقتهم ، فكل ما أوجبه الله عدل وخير ، وكل ما نهى عنه جور وشر ، ومن ثم يتبين مدى ما تتسع كلمة العدل من معاني الإنصاف وتوخي القصد في الأمور والمثل والنظير والجزاء والفداء ، وما إلى ذلك من المعاني اللغوية . وكل ما يدل على المعادلة والمماثلة ، وهذه المعاني يجب أن تطبق في كل شئون

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المجتمع والحياة ، فالعدل فى الحكم ، والعدل فى القضاء ، والعدل فى تقدير الأجور ، والعدل فى الرضا ، والغضب والعدل فى إسناد وظائف الدولة لمن ترشحهم مواهبهم لخدمة الدولة . والعدل فى تهيئة الفرص المتكافئة لتربية المواهب والانتفاع بها فى خدمة الأمة ، وكل علاقات الأفراد بالمجتمع وعلاقات المجتمع بالأفراد يجب أن تقوم على العدل ، لا على الغرض والهوى ، فإن ذلك بعض ما يفهم من قول الله : « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهدا لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وأن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا » وذلك - كذلك - بعض ما يفهم من قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون » . فالقسط - وهو العدل - يجب أن يكون رائد المؤمنين وأولى الأمر فيهم فيما يكون بينهم وبين أنفسهم أو بينهم وبين غيرهم ، فلا ينحرف بهم الغرض والبغض إلى ظلم غيرهم مهما يكن شعورهم نحوهم بالكره والشنآن . حتى ولو كانوا يخالفونهم فى الدين بدليل قوله تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » ، بل إنه إذا خاف المؤمنون من قوم خيانة فليس لهم أن يسبقوهم بالخيانة ، بل عليهم أن يجاهروهم بنبذ العهد إن كان بينهم وبينهم عهد ، كما يفهم من قوله تعالى : « وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين » ومن هذا التوجيه الإلهى الرشيد ، نبعت القاعدة الشرعية المعروفة لهم ما لنا وعليهم ما علينا .

فالعدل هو حجر الأساس فى بناء المجتمع السليم ، وهو قوام النظام فى شريعة الإسلام بل هو الغاية من كل ما جاء به الأنبياء قبل محمد عليه السلام ، فإن ذلك بعض ما نفهم من قول الله : « لقد أرسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط » . ولا شك أن العقل السليم يستحسن العدل - ويجد فيه بعد النظر المبرأ من الهوى والقصور ومصلحة المجتمع ومصلحة الأفراد فى المجتمع ، فالمنكر - وهو ما ينكره الشرع القويم . ويأبى عنه الطبع السليم . ويتجافى عنه العرف الصالح - فى الطرف المقابل -

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

كذلك ـ لمعنى العدل ، والبغي ـ وهو الجور . وابتغاء الاستيلاء على حق الغير ـ ظلم يتجافى عن معنى العدل . ومن ثم نجد فى النهى عن الفحشاء والمنكر والبغى تأكيداً للأمر بالعدل . وسنجد فيه كذلك تأكيدا للأمر بالعدل ، وسنجد فيه كذلك تأكيدا للأمر بالإحسان وإيتاء ذى القربى

٢ — الإحسان :

والإحسان فى المرتبة التى تلى مرتبة العدل فى الوجوب والاهتمام ، وليس معناه قاصرا على التبرع بالصدقة أو النفقة كما تبادر ـ ولا يزال يتبادر ـ إلى بعض الأفهام ، وإنما معناه واسع جامع بحيث يتناول كل قصد حسن . وكل قول حسن . وكل فعل حسن ، وذلك بعض ما يفهم من قول الله ، إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا ، فقد نكر العمل ليشمل كل عمل . وكما يفهم من قول النبى صلى الله عليه وسلم : (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يحسنه) . فإتقان العمل وإحسانه يدخل فى عموم معنى الإحسان ، ولا شك ان المراد به العمل الصالح وهو الذى يحقق مصلحة فردية لا تضر المجتمع أو أحد أفراد المجتمع أو مصلحة اجتماعية ينتفع بها المجتمع وأفراد المجتمع ، فمتى كان فى العمل مصلحة كان حسنا ، وما يقال فى العمل يقال فى الكلمة الطيبة والنية الطيبة ، وإنهما كذلك من الإحسان بمكان ، كما يفهم من قول الله : « إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » ، وقول النبى صلى الله عليه وسلم : إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ، فالأعمال تقدر بالنيات الباعثة عليها وصلاحها يقاس بالدوافع النفسية الخفية التى تكمن وراءها ، ولا يطلع عليها إلا علام الغيوب ، ولهذا قرن الله العمل بالإيمان ليكون منه بمنزلة الثمر من الشجر . وما يقال فى العمل يقال فى الكلمة الطيبة كما يفهم من قوله تعالى : « ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها » ، وقد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم أن الكلمة الطيبة صدقة كما أن العدل بين اثنين صدقة ، وإماطة الأذى عن الطريق صدقة هذه إشارة عابرة إلى مفهوم الإحسان ومدى انطباقه على كل ما يصدر عن الإنسان سواء كان قولا أو عملا أو نية تكمن وراء القول والعمل . أما تفصيل ذلك فيحتاج إلى كتاب ولا يستوفيه استيعاب ، وما قيل فى مقابلة العدل بالفحشاء والمنكر والبغى يقال فى المقابلة بينها وبين الإحسان بل إن مرتبة الإحسان فوق مرتبة العدل لأنه زيادة فى الخير والفضل . فهو بالنسبة إلى الفحشاء والمنكر والبغى على طرف النقيض .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

٣ — إيتاء ذى القربى :

هذا هو الأصل الثالث الذى يقوم عليه كيان المجتمع الاشتراكى فى ظل الإسلام ، وذكره بعد العدل والإحسان يشعر بأنه فى القمة العالية منهما ، فإن أحق الناس بهما هم ذوو القربى . أى أصحاب القرابة ، بل إن لهم بحكم روابط النسب وشائج القربى ما ليس لغيرهم ، ومن ثم جعل الله تركة المتوفى شركة بين أقرباته ، يأخذ كل منهم بمقدار ما فرض الله له فيها على حسب درجة القرابة ووفق ما يقضى به العدل والفضل « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا . وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا » . وقد أوجب الله النفقة على القادرين الموسرين للمحتاجين من الأصول والفروع كالأب والجد والابن وابن الابن ، وجعل نفقة الزوجة والأولاد حقا على الزوج ، ولا شك أن ذلك وغيره مما لا يتسع المقال لذكره ـ مظهر من مظاهر الاشتراكية التى شرعها الإسلام ، وقام عليها المجتمع الإسلامى ونلمحها فى قوله تعالى : « وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين » .

وقوله سبحانه : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم » ، فإن الاشتراكية فى الأسرة تتركز فى معنى قوله « وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض » ، والاشتراكية فى المجتمع تتركز فى معنى قوله : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » ، ولا شك أن الأسرة أساس المجتمع وأن كل المعانى الانسانية السامية التى تراد لخير المجتمع تنبع من المعانى الصافية التى تسود جو الأسرة ، فالرحمة مشتقة من الرحم ، والأخاء مشتقة من الأخوة .

وكل المعانى الطيبة ترجع إلى المعانى الفطرية التى تجمع بين الأقربين وتكون منهم الأسرة أو العشيرة ، فإيتاء ذى القربى أصل من الأصول التى تقوم عليها الاشتراكية .

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة
على النفس من وقع الحسام المهند

فهو فحشاء . وهو منكر وهو بغى ، وهكذا نجد فى الآية الكريمة قواعد الاشتراكية السليمة بل نجدها كما وجدها أسلافنا أجمع آية فى القرآن إذ كل ما يرجى من خير فى العدل والإحسان وإيتاء ذى القربى : وقل ما يخشى من شر فى الفحشاء والمنكر والبغى .

وفقنا الله إلى الخير ، ووقانا من الشر ، وهدانا إلى سواء السبيل .

عبد الرحيم فوده

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

حروف القرآن وحدوده

للأستاذ محمود الشرقاوي

« تأمل حديث ابن مسعود رضى الله عنه فى الموطأ : إنك فى زمان كثير فقهاؤه قليل قراؤه ، تحفظ فيه حدود القرآن وتضيع حروفه ، قليل من يسأل كثير من يعطى ، يطيلون فيه الصلاة ويقصرون فيه الخطبة ، يبدؤون أعمالهم قبل أقوالهم . وسيأتى على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير قراؤه ، تحفظ فيه حروف القرآن وتضيع حدوده ، كثير من يسأل قليل من يعطى ، يطيلون فيه الخطبة ويقصرون الصلاة ، يبدءون أهوائهم قبل أعمالهم » .

هذه السطور القوية المخلصة المنيرة تجدها فى كتاب : « الموافقات »[1] للإمام الشاطبى ، فهو صاحب الفضل فى هذا العنوان الذى اخترته من حديث ابن مسعود . هذا الحديث الذى يقدم لنا هذا التحديد والتمييز بين « حروف القرآن » التى تحفظ ، بينما تضيع « حدوده » .

فإذا « تأملنا » هذا الحديث ، كما طلب إلينا الشاطبى ، وطابقنا بينه وبين وقائع التاريخ وجدنا أن العصر الأول ، عصر الصحابة والسلف ، كان فقه القرآن فيه وفهمه والتزام حدوده وفضائله وغاياته مقدما على مجرد التلاوة والترديد ، بلا تأثر ولا التزام حدود ، لم تكثر فيه تلاوة القرآن تلاوة السرد وترديد الكلمات ، بل يكثر فيه فقه القرآن وإدراكه والتأثر به فى القلب والضمير والسلوك والخلق والعلاقات بين الناس « والرعاية لحقوق الله » كما يقول الحارث المحاسبى[1] .

عصر كانت تحفظ فيه الحدود التى أمر الله بحفظها ، أكثر مما تحفظ فيه الحروف التى تتلى والناس لهم من هذه الحدود ومن خلقهم وضميرهم عاصم ودافع : عاصم يعصم فقيرهم ومحتاجهم من السؤال : « يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف » ، ودافع يدفع قادرهم على أن يعطى ويبذل . عصر يطيل فيه الناس الصلاة ، كما قال ابن مسعود ، لما فيها من المناجاة والقرب من الله والخشوع له ،

---

(١) ص ١١٨ الجزء ـ ٢ ـ طبع المطبعة السلفية بالقاهرة .

(١) شيخ الإمام الغزالى ، وقد تأثر به كثيراً فى كتاب : « إحياء علوم الدين » . ولد فى النصف الثانى من القرن الثانى بالبصرة ومات سنة ٢٤٣ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ويقصرون الخطبة إذ كانت حديث ألفاظ وحركة لسان ومنطق حروف ، يحاسبون أنفسهم على العمل والبدء به ، قبل أن يوجهوها للحديث والقول والجدل .

ثم نجد ، فى حديث ابن مسعود هذا ، أن الناس ، فى آخر الزمان ، على عكس هذه الحال ، تكثر فيهم تلاوة القرآن ولكنها تلاوة لا تجعل القلوب فاقهة ولا مدركة ، يحفظ أناس منهم حروف القرآن ولكنهم يضيعون حدوده ، ليس لهم من وازع ولا دافع ، فسائلهم كثير وباذلهم قليل ، يخطبون فيطيلون لأن حركة اللسان لا تكلفهم شيئاً ، ويصلون فيقصرون لأن قلوبهم لا تشعر بأنس المناجاة وسعادة القرب ولذة الخشوع والتلاشى والفناء ، يوجهون أفئدتهم وألسنتهم نحو المظهر من القول ولا يحاسبون أنفسهم على العمل ورقابة الضمير والتزام الحدود والغايات والمقاصد ، يبدءون أقوالهم قبل أعمالهم .

العلم والعمل : صنوان لا يفترقان ، الحروف والحدود : أولاهما لابد أن توصل إلى الثانية هكذا كان المؤمنون فى العصر الأول ، وهكذا يجب أن يكونوا فى كل عصر وكل مكان .

متى يتعلموا ما فيهن من العلم والعمل :

وقد روى عن أبى عبد الرحمن السلمى أنه قال : « حدثنا الذين يقرءون القرآن ، كعثمان وعبد الله بن مسعود وغيرهما ، أنهم كانوا إذا تعلموا من النبى صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل » وروى أحمد فى مسنده عن أنس : « كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فى أعيننا »[1] أى ارتفع قدره وعظم شأنه . وقد أقام ابن عمر على حفظ البقرة ثمان سنين [2] وكذلك قالت عائشة : « كنت جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن ... والتمست اسم يعقوب فما أذكره فقلت : « ولكن سأقول كما قال أبو يوسف : فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون »[3] .

فالغاية الأولى عند صحابة الرسول ، رضوان الله عليهم ، كانت العمل بآيات الله المنزلة بعد فهمها وتدبرها ، وكانت هذه الغاية سابقة مقدمة على الحفظ والتلاوة المجردة والترديد والترتيل .

وليس معنى كلامنا التزهيد فى حفظ القرآن وتلاوته ، فقد حفظناه صبياناً ، ودرسناه فتياناً وشباناً ، وما نزال نتلوه ونسمعه فتخشع نفوسنا وتطمئن قلوبنا : ألا بذكر الله تطمئن القلوب . بل الذى نريده هو أن يعمل

---

(١) لسان العرب ، ص ٧٨ الجزء ـ ٤ ـ الطبعة الأميرية .

(٢) الإتقان فى علوم القرآن ص ٢٠٨ الجزء ـ ٢ ـ

(٣) حديث الإفك .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

رجل الدين ويدعو الناس إلى العمل ، بكتاب الله والتزام حدوده وآدابه وفضائله . وأن يكون هذا العمل وهذا الالتزام مقدمين عنده .

الشريعة والفلسفة معاً :

حدود القرآن ، وليست حروفه وحدها ، مقصودة الشارع الحكيم من الشريعة ، وهذا الإدراك الحكيم حدده عالم حكيم ، هو ابن حزم ، وجمع بين الشريعة والفلسفة معاً في هذه الكلمات الناصعة : « الفلسفة على الحقيقة إنما معناها وثمرتها والغرض المقصود نحوه بتعلمها ليس هو شيئاً غير إصلاح النفس بأن تستعمل في دنياها الفضائل وحسن السيرة المؤدية إلى سلامتها في المعاد ، وحسن السياسة للمنزل والرعية . وهذا نفسه لا غيره هو الغرض في الشريعة . هذا ما لا خلاف فيه بين أحد من العلماء بالفلسفة ولا بين أحد من العلماء بالشريعة »[1] .

الصورة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر :

ولكي ندرك أثر الحرص على الحروف وحدها ، بل جناية هذا الحرص على الحدود ، نضرب مثلا للصلاة التي أمر بها الله وجعل لها حروفا وحدوداً فقال في حدودها : « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » وحروفها هي شروطها وأركانها وما يتلى فيها ، مما تفصله كتب الفقه ، وحدودها هي الانتهاء عن الفحشاء والمنكر ولكن بعض الذين يحرصون على الحروف قبل الحدود ولا تنهاهم صلاتهم عن الفحشاء والمنكر ، وبعض الذين يدرسون شريعة الله يحرصون على الحروف قبل الحدود أيضا ، لهذا البعض : « أبواب كثيرة ، ومباحث متعددة كلها تدور حول ضبط الأرقام وتسوية الأشكال . . كيف يقف المصلي وكيف يسوي يديه ورجليه ؟ وكيف يركع وكيف يسجد ؟ وما الزاوية الهندسية التي يأخذها في الركوع والسجود ؟ إلى غير ذلك مما يتصل بهذه الصور ، أما القلب وكيف يخشع ، والضمير وكيف يصحو ، والمشاعر وكيف تجتمع لهذا الموقف العظيم بين يدي رب العالمين فذلك ما لم يكن في نظر أصحاب الفقه موضع بحث أو محل جدل أو خلاف ، لأنه كما يبدو شيء عرضي لا يمس الصميم من الصلاة . . فإن الصلاة كما عرفها الفقهاء : « أقوال وأفعال مبتدأة بالتكبير ومختتمة بالتسليم » هذه الصورة الكاملة للصلاة في مباحث الفقه ، وإنها لصورة باهتة هزيلة لا تهز قلبا ، ولا تحرك شعوراً ، لأن الفقهاء لم يلتفتوا إلى هذه الناحية ، ولم يكن همهم البحث فيها ، ولم يكن يعنيهم أن تحقق الصلاة

---

(١) ص : ٩٤ من كتابه : « الفصل في الملل والأهواء والنحل » الجزء ـ ١ ـ الأدبية بالقاهرة ١٣١٧ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أولا تحقق شيئاً للصلى .. أتريد دليلا لهذا القول ؟ . مهلا !

اختلف الفقهاء فى قراءة الفاتحة فى الصلاة كما اختلفوا فى القدر المطلوب قراءته . ومن وجوه الرأى فى هذا الخلاف جواز قراءة آية من القرآن الكريم ولو لم يكن لها معنى مستقل كآية «ثم نظر» وآية «مدهامتان» فذلك مما تصح به الصلاة عندهم عملا بظاهر قوله تعالى «فاقرءوا ما تيسر منه» على ما ذهب إليه بعض أصحاب المذاهب الفقهية

إلى هذا الحد من الهزل أو السطحية فى الفهم ينتهى الرأى عند بعض الفقهاء فى موقف حاسم فى الصلاة . غايته ذكر الله وتمجيده بتلاوة ما يملأ القلب ويشرح الصدر من آى الكتاب الكريم . وطبيعى أن تلاوة آية «ثم نظر» أو آية «مدهامتان» ونحوهما - مما لا يحقق معنى إلا إذا ارتبط بما سبقه أو لحقه من الكلام - لا تبعث فى النفس أى إحساس (١) .

الصحيح والمريض والشبعان والجائع :

وهذا التفصيل والتمثيل الذى كتبه مؤلف جديد ، أجهله ومثل له قبل قرون طويلة إمام عظيم يقول : « ... فكم من الفرق بين أن يعلم حد الصحة وحد الشبع وأسبابهما وشروطهما وبين أن يكون صحيحاً وشبعاناً . وبين أن يعرف حد السكر وأنه عبارة عن حالة تحصل من استيلاء أبخرة تتصاعد من المعدة على معادن الفكر ، وبين أن يكون سكرانا ، بل السكران لا يعرف حد السكر وهو سكران ، وما معه من علمه شيء . والصاحى يعرف حد السكر وأركانه وما معه من السكر شيء ، والطبيب فى حالة المرض يعرف حد الصحة وأسبابها وأدويتها وهو فاقد الصحة » (١) .

هذا الامتزاج فى النفس بين حدود القرآن التى ترعى وحروفه التى تتلى هو الذى يجعل إيمان القلب والحرص على مثل العقيدة أغلى من كل شيء فى الحياة ، بل أغلى من الحياة نفسها ، وهو الذى أخرج لنا وللناس هذه النماذج النادرة التى خلدتها الحياة ثم أعجب بها كل من عرفها فى هذه الحياة .

ربطوا القرآن بالفعال :

وهذا مثل نجده عند هؤلاء الصحابة الذين امتزجت فى نفوسهم وقلوبهم وضمائرهم حدود القرآن وغاياته وفضائله ، مع حروفه وكلماته :

فى حروب الردة وفى غزوة اليمامة خاصة ،

---

(١) عبد الكريم الخطيب ، ص ٨٠ من كتابه : «فى طريق الإسلام» - الكتاب العربى -

(١) حجة الإسلام الإمام الغزالى : كتابه : «المنقذ من الضلال» طبع مطبعة ابن زيدون فى دمشق بإشراف الدكتور بن جبل صليبا وكامل عياد ١٩٣٤ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لقى المسلمون حرجاً وعنتاً شديدين ، حتى تراجعوا ودخلت جيوش مسيلمة الكذاب فسطاط خالد بن الوليد ، ثم آبت لهم شجاعتهم وارتدت إلى قلوبهم الحمية فوقفوا وثبتوا ، وتارت الريح فى وجوههم تحمل التراب وتحول دونهم ودون عدوهم ، وأحسو بالحرج مرة أخرى فذهب قوم منهم إلى زيد ابن الخطاب يطلبون مشورته ، فكان جوابه أن قال : « لا والله لا أتكلم اليوم حتى نهزمهم أو ألقى الله فأكلمه بحجتى . غضوا أبصاركم وعضوا على أضراسكم أيها الناس واضربوا فى عدوكم وامضوا قدما ، واندفع يقاتل وقومه من وراءه حتى لقى الله شهيدا . وصاح أبو حذيفة فيمن حوله : « يا أهل القرآن ، زينوا القرآن بالفعال » ثم ألقى بنفسه يقاتل حتى لقى الله شهيداً ، وتقدم مولاه سالم فحمل الراية وقاتل وهو يقول : « بئس حامل القرآن أنا إن لم أثبت » وثبت يقاتل حتى لقى الله شهيدا .

وهذه أمثلة نجدها ونعجب لها فى ذلك العصر الأول . ولكنا إذا عرفنا السبب - كما يقولون - بطل العجب .

وعلى العكس من ذلك نجد ، فى التاريخ القديم ، قوماً يحرصون على حروف الشريعة دون حدودها ، ونجد لهم فى كل عصر أشباهاً ونظائر ، وفى عصرنا هذا وفى مستقبل الزمن أيضاً .

نجد مثلا لذلك صار رمزاً وعلماً وشعاراً يدل على هذا الخلق المرذول وهذه الفطرة الفاسدة . هم جماعة من اليهود القدماء كانوا يسمون أنفسهم « الفريسيين » يريدون بذلك أنهم ممتازون مختارون [1] . هؤلاء الفريسيون كانوا يعرفون بالتمسك الشديد بنصوص « الشريعة » وحروف التوراة وأوامر الديانة اليهودية . ثم أصبح اسم هؤلاء القوم علما على كل من يعنى بالمظاهر الخارجية للدين - كل « دين - دون روحه وجوهره وغاياته . أى من يعنى بالحروف دون الحدود .

وليس عجيبا بعد ذلك أن يصم القرآن الكريم هؤلاء اليهود ويضعهم بمثابة الحمار إذ يقول : « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا »[2] .

هؤلاء وأمثالهم هم الذين قال عنهم ابن مسعود : « يبدءون أهواءهم قبل أعمالهم » .

« البقية فى العدد القادم »

محمود الشرقاوى

---

(١) الفريسيون : نسبة إلى « الفرز » أى الاختيار والانتقاء وتجد فى الإنجيل لوماً شديداً من المسيح لهم .

(٢) الآية - ٥ - من سورة الجمعة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من معاني القرآن

« هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين »

الأمى : هو الذى لا يكتب ولا يقرأ من كتاب ، وقد لوحظ فى هذه التسمية النسبة إلى الأم على معنى أن من لا يكتب ولا يقرأ من كتاب يكون على ما ولدته أمه عليه من الغفلة والجهالة ، وعدم الخبرة ، والتلاوة : القراءة لأن فيها تتابع الكلمات والألفاظ فى النطق ، ومادة التلاوة تفيد معنى التتابع ، إذ تقول تلاه بمعنى تبعه . وتتالت الأمور بمعنى تتابعت .

والتزكية : تفيد معنى التطهير من الخبائث كما تفيد معنى التنمية والتقوية ، لأن مادتها الزكاء والزكاة ، وهما يفيدان معنى الطهارة والنمو والبركة .

والضلال : البعد عن الحق والصواب ، والضياع ومن ذلك ضلت الإبل بمعنى ضاعت .

المعنى :

الله الذى ينزهه عن كل ما لا يليق بكمال جلاله وجماله كل مافى السموات والأرض ، المتصرف المطلق التصرف ، الطاهر المبرأ من كل نقص ، الغالب الذى لا يقهر ، الحكيم الذى لا يخطئ فى قول أو فعل هو الذى بعث فى العرب على ما كانوا عليه من جهل وغفلة وعدم دراية بالقراءة والكتابة رسولا منهم أمياً مثلهم . فكان من مظاهر قدرته تعالى فيه أن يقرأ عليهم آياته ، ويطهر نفوسهم من الخبائث ، ويحرر عقولهم وقلوبهم من شرك الشرك والأوهام ، وينمى فيهم نوازع البر والخير ، ويعلمهم الكتاب والحكمة وقد كان كما يقول الله فيه : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك » وبذلك صاروا إلى ما صاروا إليه من الخير والقوة والعلم والحكمة وكانوا قبل أن يرسله الله رحمة لهم والناس كافة فى ظلام لا يتعرفون من خلاله الطريق إلى الخير والحق ، وكان هذا الظلام بيناً ظاهراً لا سبيل إلى الشك فيه . ثم صاروا بفضله وبفضل الله عليه وعليهم إلى ما يشير إليه قوله تعالى « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

والمتأمل فى هذه الآية وفى دعاء إبراهيم عليه السلام إذ قال « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم » يدرك أن محمداً عليه السلام كان دعوة إبراهيم المستجابه ، إذ الكلمات هى الكلمات والألفاظ هى الألفاظ ، وما كان من خاتم الأنبياء كان تحقيقاً لمعنى الدعاء .

عبد الرحيم فودة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من روائع المثنى بن حارثة

للأستاذ محمد رجب البيومى

لا أدرى لماذا يتردد اسم المثنى[1] عالياً فى العراق وخافتاً فى شتى عواصم العربية ؟ ألأنه الفارس البطل الذى ضم ما حول الفرانين إلى الإسلام ، فحق له أن يذكر هناك بالمحمدة والثناء ؟ ولكن ما لعمرو وخالد وسعد وأبى عبيدة تتردد أسماؤهم رنانة فى كل مكان يشيد بالفتح العربى والتاريخ الإسلامى ؟ أيكون المثنى أقل منهم كفاحا ؟ وأهون استبسالا ؟ إن تاريخه ليشهد أنه قريع هؤلاء الأبطـــال ونظيرهم همة وشجاعة وتمرساً بالخطوب والأهوال ، وما قرأت وقائعه المجلية إلا عجبت كيف لا تفرد الكتب الخاصة بتحليل روائعه ، وهأنذا أشير إليه من بعيد ، راجياً أن أوفق إلى رسم خطوط واضحة عن بطولته الشماء ! .

لقد انحدر المثنى بن حارثة الشيبانى من قبيلة بكر بن ربيعة ذات الأنفة والعزة والاستعلاء ، وتاريخها فى الجاهلية عبق فواح يتأرج بعبير العزة والحرية ، إذ أن ربيعة قد انفردت بين القبائل بمنازلة الفرس ، وتحدى آل ساسان ومن شايعهم من بنى المنذر بن ماء السماء ! فكانت غاراتها المتتابعة لا توجه إلى الأعراب من بنى القربى وذوى الرحم بل تهدف فى صميمها إلى منازلة الأعاجم ممن يبسطون سيطرتهم على العرب فى تغطرس وخيلاء حتى عرفت ربيعة بين القبائل بربيعة الأسد وربيعة الفرس رمزاً لشجاعتها الخارقة وعلو همتها فى مصاولة الأكاسرة العتاة ، وبنو شيبان من ربيعة فى الذروة والسنام إذ كانوا قادة المعركة فى يوم ذى قار ، حتى ضرب بهم المثل فقيل كأثر بشيبان وحارب بشيبان ! .

وقد نشأ المثنى بن حارثة فى هذه القبيلة الباسلة ، تجرى فى عروقه دماء العزة والأنفة وتفور نفسه حفيظة أن يسيطر على قومه أعجمى غريب يستعين عليهم بالأساورة والمرازبة والدهاقين ! فوقف يوم الفرات أحد أيام العرب فى الجاهلية : على رأس

---

(١) كتبت إجابة لرجاء الأديب حسين أحمد جاد الله من قراء مجلة الأزهر .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المقاتلين من بني شيبان ونازل الأعاجم بسيفه حتى شردهم أباديد ، وغرق مئات الأساورة في الفرات وساق أنعامهم وخيولهم وأموالهم نهباً مقسما لربيعة الأسد ، حتى أرخت ربيعة بيوم الفرات كما أرخت قريش بيوم الفيل !

وحين أشرق نور الإسلام كان المثنى مع قومه على شواطئ الفرات لا يعلم كثيراً عن حقيقة الدعوة الإسلامية فالأنباء تصله من مكة والمدينة متضاربة متناقضة لا ترسم لعينه طريق الهداية على وجهه الصحيح ، فرأى أن يتريث حتى يستيقن ، وبعث بمن يجمع له الحقائق عن قريش بمكة ، والأنصار بالمدينة ، وأخذ يوازن ويعلل ، حتى اهتدى إلى الدين الصحيح ، فأسرع بالرحيل إلى المدينة ، وبايع الرسول الأعظم على الإسلام في السنة التاسعة ، ورجع إلى مقره ، مطمئنا واثقا بدينه الجديد !! .

وكان يخلو إلى نفسه فيتذكر جهاد المسلمين في بدر وأحد والخندق وخيبر ومؤتة وتبوك فيستشعر أسفاً يضيق به إذ ابتعد عن شرف هذه المعارك ، وهو البطل الفارس ، وتمنى أن تعود الغزوات من جديد ليقف إلى جوار رسول الله بسيفه وبسالته جنباً لجنب !! لقد فاته الشرف الأسنى إذ تقاعس معذوراً عن ميدانه الأصيل في حمى المسلمين ! وليت الأيام تفسح المجال من جديد ! .

وكأن الأقدار قد سايرت هواه فلم تلبث حروب الردة أن نهضت بعد وفاة الرسول على قدم وساق وسارت الجيوش الإسلامية من المدينة تصاول أعداء الله من المتنبئين ومن لف لفهم من المؤلفة قلوبهم والمنافقين ووقفت القلة المؤمنة أمام الكثرة المرتدة ومعها إيمانها الراسخ ، ويقينها الأكيد . فسارع المثنى مشوقا إلى أداء واجبه في هذه المعمعة الخطيرة وقاد كتائبه من ربيعة وشيبان حتى التحق بعلاء ابن الحضرمي قائد جيوش المسلمين بالبحرين ، فأسهم معه إسهاما باسلا وأخذ يواصل القتال متقبا كتائب الكفر والمروق ، حتى استولى على القطيف ، وتابع الزحف إلى دلتا الفرات حتى أشرف بجيشه على أرض السواد ، وتمت كلمة الله بانتصار الإسلام فرجع المثنى بقومه سعيدا منتشيا دون أن يعرفه أبو بكر خليفة المسلمين !! وأخذ يحس بفرحة تغمره إذ بدأ الجولة الأولى من جولات الإسلام ، وطالما وازن بين شعوره بالنصر في معركة الردة ، وشعوره بالنصر قبل ذلك في معارك الجاهلية ، فرأى أن المعركة الأخيرة ذات طعم هنيء لذيذ ، فأجرها العظيم مدخر عند الله في جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، أما معارك الجاهلية فذات طنين يدوي

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى القبائل دون أن يكون له رصيده الضخم من رضوان الله ! وشتان ما بين الناحيتين من فروق ، ومن ثم فقد عزم على مواصلة الجهاد تحت لواء الإسلام ليضيف إلى سعادته الراهنة فيضا من السعادات !! .

وكان مما يأكل قلب البطل منذ نعومة أظفاره خضوع القبائل الضاربة حول الفرات لسلطان العجم وخنوع الحيرة بملوكها وأمرائها لكسرى وذويه ، فلماذا لا يحشد جهوده ، لحرب هؤلاء المتسلطين ، تحت راية الإسلام لقد كانت العروبة وحدها تلهب أحاسيسه فتدفعه إلى منازلتهم رغم ضآلة ما يمتلك من سلاح وعتاد ! أما الإسلام اليوم فقد أصبح دافعا قويا لهذه الحرب الضروس ، وإذا كان هذا الدين القيم عربى النشأة فلا بد أن يمتد حتى يشمل هؤلاء الذين يدينون بتفاوت الطبقات فى فارس ، ولا يعلمون ما هلله الإسلام لأبنائه من أن الناس سواسية كأسنان المشط ، لا فرق بين عربى وأعجمى إلا بتقوى الله والجهاد ! إن هذه المشاعر الإسلامية الجديدة تفتح منافذ جديدة فى أحاسيسه ، وتغمره بقوة لا تنفد ، فتدفعه دفعا إلى منازلة الفرس ، ودعوتهم إلى الدين الجديد ، وقد شاء أن ينهض لذلك الأمر بنفسه دون أن يرجع إلى خليفة المسلمين خشية أن يجد لديه ما يخالف رأيه فى هـــذا الميدان الرهيب ، فتفرق كلمة بنى شيبان وربيعة تفرقا لا يرضى البطل الكبير ، ومن ثم فقد أعلن الحرب على العجم ، وقاد الجيش الإسلامى من ربيعة إلى ميادين رائعة ، نازل بها فريقين مجتمعين فريق الأساورة الفرس ممن تعاظمهم أن يقف القائد العربى أمامهم بشجاعته الباسلة وفريق العرب من أتباع كسرى وخشاة بأسه ممن يستكثرون على أنفسهم منازلة طاغية جبار يسيطر على الشرق منذ أحقاب طوال وإذا كانت الأعمال بالنيات ، فقد استطاع المثنى ومعه أخواه البطلان الباسلان المعنى ومسعود أن يهزم كتائب الفرس حين تحرك شمالا على رأس قوة من رجال القبائل مساحلا الخليج الفارسى حتى بلغ مصب نهرى دجلة والفرات ، فأدار المعركة الأولى فى فارس بعد الإسلام إدارة المنتصر الباسل ، وتردد نجاحه الرائع فى آفاق العروبة حتى جاء أبا بكر بالمدينة فدهش كثيراً لما علم ، وأخذ يسأل أصحابه : من هذا الذى تأتى أخبار وقائعه قبل معرفة نسبه ، فرد عليه قيس بن عاصم المنقرى (هذا المثنى بن حارثة الشيبانى رجل غير خامل الذكر ، ولا مجهول النسب ولا ذليل العماد ! إنه المثنى !) .

كانت جيوش الخلافة الإسلامية تتجه بكتائبها المحتشدة لغزو الروم فى ديار الشام ، ولم يكن ليجول بخاطر أبى بكر أن يبعث

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

رجاله إلى فارس ، فالروم منذ غزوة مؤتة في تربص وتأهب لملاقاة المسلمين ، وقد كان اتجاه الرسول إلى غزوهم بالشام مبعث ثقة وإيمان في النفوس ، فكل مجاهد ينهض لهؤلاء إنما يحقق رغبة نبيه ، ويتابع خطته مطمئنا إلى نجاح العاقبة بإذن الله ، أما الفرس فقوم صلاب شداد سار لهم في العرب ذكر مهيب مخوف ، والتفكير في منازلتهم مظنة خطر بعيد ، إذ أن أفيالهم الكثيرة تتقدم جيوشهم الظافرة فتغني غناة أبشع الأسلحة فتكا ، وأعتى الذخائر إبادة . فكيف يلبي أبو بكر دعوة المثنى إلى نضال آل ساسان ؟! لو كانت دعوته تلك قد سبقت أوانها قبل أن تتحرك الجيوش إلى قتال الروم ، لأمكن الخليفة أن يوحد جبهة القتال ، فيجعلها في الشرق مع فارس دون أن يتشعب الجيش الإسلامي إلى فرقتين متباعدتين ! الحق أن المأزق حرج ، ولا بد للخليفة أن يقبر مواطئ أقدامه قبل أن يصدر قراره النهائي !! فيلبث حينا لا يدري ماذا يصنع ! .

ولكن المثنى العظيم يصل إلى المدينة بنفسه فيقابل خليفة رسول الله ، ويهون من شأن الفرس إذ يبسط أمامه سجل حروبه معهم في الجاهلية والإسلام ، ثم يتشعب الحديث ، فيناقش أبا بكر في قراره الذي اتخذه بشأن المرتدين بعد أن رجعوا إلى الإسلام ، إذ شاء أبو بكر أن يحرمهم من الجهاد في الفتح الإسلامي ليقصر شرفه على الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه من الوفاء للدين والثبات عليه ، فكان من رأي المثنى أن يرجع أبو بكر عن قراره ليتيح لهؤلاء سبيل التوبة الحقيقية إذ يمتشقون الحسام دفاعا عن دين لقوا تكفيراً لما أسلفوا من حرب الإسلام !! وكان للبطل منطقه السديد ، ورأيه النافذ فاقتنع أبو بكر بوجهة نظره ، ودعا المسلمين عامة إلى البلاء في الغزو فسنحت الفرصة أمام هؤلاء النادمين ليقوموا بما يكسبهم شرف الرجولة فينسخوا ليل الماضي بصباح الغداة ... وما أعظمها خطة جعلت كتائب المجاهدين تتدفق من كل مكان راغبة في الجهاد عن طواعية وترحاب ، وسالت الشعاب المنفرجة في بطن الجزيرة هاتفة بالغزو ، مدوية بنشيد الجهاد : الله أكبر الله أكبر !! غير أن التفكير كان متجها جهؤلاء إلى الروم لا إلى فارس ، ولكن المثنى الباسل يستل المنبر ليهون من شأن المجوس ، ويلفت الأنظار إلى الميدان الجديد ، وقد شاء الله أن يختار أبا بكر إلى جواره الكريم قبل أن يصدر قراره النهائي ، فاستدعى رضي الله عنه عمر بن الخطاب في مرضه الأخير ليقول في إصرار : (اسمع يا عمر ما أقول لك ثم اعمل به ، إني لأرجو أن أموت من يومي هذا ، فإن أنا مت فلا تمسين حتى تندب الناس مع

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المثنى ، وإن تأخرت إلى الليل فلا تصبحن حتى تندب الناس معه ، ولا يشغلنكم مصيبة وإن عظمت عن أمر دينكم ووصية ربكم ، وقد رأيتني متوفى رسول الله وما صنعت ، ولم يصب الخلق بمثله) .

مات أبو بكر ! فبايع الناس عمر ، وكان أول ما بدأ به أن ندب الناس مع المثنى قبل صلاة الفجر من هذه الليلة نفسها ، وقام المثنى فخطب الناس بعد البيعة قائلا : (أيها الناس لا يعظمن عليكم هذا الوجد ، فإننا قد تبجحنا ريف فارس ، وغلبناهم على خير شق الواد ، وشاطرناهم ، ونلنا منهم ، واجترأ من قبلنا عليهم ، ولها إن شاء الله ما بعدها ! !) ثم تحدث المثنى عن جهاد خالد معه فى حرب العراق وكان أبو بكر رضى الله عنه قد أمده به ليحمى العرب على شواطئ الفرات فقط دون أن يدور بخلده امتداد القتال إلى بطن فارس فأبلى خالد أحسن البلاء مع المثنى وانتصر القائدان فى مواقع ذائعة نذكر منها : الولجة ، وذات السلاسل ، والأنبار . ثم جاء أمر أبى بكر بانتقال خالد إلى كفاح الروم فى اليرموك مكتفياً بتأمين الحدود العربية ! فأسف المثنى أسفاً زائداً لمحاولة انتهاء المعركة مع فارس على هذا النحو المفاجئ ، وجاء بشخصه إلى المدينة ليعلن تصميمه على مواصلة القتال ، والحق أنه نجح فى مسعاه أكبر نجاح إذ أقنع أبا بكر وعمر ، وخطب الناس بالمدينة فثبت يقينهم وهون عليهم أمر المجوس ! فسارت الكتائب مشوقة للصراع ...

على أن عظمة المثنى الباهرة تتخطى الحدود المعقولة ، حين نجده يتناسى شخصه ، فيقبل بارتياح تام أن يكون الأمير المسلم على الجيوش غيره ، وهو الذى ذلل عقبات النصر وفتح باب الهجوم على الأسوارة متحديا جميع الصعاب مهما تجمعت من حوله وتذاءبت عليه ، ! فحين جاء خالد بن الوليد إلى الحيرة بادر فانضوى بجنده تحت لوائه وأبدى من الجهاد والبسالة ما تعجب له خالد وأكبره ! وحين هم بالرحيل إلى اليرموك شد على يد المثنى وقال له فى اعتزاز : ارجع إلى إمارتك منصوراً سيداً كما كنت ، وقد يكون خالد أعرف الناس ببسالة صاحبه ، كما يكون المثنى أكثر ميلا إلى الانضواء تحت رايته من غيره إذ أن كفاح سيف الله فى حروب الردة قد جعل القيادة من حقه فى معتقد بعض الناس ، أما الذى يثبت العظمة النفسية على وجهها الصريح للمثنى فهو قبوله إمارة أبى عبيد بن مسعود الثقفى حيث أمره عمر بن الخطاب دون المثنى ! ولم تكن له من السابقة الذائعة ما يقنع المثنى بكفايته عن يقين ، ولكن المثنى كان أطوع له من بنانه ، وقد أخذ يبصره بمواقع الأمر تبصير

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من يرجو على يده النجاح والظفر ! ! وكان فى أبى عبيد الثقى إيمان وإخلاص ، ولكن الدربة الحربية كانت تعوزه وهى وحدها وسيلة الانتصار ، فحين تجمعت الجموع الفارسية فى معركة الجسر وقد حشد لها رستم مئات المهرة من القواد وعشرات الآلاف من الجنود مصمما أن يقذف بالعرب نهائيا من أرض العراق ! أقول حين حشد رستم جموعه الكثيفة خلف الأفيال والخيول والسلاسل ، ونظر المثنى فعلم أن الجيوش العربية ستطوق تطويقاً حاسماً بهذا الجمع الهائل المديد. أشار على أبى عبيد بالانسحاب من الحيرة إلى خفان ، ليستطيع أن يجد فى الصحراء الممتدة ملاذا للفرار إذا ضاق به المأزق ، وتلك خطة سديدة إذ أن سياسة الاحتفاظ بالأماكن المحتلة كثيرا ما تجلب الوبال على المحتفظين ، وقد قبل أبو عبيد مشورة صاحبه ، فانكفأت الجيوش متراجعة إلى خفان .

وحانت الساعة الفاصلة أمام جسر الفرات، فرأ المسلمون على الضفة المقابلة من الطوفان الفارسى الزاحف ما لا يحصى عدده غير الله من الجنود والخيول والسلاح ، وبعث جاذويه قائد الفرس رسوله إلى العرب يسأل من الذى يعبر الجسر من المتقاتلين ليلتحم النضال ، وكان من رأى المثنى أن يعبر الفارسيون ليكون أمام العرب متسع من البادية إذا حان خطر شديد ، وصمم أبو عبيد أن يعبر المسلمون لتشتد حماستهم الدافعة ، وتكون الثقة الحية فى نفوسهم كفيلة بالتقدم فالاكتساح ، وقد أطاع المثنى أمر القائد العربى كارها غير راغب ، وزحفت الجيوش الإسلامية لترى كوكبة من الأفيال تبعث الرعب فى النفوس ، وقد سارع أبو عبيد إلى الفيل الأكبر يضرب خرطومه بسيفه ضربة لم تصب مقتله فهجم عليه ووطأه بخفه فسقط شهيداً ، ودب الرعب فى نفوس المسلمين ، وهموا بالانسحاب إلى الجسر ولكن أحد المتحمسين من العرب قد ارتكب خطأ فاحشا حين هدمه ليمنع الفرار ... ونظر المثنى فإذا الحرب بعد سقوط الجسر تصبح حرب إبادة واستئصال للمسلمين ، فتقدم مضحياً بنفسه مع لفيف من قومه الأشداء ، وتصدى صابراً لهجمات الفرس ثم بعث بمن يعيدون بناء الجسر فأمكنهم فى ظل هذه المؤخرة الصامدة الثابتة التى دفعت باستبسالها المستميت كل زحف أن يقوموا برسالتهم فنهض الجسر كما كان ، وانسحب الباقون إلى حيث كانوا من قبل ، ولولا وقفة المثنى وجماعته لكانت موقعة الجسر موقعة إبادة واستئصال العرب ! ولكن الله قد أيد البطل بروح من عنده

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فلم يتوان لحظة فى مأزقه مع ماصوب إلى جسده من النصال ! لو أن جيوش (جاذويه) تتبعت فلول المنهزمين إثر معركة الجسر لاندحر المسلمون اندحاراً يتغير معه وجه التاريخ ، ولكن الخلاف حول الحكم فى المدائن بين رستم والفيرزان قد وجد سبيله إلى الجيش الفارسى ، فلم يغتنموا الفرصة السانحة وأضاعوا النصر الساحق لأمر قدره الله ، فأخذ المثنى يجمع الفلول المتناثرة ، ويرسل إلى العرب فى القبائل البعيدة يدعوهم لنصرة إخوانهم المستبسلين ، وأمده عمر بن الخطاب بكتائب جديدة تعوض بعض ما ضاع يوم الجسر من آمال ، ثم احتشد بجموعه بالبويب قريبا من الكوفة ، وشهد الفرات مرة أخرى جيشين يتقابلان على ضفتيه وليس بينهما غير الجسر ، فبعث مهران القائد الفارسى الجديد رسوله يسأل من الذى يبدأ بالعبور ، وكان المثنى هو القائد دون سواه فلم يقع فى خطأ أبى عبيد ، وطلب من الجيش الفارسى أن يجرب دوره فى العبور ، ثم استعد بأبطاله ليقابل المندفعين إليه كالطوفان المزبد يملئون الأرض عجيجا وجلبة ، وقد وجد المسلمين يتمكنون الفيلة خانقين ، فتحرأ على منازلتها بالسيف عن خبرة واقتدار ، وقد سبق أن عرف مقاتلها فى معركة بابل وطار له معها بين العرب حديث سجله الفرزدق بعد عشرات السنوات حين قال :

ومنا المثنى قاتل الفيل وحده

ببابل إذ فى فارس حكم بابل

أجل هجم المثنى على الأفيال جريئا غير هياب ، وهجم أخواه المعنى ومسعود معه فى ساحة الموت مستبسلين ، ونظر المسلمون فإذا آل حارثة الشيبانى يتوسطون النار الملتهبة مغامرين فغمرت الناس حماسة لا تصهد ، واندفعوا وراء الأبطال ، وكأنهم فقدوا عقولهم فلم يفكروا فى خطر الأفيال والسيوف والرماح ونظر المثنى فإذا صفوف بنى عجل تتقهقر ، فترك مكانه ليصرخ فى وجوههم : يا بنى عجل اتقوا الله حق تقواه ولا تفضحوا المسلمين ثم عاد إلى مكانه فوجد أخاه مسعوداً قد استشهد فخاف أن يزعزع مصرعه بعض النفوس فكظم حزنه الأليم وصاح يا بنى الإسلام لا يزعجكم مصرع أخى فكذا مصارع الأخيار ، واندفع إلى الميدان مجلجلا بالتكبير !

وكان البطل قد جمع إلى جيشه فى معركة البويب طائفة من نصارى العرب يقاتلون حمية لإخوانهم فى الدم لا فى الدين ، فلما طال القتال واشتد أراد أن يلهب حمية المسلمين فتقدم إلى أنس بن هلال النمرى وقال له : (إنك أمرؤ عربى وإن لم تكن على ديننا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فإذا حملت على قائد العجم فاحمل عليه معنا) فأطاعه أنس مع نفر من قومه وحملوا على القائد فقتله غلام نصرانى من تغلب ! ورأى المسلمون ذلك فاستبسلوا مستميتين ، حتى انكشف الأعداء، وقد اهتبل المثنى الفرصة فتقدم إلى الجسر فأسقطه لينتقم للمسلمين من المعركة السابقة وخف المنهزمون من الفرس إلى الجسر فلم يجدوه ، فتتبعهم العرب قتلا واستئصالا وصاروا بين قتيل وغريق ... وقر المثنى عينا بالنجاح .

هال يزجرملك الفرس ماحل بقومه بعد معركة البويب فاستعد لموقعة تكون فى رأيه معركة الحياة أو الموت، وجاءت النذر للمثنى بما ينويه صاحب الفرس، فكتب إلى عمر بن الخطاب يسأله المدد الحفيل فأرسل سعد بن أبى وقاص على رأس جيش كبير إلى المثنى ، وقد شاء القدر ألا يتقابل البطلان حيث مات المثنى متأثرا بجرح أليم أصابه يوم الجسر فظل يهادنه مستعينا بالصبر حتى انتفض عليه فجأة فأسلم الروح شهيدا أبيا ذا همامة وعزة وإيمان ، وحين تيقن الموت دعا كاتبه ليملى عليه كتابا إلى القائد الجديد ضمنه خلاصة تجاربه ، وزبدة نصائحه، فضرب بذلك أرفع الأمثلة فى الإخلاص لعقيدته والحرص على انتصار ذويه ، وإن كان النصر على يد غيره من اللاحقين .

مات المثنى فبكته البطولة والكرامة ، وجاء سعد بن أبى وقاص ليلتقى بجيوش فارس فى القادسية ، وقد تكاثرت الفيلة تكاثراً هنيفاً بسطوتها القاهرة على العرب ففر كثير من المسلمين مذعورين ، ورأت سلمى زوجة المثنى - وسعد من بعده - ما كان ، فصاحت فى غضب وامتناه !! ولا مثنى للخيل بعد المثنى ! فحمل الفارون خزيا ورجعوا إلى الحومة مستبسلين ! حتى كسبوا النصر ، وقال قائلهم فى إكبار : رحم الله المثنى فقد نفعنا حياً بجهاده وميتاً بذكراه .

محمد رجب البيومى
المدرس الأول بدار المعلمات بالفيوم

من أقوال مصطفى صادق الرافعى فى الغنى والفقر :

* ينبغى أن تقدر ثروة الإنسان لا بأمواله ومستغلاته ، بل بعدد الأشياء التى يستطيع أن يعيش غير محتاج إليها .
* الغنى أن تملك من الدنيا ، ولكن أحسن الغنى أن تهنأ فى الدنيا .
* الفقر خلو من المال ، ولكن أقبح الفقر خلو من العافية .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

محاولة لبعث القديم

للدكتور أحمد كمال زكي

تمهيد :

محاولات الرصد العلمي لأدبنا لم تنته إلا إلى نتائج محدودة ، ولعل حظ الإخفاق فيها أكبر من حظ التوفيق ، ولم تجد محاولات المستشرقين إلا فيما قدمه بروكلمان[1] من ناحية وجرونباوم[2] من ناحية أخرى ، وتراوحت أعمال غيرهما بين العرض التاريخي أحيانا والنقد التأثري أحيانا بغير جدوى كبيرة في الغالب. بل لعل صنيعا كالذي قدمه الدكتور طه حسين مثلا في « تجديد ذكرى أبي العلاء » . كان أجدى على أدبنا مما قام به نلينو وهو هو من نعرف في ميدان الاستشراق !

ولقد أسهم أساتذتنا من جانبهم في الجهود الذي حمل لواءه المستشرقون ، غير أن كثيراً من عملهم لم يخرج عما قدمه جوزيف برجستال سنة ١٨٥٠ ، وكان من نتيجة هذا أن توجهوا إلى دراسة الآثار الأدبية - ولاسيما الشعر - دراسة فيلولوجية ساعدهم فيها علماء الغرب ببسط أساليب التحقيق الفني أمامهم - واستطعنا عن هذه السبيل أن نصل إلى الحقيقة الطريفة التالية : وهي أن أدب التقليديين في حرصه على تحقيق مثالية الجاهليين الشكلية أهدر عبقرية الشعراء وألغى ذاتيتهم .

وكان من الممكن أن يستمر الأمر على هذا النحو ، إلا أن الجهود ما لبثت أن تضافرت على وضع الأساس لبناء جديد استعين فيه بواحد كطه حسين وآخر كمحمد أحمد خلف الله وثالث كبروكلمان ، وقدم من ثم الدكتور محمد نجيب البهبيتي كتابه « تاريخ الشعر العربي إلى نهاية القرن الثالث » كما قدم الدكتور شوقي ضيف أول أجزاء تاريخ الأدب العربي كله وكما يقدم غيرهما أعمالا فيها الأصالة المنشودة وفيها الدقة والمنهجية التي كادت تقصر على نيكلسون وبروكلمان .

وقامت في الوقت نفسه حركة تبعد قليلا عن الحركة السابقة . . حركة قصد بها تجديد

---

(١) أصدر في فينا كتابه « تاريخ الأدب العربي » في سبعة أجزاء عرضت لنحو عشرة آلاف أديب .

(٢) يجب أن نقر هنا أن فون كريمر كان من من للبرزين في هذا الميدان ولعل جرونباوم يمثل الآن نشاطه الآن من بعض الوجوه .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الدرس الأدبي تجديداً يقوم على فهم القديم داخل بيئاته الخاصة ، وكانت تصاحبها حركة ثالثة تقوم على نقد الفنون الأدبية نقداً يفترض كثيراً من النظريات التي تفسر نشأتها وتحدد خطوات سيرها ، وأتيح لهاتين الحركتين أن تبقيا إلى الآن متزعما الأولى الشيخ أمين الخولي وحاملا لواء الثانية جولدتسيهر ، وربما لو اتحدت مجاهداتهما . . فأخذ كل بالإقليمية العلمية وبفلسفة الإيحاء الفني وروحه مع العناية بأسباب الاقتصاد وغيره ، لكانت النتيجة خيراً لا شك فيه .

على أن الآثار كلها لم تلبث أن كشفت عن عمق ما ذهب إليه الدارس الغربي ؛ لأنه في حقيقة الأمر لم يكن يهمل شيئا مما يحيط بأي نص أدبي كما لم يحاول أن يغفل أية دراسة يمكن الانتفاع بها . . بغض النظر عن اقتران فكرته بما تهاجم به من احتجاج يقدمه غلاة القومية ، وهم هؤلاء الذين يحاولون إلغاء الإقليمية على أسس من التحمس العجيب !

ويمكن القول بصفة عامة إن قسم اللغة العربية بآداب القاهرة استجاب للدعوة - على أي وجه - وجند أبناءه للدرس الإقليمي المتخصص ، فقام بعضهم بدراسة الكوفة ورصد آخر لمعالم البيئة الأدبية في البصرة ، وقام ثالث بمثل هذا وذاك في الحلة ، وعرض رابع لحلب وهكذا ...

في سبيل التجربة :

وقد يعن لنا تطبيق نظرية الإقليمية أن نسأل بادئ ذي بدء ماذا حول النص ثم إلى حد ترتبط نتائج البحث بالكيان الكلي للأدب ؟ والشق الأول من السؤال يقضي بدراسة آثار العروبة الأم مع دراسة آثار الإقليم الأولى ، والشق الثاني يفضي إلى المقارنة بين الأصل وما تفرع عنه لوضع أيدينا على الملامح المشتركة فنتعرف - بعد - على وجوه الخلاف ، وإذ ذاك يتبلور الجديد .

وليس هذا عسيرا ما خلصت النية وصح العزم ، فإن من أقوى الدعائم أن تنافش الآثار في أدق أبعادها وفي أعمق جذورها وليس يصح أن يقال مثلا . إن نظرية أرسطو في الشعر والخيال هونت من حظ الخيال عند العربي وأضعفت من طاقاته الخلاقة (١) لمجرد أن نثبت عراقة التقليد أو ضحالة التوليد خلال العصور التي أعقبت الجاهلية .

إن وراء ذلك من الأسباب ما تمليها طبيعة الإقليم من ناحية وطبيعة اللغة التي تحتل هذا الإقليم كأداة تعبير رئيسية من ناحية ثانية . ومن هنا تكون نظرتنا إلى الكوفة مثلا غير

---

(١) راجع جوستاف فون جرونباوم في « دراسات في الأدب العربي » صفحة ٩ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نظرتنا إلى بغداد وغير نظرتنا إلى الموصل أو الحلة أو واسط، وتكون النظرة إلى هذه البيئات جميعا غير النظرة التي تسدد إلى بيئات مصر أو الشام أو اليمن .

نحن نهتم بالنتائج في المحل الأول ، فإذا قلنا متعجلين إن أدب العراق يختلف عن أدب مصر في عصوره الأولى على نحو ما فنحن لا نقدر مدى الخلف حقا حتى ندرس بيئات هذا الأدب ولن نصل إلى ما نريد حتى نستعين بالميثولوجيا والأثنوجرافيا والأنثروبولوجيا وغيرها من ألوان العلم المنظم .

ويهدينا هذا العلم إلى أن كثيراً من المدن التي قرر الدارسون أنها بنيت في الإسلام كانت تلعب دورها في التاريخ قبل أن تعرف هذا الدين الجديد ، وأن نشاطها الأدبي - بناء على ذلك - يجب أن يتعرض لهذه المرحلة « اللا إسلامية » . . فالكوفة مثلا لم يؤسسها العرب في العام السادس عشر أو السابع عشر الهجرى [1] . وإنما كانت موجودة باسم العاقولا أو الياكيولو [2] ، ودلت الأبحاث على أن في مكانها قرب الخورنق والسدير كانت ثمة منطقة يحكمها عربي من الجنوب وعرفت باسم كوبقة ابن عمرو الأزدي [1] .

فإذا انتقلنا إلى البصرة نراها - في عرف التقليديين - إسلامية يبنيها عتبة بن غزوان في السنة الرابعة عشرة من الهجرة ، ولكن إسلاميتها لا تثبت أمام ما وقع فيه رواة الأخبار حين أرادوا أن يتفهموا مدلول التسمية ، ولما استعان هؤلاء بالمغويين وقعوا في سلسلة من المتناقضات لأن البصرة عندهم فيها حجارة سود أو لأن فيها حجراً أبيض أو لأنها « كذان » أو ذات أرض غليظة أو صلبة أو طين علك [2] .

في مثل هذه الظروف يجب على الباحث أن يتشكك ، ويلجأ في هذه الحال إلى دراسة تاريخ موقعها ، وهنا نجد بصريا ثانيا في الآرامية ونرى بعض الباحثين يقول إن « بصر » بالكلدانية الجزء الضعيف و « بصريا » و « باصرا » و « باصربي » محل الأكواخ . وفي العهد الفارسي نراها « بسي راه » أي الطرق الكثيرة يروي ياقوت لحمزة الأصبهاني أنه سمع أحد الفرس يقول : البصرة تعريب

---

(١) راجع فتوح البلدان للبلاذري صفحة ٣٨٤ ومعجم البلدان لياقوت ٧ : ٢٩٥ .

(٢) يزعم ماسينيون أن هذه تسمية سريانية للكوفة .

(١) لسان العرب مادة « كوفة » .

(٢) لسان العرب مادة « بصر » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بسبراه لأنها كانت ذات طرق كثيرة انشعبت منها إلى أماكن مختلفة (١)

وإذن فتأريخ أدب البصرة العربي ـ كتأريخ أدب الكوفة لا يمكن أن يكون كتأريخ الأدب في بغداد التي أنشئت عام ١٤٥ ، ولا يبدأ بدخول العرب المسلمين إقليم العراق ، وإنما يمهد له كل ما مر على البصرة والكوفة من أحداث في عهودهما الآرامية والفارسية ثم العربية . . لأن الأدب فن ، والفن ابن التاريخ البعيد ! .

ويتبع هذه دراسة « سكانية » تبين حقيقتين هامتين أولاهما غلبة الآراميين واليمنيين (٢) على الكوفة وتسود الفرس وتميم مدينة البصرة ، إلا أن هذا لم يمنع وجود عناصر أخرى ـ ولا سيما في البصرة أشهرها الهنود والزنوج والسريان الذين يختلفون في أصلهم اختلافا كبيراً

وليس من شك في أن هذا يعقد الأمور إلى حد بعيد ، فإذا قلنا بعد ذلك إن سكان البصرة كانوا يميلون إلى الثورة ويجنحون إلى الشك ويحسنون الجدل وينزعون نزعة استقلالية ويأخذون بواقعية مغرقة في المادة إذا قلنا ذلك قلناه ونحن ندرك أن طبيعة أرض البصرة كانت مضطربة لا تثبت على حال تأكلها البطائح مرة وتأكل هي من البطائح مرة ، وتشقها الأنهار حينا وتنظم هذه الأنهار حينا آخر ! كما ندرك أنها ثغر تقوم حياته على الأخذ والعطاء والمناقشة والمساومة ومن هنا يحتك الفارسي باليوناني ويحتك هذان بالنبطي ، ويسمع من الجميع زنجي من الزنوج ولا يلبث أن يحمله إلى هندي فيتمعن ويتأنى ولكنه لا ينزل عن شيء من حقه لأنه هو الذي يكد وهو الذي يتغرب ، وينظر النظرة نفسها سواه فتشيع الفردية وتعظم الأنانية ويكره الجميع أن يحد أحد من سلطانهم وهكذا .

وإذن فلم يكن العرب من تميم هم الذين لونوا حياة البصرة بلون ثائر ... بل العكس يقال هنا ، فقد مثلت تميم في بيئة البصرة كل قوى المحافظة ، وأبت أن تنزل عن كثير من عادات العرب الأقحاح ولا سيما طوال القرن الأول الهجري وبعض الثاني ونصبت نفسها حامية للغة والفصاحة ، داعية إلى عروبة ارستقراطية أثارت عليها حفيظة العناصر السكانية الأخرى ، ومن ثم بدأ تيار الشعوبية في الظهور .

وربما يحسن أن ننصرف عن التفصيلات في مناقشة هذا الجانب ، وإنما نقول إن كل شيء في البصرة أصبح يمهد لظهور المتكلمين

(١) لكاتب المقال « الحياة الأدبية في البصرة » وفيه عن ذلك كثير

(٢) أشهر قبائلهم همدان وحمير ومذحج وكندة والأزد .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولا سيما المعتزلة آخذين أصول العقائد على أساس عقلي، ومناقشين النقول القديمة على ضوء الحقيقة، فشكوا فيما لا يقبله المنطق، وقعدوا اللغة بعد بحث دقيق فى مرويات الجاهلية.

وبدا الأمر كما لو أن المعتزلة كانوا مسئولين عن تحطيم كثير من التراث وإنكاره، فوجد الشعوبيون فرصة ذهبية للمشاركة فى عملية التحطيم لإحلال حضارة الفرس التى اندثرت بانتصار العرب المسلمين غير أن هذه الموجة لم ترتفع إلا منذ القرن الثانى الهجرى، وأما القرن الأول فقد مضى والسلطان العربى فى أوجه وكانت تميم كما قلنا توجه الحياة وجهة محافظة وتربى جيلا من الفصحاء نشأ فى كنفه ابن المقفع وظهر فيه جرير والراعى والفرزدق الذين تحول شعرهم إلى ضرب من الجدل شغف به كل البصريين.

وقد لوحظ أن أغلب الشعوبية وسيظهر فيهم عمالقة الشعر والنثر كانوا يشبون فى كنف ربيعة والأزد، فمثل هؤلاء موجة التحرر والخروج على سلطان تميم الرجعى، ولم تفقد تميم هذا السلطان إلا بعد انتصار العباسيين واستعانتهم بعلوية ربيعة وشيعة الأزد.

حقيقة الشجرية الضبية:

وأخشى أن ألجأ إلى ضرب من الافتراض فى سبيل معرفة تلك الحقيقة، وهو افتراض يسنده التاريخ وتظاهره النصوص نفسها.. إنه لا يعتبر من قبيل المعرفة وإن يكن يقضى بألا نخلع عنه صفة الصدق المطلق، وعلى هذا الأساس لا نقبل كل ما يصل إلينا داخل الإقليم الواحد، وبالتالى لا ندرجه تحت أى لون من ألوان التقسيم الزمنى الذى يقرره مؤرخو الأدب.

إننا قد نجد بعض الملحوظات الهامة عند هؤلاء المؤرخين، تماما كما نجد مثل هذه الملحوظات تتساقط من أفواه الرواة الكلاسيكيين، فإذا لم تكن هذه مما يهدر الذاتية ويفتئت على المنهج العلمى أمكن جعلها علامات على الطريق.

قد نقبل من طه حسين مثلا منهجه الديكارتى، وقد نطبق دعوة جب إلى الاهتمام بدراسة مراكز التطور الثقافى فى المجتمع الإسلامى، وقد ننحو نحو شوقى ضيف فيما ذهب إليه فى كتابه «التطور والتجديد»... قد نفعل ذلك، ولكننا لا نفعله بصفة عامة، وإذا فعلناه اصطنعنا أسلوب النقد التاريخى لأننا سنفترض أنهم استعانوا بتراث ضاع معظمه وحرف من ناحية ووثقوا قوما كان من الواجب ألا يكونوا عدولا على خط مستقيم.

فأبو الفرج مثلا يشوه مروياته عن أبى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

العتاهية فى كتابه « الأغانى » إذ يسوق أغلب أسانيد هذه المرويات عن خصوم الشاعر ، وإذا كان منهجه يرفض ما تتطلبه منه أساسا فإن مروياته - برغم ذلك - تظل عارية عما يشترطه الباحثون فى أسلوب « السيرة » لأنها لا تعنى برصد الزمن أو تطوره ، ولأنها تشبه أشعار بشار بن برد - من وجهة نظر الناقد القديم - من حيث إن فيها الشذرة بجانب البصرة !

ومعنى هذا بعبارة موجزة أننا نتقبل ما يقيم أحكامنا ويؤيدها . . معناه أننا نعنى بالصالح مما قاله غيرنا ، ومن ثم نصل إلى أن المحاولات بما تستند إليه من تمحيص ونظر تقدم الحقائق بغض النظر عن كل المتناقضات العرضية ! ويبدو من العسير علينا حقا أن نتعرض لأدب البيئة داخل الإقليم المعين . . فكيف نبدأ - فى البصرة مثلا - ومن أين وإلام نظل متعلقين بماضى العرب مع وضع ماضى البلد كله فى كفة ميزان ؟

لنعد إلى الافتراض ، ومن ثم نتصور - فى أول عهد المدنية المسلمة - حياة القلق وعدم الاستقرار ، ثم نقرر أنه لم يكن هناك أدب إلا بعض ما كان يتردد على لسان العجم ولم يكن للعرب به دراية ! وإذا كانت البصرة قد سمعت مع ذلك شيئا من الأدب العربى فإنها لم تسمع إلا أدب الجاهلية .

على أن احتكاك هذا الأدب بما فى المصر الجديد القديم ، وجلوس الأعاجم إلى سماعه باعتبار أن لغته هى لغة القرآن الكريم ، ثم محاولة بسط السلطان القبلى على أنه مظهر لتماسك العرب . . أقول كان هذا يغذى تيار الأدب بدم آخر ، وكان جيل الأدباء - خضوعا لسنة التطور ونتيجة للتفاعل الحتمى - يتخلى عن كثير من أصالة الفنان الجاهلى .

معنى هذا أن الفنان البصرى بدأ يظهر . . تماما كما بدأ الفنان الكوفى يظهر ، وأخذ كل منهما يعيش حياته التى كانت تأخذ من العروبة شيئا وتتقبل من الشعوبية شيئا آخر !

وكانت النتيجة أن الأدب فى البصرة عاش فى أنماط لغوية لم تختلف عن أنماط الجاهلية طوال العهد الذى تسودته تميم ، فلما تخلت تميم عن هذه السيادة - لأسباب سياسية فى الغالب - أفسح المجال لأدباء خلفوا آل الأهتم وخول النقائص جميعا وكانوا من الموالى ، ولم يكن ثمة فاصل حقيقى بين عهدى تميم وما أعقبه غير أننا نجعل أيام هشام فقط انتقال :

وكان عصر تميم عصر الحفاظ اللغوى ، وكان عصر ما بعد هشام عصر التحرر اللغوى . .

كانت اللغة كظاهرة اجتماعية تتعرض لكل هزة يضطرب لها المجتمع الإسلامى ، وقد استطاع العرب أن يحفظوها حتى ولد الموالى من الأدباء . . فحوروها ، ومالوا بها عن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الجادة ميلهم إلى الحياة المدنية التي كان قوامها اللذة وانتهاك حرم التقليد ! .

ويمكن أن نلحظ بسهولة رجلين قاما بتشكيل أدب التحرر اللغوي ، هما ابن المقفع في النثر وبشار بن برد في الشعر ، وكلاهما كان مولى مضيع النسب[1] يكره العرب ويدعو إلى أن يتملك الأحرار من الفرس ولا يحترم الدين ويجيد فنون الكلام من خطابة ورجز وغريب ويتظاهر بالعلوية ويأخذ بأسباب اللهو ويصادق كل منهما الآخر ويموتا مقتولين.

لقد استطاع ابن المقفع وقد انصرف إلى الكتابة أن يجعل النثر فناً لا يقل أثراً عن القصيد ، وعبر بأسلوب فني في « كليلة ودمنة » وبأسلوب تقريري في « رسالة الصحابة » عن مأساة الموالي وطموح الشعوبية .

واستطاع بشار أن يعطي للشعر مفهوماً ضمنه الفكرة التي ألح عليها ابن المقفع ، وألقى بالقصيدة العربية إلى العامة فاستغل تلاميذه هذا أحسن استغلال .

ولكن تقسيمنا التطور الأدبي على ابن المقفع وبشار لا يعني أنا نقسم الأدب إلى شعر ونثر في المحاولة التي نقصدها ، فقد آثرنا أن نجعل الأدب بنوعيه كلا متماسكا عبر به الأديب عن تجاربه التي اضطرب بها . فإذا هو في آخر الأمر تعبير عن ماض كان وعن حاضر كائن وعن مستقبل يمكن أن يكون .

وبهذا التقسيم نتجنب الوقوع فيما وقع فيه الدارسون القدماء من تناقض . جوهري أنهم لا يستطيعون أن يضعوا علامات مميزة على قوالب التعبير لأنها نتيجة تجارب نفسية معقدة ، فقد كان الشاعر حين يمدح مثلا لا يتخلص من استعداده السيكلوجي ومن النظم الفنية المتوارثة ، فيفخر ويتغزل ويصف ويحقق ما يسميه الكلاسيكيون بفنون الشعر ؟

لقد كان من شأن القيود التي فرضها الأولون على دراسة الأدب أنها حالت بين طبيعته وبين أن يصبح جانبا من جوانب المعرفة شبه اليقينية ، ومن أجل ذلك نضطر - غير آسفين - إلى إلغاء كثير مما وضعه الأجداد ما دمنا نستبدل به شيئا أكثر جدوى وأعظم غناء .

وتلك حقيقة التجربة !

هي أن نعيد النظر في تنسيق ما صح من النصوص داخل الإطار البيئي ، ودراسة المحصلة على أساس أنه تعبير يشغل حيزا زمنيا معينا ؟

دكتور أحمد كمال زكي
مدرس الأدب العربي بجامعة عين شمس

(١) كان أبو بشار طبانا صعد الرواة بنسبه إلى لهراسف الملك الفارسي ، وكان أبو ابن المقفع يصنع القفاع ، ولكن الكاتب جعله أميرا من أمراء الخراج أيام الحجاج .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

التنافس السلمي حول الثقافة في الإسلام

للأستاذ حسن فتح الباب

— ١ —

تمهيد :

أثيرت في الآونة الأخيرة مشكلة الحرب الباردة التي تدور رحاها بين المعسكرين المتنازعين في ميدان جديد لم يسبق أن تناولته تصريحات الساسة أو تداولته أقلام الكتاب والمعلقين على الأنباء العالمية في أجهزة الإعلام المختلفة ، ونعني به « الميدان الثقافي » .

فقد ظل الصراع المرير بين الكتلتين الكبيرتين منذ نشب في أعقاب الحرب العالمية الثانية قاصراً على الميادين السياسية والاقتصادية والعسكرية بوصفها المحور الرئيسي الذي يدور حوله النزاع حتى يوشك أن يهوي بالعالم من جراء هذا الانقسام في أتون حرب جديدة مدمرة تقضي على حضارة الإنسان ، وتعيده إلى عصر الهمجية الأولى .

وأصبحت قضية نزع السلاح أخطر القضايا التي يواجهها عالم اليوم منذ انتهى الرأي العام العالمي إلى أن عقد « معاهدة نزع السلاح » هو الحل الحاسم لمشكلة الحرب الباردة ، والعلاج الناجع للأدواء التي نجمت عنها ، وأغرقت الشعوب في دوامة من القلق والتوتر والخوف على مصير الجنس البشري ، ومن ثم ارتفعت الأصوات من صفوف الدول المحايدة داعية إلى تضافر الجهود الصادقة البناءة في داخل الأمم المتحدة وخارجها للحث على إبرام معاهدة بين الدول الذرية لحظر التجارب النووية ونزع السلاح نزعا شاملا .

غير أن الدعاة إلى سيادة العدل الدولي ، واستتباب السلام العالمي قد شغلتهم متابعة المعركة السياسية والاقتصادية الدائرة بين المعسكرين والبحث عن سبيل لإيقافها ، فلم يتبينوا من خلال الغيوم الكثيفة التي رانت على العلاقات الدولية ذلك الجانب الهام الذي تمخض عنه النزاع وهو الصراع الثقافي .

الحرب الباردة في الميدان الثقافي :

ولئن كانت الحرب الباردة في الميدان الثقافي هي إحدى المشكلات الفرعية التي نجمت عن الصراع السياسي بين المارد الجبارين ، فإنها لا تقل خطراً عن غيرها من الأزمات الدولية وهي بالتالي تستوجب دراستها ، ومناقشة ما تسفر عنه تلك الدراسة النظرية من آراء ومقترحات ، ووضع الأنسب منها في موضع التنفيذ . ويمكن من هذا السبيل المشاركة الإيجابية في قضية السلام والتمهيد لتصفية الجوانب الأخرى من الخلاف .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ذلك أنه مع التسليم بصحة الرأى القائل إن القضاء على الحرب الباردة قضاء جذريا بمنع التجارب الذرية ونزع السلاح كفيل بإزالة كل ما ترتب عليها من آثار، وإن الصراع الثقافى فى حقيقته لا يعدو أن يكون انعكاسا لهذه الحرب وواحدا من تلك الآثار. مع التسليم بصحة هذا الرأى، فإن من الخطأ البين أن ندع هذه الأدواء الفرعية تستفحل بدعوى انتظار الوقت المناسب الذى تحل فيه المشكلة الكبرى، ولاسيما إذا أدركنا أن هذا الحل يقتضى مرحلة طويلة من الزمن للإعداد له وإخراجه إلى حيز الواقع، وقد تتدهور الأوضاع الدولية فى هذه الأثناء وتنحدر من سيىء إلى أسوء.

وضع حد للصراع الثقافى:

إن المبادرة إلى وضع حد للصراع الثقافى فى حينه تنطوى على عمل إنسانى كبير فى سبيل إذابة الجليد بين المعسكرين، وانتزاع الأعشاب الضارة من الطريق، وتطهير النفوس من رواسب الأحقاد وافتقاد الثقة، تلك الرواسب التى تقف عقبة كأداء فى وجه الجهود المبذولة للتخفيف من حدة الخلاف وإعادة الأمور إلى نصابها وفقا لصالح البشرية وتأمينا لمستقبلها.

فالواقع أن منع الصراع فى الميدان الثقافى لا يقل أهمية عن حظر استخدام العلم الحديث فى إشعال نيران الحروب. فالثقافة تؤثر فى الكيان السياسى والاقتصادى للدول مثلما تتأثر به، بل إن الانقسام الذى يفصل الدول الكبرى إلى فريقين يختلفان فى الأنظمة السياسية والعسكرية والاقتصادية إنما نشأ فى الأصل نتيجة للاختلاف الأيديولوجى ونعنى به الاختلاف فى العقائد والأفكار.

والثقافة هى البوتقة التى تنصهر فيها التيارات الفكرية التى تسود مجتمعا معينا فتميزه عن سائر المجتمعات، وتقيم بينه وبينها حواجز من اختلاف النظر والحكم على الأمور.

ومن هنا تبرز أهمية معالجة الانقسام الدولى فى الميدان الثقافى وما يستتبعه من إذكاء لهيب الصراع فى الحرب الباردة فكما أن الخلاف فى هذا الميدان كان من عوامل الاختلاف فى مختلف النظم، فإن الحد منه أو تصفيته من أسباب إزالة الجفوة بين المعسكرين والتخفيف بالتالى من حدة الصراع والتمهيد لجو من الثقة المتبادلة فى سبيل استتباب الأمن الدولى ودعم السلام وتحقيق الرخاء للبشرية.

دور الفكر والثقافة فى التطور الإنسانى

فمن نافلة القول أن نقرر ما للفكر من شأن بالغ فى تطور البشرية حتى ليعد بمثابة البنيان الأعلى للمجتمع والإطار المعنوى الذى يضم مختلف الماديات ويشكل أخلاقيات الجماعة وقواعد العرف والسلوك.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وقد كان للنظريات الفلسفية من قديم . وهي تلك التي نبعت من ممارسة الحياة عن طريق الملاحظة والاستقراء والتجربة والاحتكاك بالواقع ـ والرسالات السماوية التي أنزلت على الأنبياء ، الدور الأكبر في القضاء على العقبات الطبيعية التي تقف في وجه الإنسان وتحول دون تطلعه إلى آفاق جديدة فسيحة . وكان للمبادئ والأفكار الإنسانية أعظم الأثر في بناء المدنية واستمرار التقدم على مدى العصور والأحقاب .

والثقافة — في المجال القومي — هي الركيزة الأولى في تكوين المجتمع الواحد الذي يتألف من أفراد متجانسين يستظلون بالأبنية العليا التي يشكلها الفكر المشترك وتحدد تبعاً له علاقاتهم بغيرهم من الجماعات البشرية وطرائق تفكيرهم وتصرفاتهم .

غير أن « الثقافة » : كما دلت على ذلك الأحداث التاريخية المتعاقبة — سلاح ذو حدين .

فهي إثراء للبشرية وسبيل لتقدمها إذا استخدمت في سبيل الخير .

وهي جناية على الإنسان قد تصل به إلى حافة الهاوية إذا أسيء استخدامها فنأى بها أهلها من مقاصدها الحميدة .

فالعلم ـ وهو أهم روافد الثقافة ـ مرتبط في ميزان الفكر السليم ، بالقيم الخلقية عند الفرد والقيم الإنسانية عند الجماعة . فلا خير في علم لا ينتفع به في صلاح النفس .

وويل للعلماء إذا استخدموا علمهم وهو قبس من نور الخالق في غير صالح البشرية ، إن وزرهم حينئذ يبلغ أضعاف ما يقترفه غير العلماء من آثام .

وكلما كان المفكرون والعلماء في مجتمع ما ، ذوي نزعات إنسانية تغلب جانب الخير على الشر وتؤمن مستقبل الإنسان في ظل الحضارة والسلام ، كان هذا المجتمع أقرب إلى المثالية واستطاع أن يقوم بدوره في تحقيق حياة أفضل للإنسانية جمعاء شعارها المعتقدات السمحة والقيم الخلقية الفاضلة .

الثقافة سبيل الإخاء بين الشعوب :

ومن الخير الذي تهدي إليه هذه النزعات الإنسانية أن تباح الثمار العلمية التي جنتها إحدى الجماعات لغيرها من أعضاء الأسرة البشرية وألا تقام الأسوار والحدود لمنع تبادل الفكر والمعرفة بين شعوب الأرض جميعاً ، وألا تستخدم الثقافة في تأريث العداوات والإحن بين الناس .

فالثقافة رسول المودة ومشعل النور للإنسان وينبغي أن تدع الدول أهل العلم والثقافة أحراراً فلا توجههم لخدمة مطامعها أو تشوه إنتاجهم الفكري للدعاية لمذهبها أو تفرض عليه الحصار فلا يبلغ غيرها من الدول .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الثقافة فى المجتمع الإسلامى :

لقد ازدهرت الثقافة فى المجتمع الإسلامى فى ظل الدولة الإسلامية الأولى ، وقدمت للعالم حضارة زاهرة تتميز بالخصب والتكامل ، فأخرجت الناس من ظلمات الجهالة والعبودية إلى آفاق الكرامة والحرية والمساواة وكفالة الرزق للجميع فى ظل نظم اقتصادية واجتماعية وإدارية تتميز بالكفاية والعدالة وتعمل للصالح العام وفقا لأحكام الشريعة .

وكانت هذه الحضارة على موعد مع التاريخ ، فإن جانبها الإنسانى هو أعظم الجوانب وأكثرها إشراقا . ولم يكن العالم فى جميع مراحل تطوره أشد حاجة إلى الروح الإنسانية ـ التى تحقق الخير للجماعة ولا تقدس الفرد تقديسا مطلقا ـ منه فى تلك المرحلة .

فلا غرو أن تقترن الدعوة الإسلامية منذ بدايتها بالنهضة الثقافية القائمة على أسس إنسانية كريمة عادلة ، وأن يكون شعارها العلم للجميع ، فهى تقوم على جناحى المادة والروح معا . وقد جاء الإسلام لتحطيم الطغيان وإقامة العدل وإتاحة فرص الحياة للمحرومين وإرساء مبادئ الحق والمساواة . وبعث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الناس كافة فدعا إلى وحدانية الله والإخاء بين البشر ، واهتدى أئمة المسلمين بمبادئ الشريعة السمحة فأدركوا أن السبيل إلى تعارف الناس وتعاونهم هو نشر الثقافة الصحيحة والمعرفة الشاملة بينهم ، فإن ذلك خليق بتقويض الضلالات القديمة وخلق واقع جديد للمجتمع الإنسانى يسير فى هداه حتى يبلغ غايته السامية فى توحيد أفراده وضمان الرفاهية لهم .

الإسلام ثورة ودعوة علمية :

وإن حركة التاريخ وتطوره الدائم وما سجلت صفحاته من وقائع وأحداث تشهد جميعا أن الدين الجديد الذى جاء به « محمد » كان ثورة اجتماعية شاملة بأجل معانيها ، ومن ثم وعت رسالة الإسلام الدور الضخم الذى يؤديه « العلم » فى بناء الفرد وهو وحدة الأسرة التى تشكل خلية المجتمع ، وأدركت ما تفتحه المعرفة والثقافة من آفاق رحيبة نحو مستقبل حر كريم للإنسان ، وما تفجره من طاقات خلاقة فى الأفراد والجماعات .

ففتحت المغالق وأزالت السدود التى كانت تقف حائلا فى سبيل العلم ، ومهدت له الطريق ليتسلل إلى كل عقل كى يتهيأ لاستقبال الرسالة الإسلامية الكبرى والإيمان بها ، وهى رسالة إنسانية طابعها العلم والحضارة والتقدم . ويتوارد على الخاطر فى هذا الصدد ما عرضه الرسول صلى الله عليه وسلم على أسرى المشركين فى غزوة بدر من إطلاق سراح من يفتدى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

منهم نفسه بتعليم عشرة من أبناء المسلمين ، ففي الحق أنها أشبه بفدية النفس بالنفس .

فالجهل عدو النفس البشرية وملقيها في ركام العدم ، ولكي تبنى دولة عليك أن تحرر النفوس من عبودية الجهالة ، وتضيء بصيرتها بنور المعرفة فتبعثها من الموت إلى الحياة .

والإسلام منذ نشأته أكبر من أن يخوض غمار صراع ثقافي ، فالثقافة في شريعته حق للناس جميعا ، والعلم فريضة وهو أكرم عند الله من أن يرتزق به أو يحرم منه بشر أو يصبح ميدانا للاتجار والمساومة ، وإن آية الرسول الأولى هي «القرآن» الذي حوى من العلم كل شيء ، وقد جعل الإسلام من اللسان العربي الذي نزل به القرآن لغة المعرفة والحضارة .

والمساواة الإسلامية لا تقتصر على الحقوق السياسية والاقتصادية ، بل تمتد حتى تشمل جميع المناحي الاجتماعية وفي مقدمتها العلم والثقافة . فالعلم حق للإنسان لا يقل شأنا عن حقه في الحياة الحرة والعيش الآمن الكريم ، فإنه لا حرية ولا كرامة في ظل الجهالة ، والسبيل الحق لنهضة الجماعة هو نشر الوعي والمعرفة بين أبنائها جميعا .

والإسلام حين يجعل طلب العلم في مرتبة الفرائض ، ويعلي من منزلة العلماء ، ويجعل من المساجد مدارس لتلقي أصول المعرفة ، ويحث أهله على التماس الثقافات مهما بعدت مناهلها ، إنما يؤكد بذلك دور الثقافة في تعميق وعي الفرد والجماعة بشئون العقيدة والحياة وخلق مجتمع تتحقق لأبنائه العزة والرفاهية .

الإسلام والتبادل الثقافي :

ويرمي الإسلام كذلك إلى صلاح أمر الأسرة البشرية عن طريق نشر الثقافة المشتركة وتبادل الفكر بين الناس جميعا ، وهو أقرب طريق إلى تعارف الأفراد والجماعات وتجانسهم وتحطيم ما يحول بينهم من أسوار العزلة والفرقة التي تشتتهم شيعا وأحزابا وتجعل بعضهم لبعض عدوا . وهذه هي الغاية الكبرى للعقيدة الإسلامية . فهي عقيدة تحررية كبرى جاءت لتطلق الفرد والمجتمع من إسار الشرك بالله والإضرار بالخلق ولتبدل ظلمات الناس وجهالاتهم نورا ، فيصبحوا بنعمة الله إخوانا متحابين يعملون يدا واحدة في سبيل التقدم البشري .

وما كان الإسلام ليحقق مقاصده الرشيدة التي انطوت عليها رسالته العالمية إلا بتحرير العلم والثقافة من شرور الفتنة والاستغلال والتنابذ التي تجعل منهما سلاحا مدمرا يشهره أعداء البشرية في سبيل تحقيق أطماعهم ومصالحهم الذاتية .

لقد فتح الإسلام كل النوافذ والأبواب ليغشى العلم كل مكان ويعمر كل قلب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وخصه بأكرم الأماكن وهي بيوت الله، وجعل موضعه من المجتمع بمنزلة الروح من الجسد. ولم يحرم الإسلام حتى عداته من حق التزود بالمعرفة لعلهم إذا استنارت بصائرهم وشفت ضمائرهم أن يفيئوا إلى الحق ويجانبوا الشر والعدوان.

وقد أدرك المسلمون الأوائل أن الانقسام الفكري هو شر المحن التي تبتلى بها البشرية فهو فرع من شجرة الحقد والبغضاء والنزوات الشريرة، وأن القضاء على هذا الانقسام كفيل بتقريب شقة الخلاف بين الناس ومد جسر التفاهم والتجاوب والموادعة.

ومن ثم كان التبادل الثقافي من أهم الأسلحة التي حاربت بها الدولة الإسلامية في عصورها الزاهرة عوامل الشر والعدوان حتى تهيأ لها تحقيق غاياتها من خلق مجتمع متكافل حر وتعزيز الأمن والسلام في العالم، وقد استخدمت هذا السلاح في موضعه - فلم تجنح به إلى غير ما قصد به. فلا تميز بين الناس في حق التعلم والتزود من المعرفة، ولا عصبية، ولا طغيان، بل مساواة وعدل يظلان الخصوم والأصدقاء.

وفي سبيل تحقيق رسالة الإسلام في تطهير النفس البشرية وإشاعة المساواة في كافة أرجاء العالم ونشر مبادئ الإخاء بين أبناء الأرض على اختلاف أجناسهم وألوانهم وتباين ألسنتهم ونزعاتهم، سجل الإسلام في صفحته الخالدة أعظم المواقف التي التزمها المسلمون الأوائل في سبيل قضية العلم، إيمانا منهم بقدسيته وفهما لرسالته.

فالإسلام هو دين العلم والعمل وهو - بطبيعته - دعوة إلى الحق صدع بها صاحبها للعالم بأسره. فليضرب أبناؤه في فجاج الأرض، وليهلوا من منابع العلم مهما بعدت المسافة وشقت الطريق وليكن البحث العلمي رائدهم في حلهم وترحالهم ذلك أدنى أن يحقق غاية من أنبل الغايات التي تتوخاها العقيدة الإسلامية. فالمسلم في سعيه إلى المعرفة يرتاد آفاقا جديدة، ويختلط بأشخاص وجماعات كانت تفصله عنهم عوائق وحواجز شتى. فيتم بذلك لقاء فكري خالص لوجه الحقيقة صادر عن أكرم حوافز النفس البشرية وهي التآخي والتعاون في الكشف عن خبايا الطبيعة وحقائق المجهول.

ولا ريب أن هذا اللقاء الفكري يقرب بين الطبائع المتنافرة ويؤلف بين المذاهب المتناقضة، ويسفر عن نتائج إيجابية للعمل المشترك في سبيل الصالح العام للبشرية. فهو يوثق العلاقات بين الناس، ويقيم الروابط الودية والصلات الحميدة فتتضاءل مسافة الخلف بينهم، ويفتح السبيل للتوفيق والمصالحة وحسم المنازعات؟

رائد: حسن فتح الباب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية

للأستاذ محمد محمد أبو شهبة

— ٦ —

الجانب الإنساني والأخلاقي في التشريعات الإسلامية :

في المقال السابق تكلمت عن بعض الجوانب الإنسانية في الإسلام ولما ينته الحديث ، واليوم سأتناول بعض الجوانب الأخرى فأقول وبالله التوفيق :

لقد أوجب الإسلام الوفاء بالعهود حتى ولو كانت مع الأعداء ، أو منهم ، وحرم الغدر بجميع صوره ، ففي الكتاب الكريم : « وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا » (١) وقال سبحانه : « وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ، وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ، إن الله يعلم ما تفعلون . ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً تتخذون أيمانكم دخلا بينكم ، أن تكون أمة هي أربى من أمة (٢) . إنما يبلوكم الله به ، وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون » (٣) .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم مثالا كاملا للوفاء بالعهد في سيرته وفي علاقاته مع الناس ومعاهداته مع المحاربين والأعداء ، فلم تحص عليه غدرة قط ، وقد سمعت في المقال السابق نهيه المؤكد لقواد الجيوش والسرايا عن الغدر والخيانة ، وثبت عنه أنه قال : (إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة فيقال هذه غدرة فلان) رواه البخاري ومسلم ، بل بلغ صلوات الله وسلامه عليه غاية السمو الإنساني والخلق حينما أمر بعض أصحابه بالوفاء بالعهد الذي أخذه عليهم الكفار مع ما يترتب عليه من تقليل سواد المسلمين في أول غزوة وأهمها في الإسلام .

روى مسلم في صحيحه بسنده عن حذيفة قال : ما منعني أن أشهد بدراً إلا أني خرجت أنا وأبي « حسيل » ـ والد حذيفة ـ قال :

---

(١) الإسراء : ٣٤ .

(٢) ومصداق هذا القول الحق ما نشاهده من تلك الدول الكبيرة لعهود الدول الصغيرة ونبذهم لها ما دام في هذا مصلحة وإرضاء لنزوات الدول الكبيرة ، وإثراء على حساب الدول الصغيرة ، وعلة العلل في هذا التقنن ما تتمتع به الدول الكبيرة من كثرة في العدد والعدة وما تملك من آلات الدمار والخراب أو الحرص على أن تكون هكذا فاعتبروا يا أولي الأبصار .

(٣) النحل : ٩١ ـ ٩٢ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فأخذنا كفار قريش قالوا : إنكم تريدون محمدا فقلنا : ما نريده وما نريد إلا المدينة . فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفن إلى المدينة ولا نقاتل معه ، فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه الخبر فقال : « انصرفا ، نفى لهم بعهدهم ، ونستعين الله عليهم » . فهل لهذا مثيل فى غير شريعة الإسلام ؟ ! !

ومن تشريعات الإسلام فى هذا ، التى يعتبر نسيج وحده فيها أنه يلزم المسلمين إذا كان بينهم وبين غيرهم من الدول عهود ، ولاحت لهم أمارات نقضها من جانب الأعداء ألا يسارعوا هم بالنقض ، ويأخذوهم على غرة ، بل لا بد من إعلانهم أولا بنقض العهد حتى يأخذوا أهبتهم ، ويكونوا على علم به . قال سبحانه وتعالى : « وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين » (١) أى أعلمهم قبل الهجوم عليهم بنقض العهد حتى تكونوا أنتم وهم سواء فى هذا العلم ، وهذا الأدب الإسلامى فى الحروب لم تصل إليه دول الحضارة فى القرن العشرين ، ولعلنا على ذكر مما جرى فى الحربين العالميتين فى قرننا هذا من نقض وغدر وهجوم من غير سابق إنذار ، ولا يزال هذا ديدنهم ما داموا لا يحتكمون إلى شريعة الرحمن ، شريعة الإيمان ، والعدل والرحمة ، والوفاء .

ومن المثل العليا فى هذا الباب - باب إعلان الأعداء قبل الهجوم - ما حدث فى جيش كان يتولى إمرته السيد الجليل معاوية - رضى الله عنه - روى الإمام أحمد فى مسنده عن سليم بن عامر قال : كان معاوية يسير فى أرض الروم ، وكان بينه وبينهم أمد - أى عهد - فأراد أن يدنو منهم ، فإذا انقضى الأمد غزهم - أى أخذهم على غرة - فإذا شيخ على دابة يقول : الله أكبر ، الله أكبر ، وفاء لا غدر ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من كان بينه وبين قوم عهد ، فلا يحلن عقدة ، ولا يشدها حتى ينقضى أمدها ، أو ينبذ إليهم على سواء) . فبلغ ذلك معاوية فرجع ، فإذا الشيخ هو (عمرو بن عنبة) رضى الله تعالى عنه .

فأين من هذه التشريعات الإسلامية فى المعاهدات والحروب التى شرعت وطبقت تطبيقا دقيقا من منذ قرابة أربعة عشر قرنا هجريا - القوانين الوضعية التى انتهت إليها حضارة القرن العشرين فى الحروب والمعاهدات والتى لا تعدو أن تكون حبرا على ورق ؟ ! !

إن إنسانية نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه بلغت الغاية فى السمو والترفع عن الأحقاد والعداوات حينما مر على النبى صلى الله عليه وسلم بجنازة فقام لها ، فقالوا له :

---

(١) الأنفال : ٥٨ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يا رسول الله إنها جنازة يهودى فقال النبي : أليست نفسا منفوسة ؟!!

بل إن إنسانية التشريعات الإسلامية لتتجلى أيضا فى رعاية حرمة الإنسان فى حياته وبعد مماته ، بل وفى عدم النيل من الموتى أو سبهم ، أو التمثيل بهم أو إهانتهم .

ففى الحديث الذى رواه البخارى فى صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا تسبوا الأموات فقد أفضوا إلى ما قدموا) يعنى من عمل ، وإذا كان نهى عن سبهم فمن باب أولى عن التمثيل بهم ، وتتجلى إنسانية الشريعة الإسلامية أيضا فى قيام المسئولية الجنائية تجاه الأحياء دون الأموات ، وتجاه الإنسان العاقل دون الحيوان والجماد .

ولعلك تعجب حقا إذا علمت أن عقوبة الحيوان والجماد قد أقرتها الشريعة اليهودية ، وقوانين اليونان ، والرومان والفرس فى العصور القديمة ، كما أقرت عقوبة الحيوان قوانين الأمم الأوربية المسيحية فى العصور الوسطى ، وصدر العصور الحديثة ، وهكذا يتبين لنا سمو الشريعة الإسلامية عن الشريعة اليهودية والقوانين الوضعية السابقة ، وسبقها للقوانين الحديثة بتقرير هذا الأصل بأكثر من عشرة قرون ، وتبلغ التشريعات الإسلامية غاية مداها فى الرحمة حينما لم تقصر تشريعاتها على الإنسان بل تعدته إلى الحيوان والرفق به ، والإحسان إليه فقد جعلت ما يأكله الحيوان أو الطير من زرع إنسان صدقة وساوت بين الإنسان والحيوان فى هذا ، ففى صحيح البخارى عن أنس قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : (ما من مسلم يزرع زرعا ، أو يغرس غرساً ، فيأكل منه طير ، أو إنسان ، أو بهيمة إلا كان له به صدقة) وأمر الشارع بعدم إيلام الحيوان والطير عند الذبح ، ففى الحديث الذى رواه مسلم فى صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم (إن الله كتب الإحسان على كل شيء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة [1] ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته) وجعل تعذيب الحيوان سببا فى دخول النار ، ففى الصحيحين مرفوعا (عذبت امرأة فى هرة حبستها حتى ماتت ، فدخلت فيها النار لا هى أطعمتها وسقتها إذ حبستها ، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض) [2] .

كما جعل الرحمة بالحيوان سببا لدخول الجنة ففى صحيح البخارى مرفوعا (بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فشرب منها ، ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث ، يأكل الثرى من العطش فقال الرجل : لقد

---

(١) يعنى حدا أو قصاصا .

(٢) هوامها وحشراتها والواحدة خشاشة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ بى ، فنزل البئر فملأ خفه ، ثم أمسكه بفيه ، فسقى الكلب ، فشكر الله له ، فغفر له) وفى رواية (فأدخله الجنة) قالوا يا رسول الله : وإن لنا فى البهائم لأجراً فقال (فى كل ذات كبد رطبة أجر) ونهى الإسلام أن يتخذ كل ذى روح غرضا روى البخارى ومسلم عن ابن عمر: أنه مر بفتيان من قريش قد نصبوا طيرا وهم يرمونه ، وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئة من نبلهم ، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا فقال ابن عمر من فعل هذا ؟ لعن الله من فعل هذا ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا أى هدفا يرمى إليه ورويا أيضا عن أنس قال : (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تصبر البهائم) يعنى تحبس لتقتل ، ويسمو الإسلام فى معاملة الحيوان فينهى الرسول أصحابه أن يلعنوا حيوانا وأمرهم أن يصان وجهه عن المثلة والتقبيح إذا ما اضطروا إلى كيه للاستشفاء ، وقد صار الرفق بالحيوان مما يدخل فى الحسبة فى الإسلام فى عهد الخلفاء الراشدين ومن جاء بعدهم ، وكان يعزر من لا يرفق به . روى ابن الجوزى عن المسيب بن دارم قال : رأيت عمر ابن الخطاب - رضى الله عنه - يضرب حمالا ويقول : حملت جملك مالا يطيق . فأين من هذه التشريعات الإسلامية الرحيمة ما تقرره بعض التشريعات الوضعية فى بعض الدول فى قرننا العشرين من التحريش بين بعض الحيوانات والطيور حتى تستقط صريعة الجراح والآلام ، ومن اتخاذ بعض الطيور غرضا يرمى ، ولا غرض لهم فى هذا إلا التلهى والتسلية ، وهكذا لم تصل بعض القوانين الوضعية المعاصرة إلى ما وصلت إليه الشريعة الإسلامية من قرابة أربعة عشر قرنا ، وإذا كانت القوانين الوضعية الحديثة قامت على رعاية الجوانب الإنسانية فهذا أمر لم تعرفه إلا بعد القرن الثامن عشر ، وأغلب الظن أن تكون تأثرت - فيما تأثرت به - بالشريعة الإسلامية فقد كان للاتصال بين الشرق والغرب آثاره فى كل منهما ، وإليك كلام رجل عالم بالشريعة والقانون قال : (ولا يفوتنا بعد هذا أن نذكر أن القانون الوضعى كان حتى آخر القرن الثامن عشر قانونا وحشيا بعيدا عن أفق الإنسانية ، فكان يحاكم الأحياء والأموات ، والحيوان والجماد ، وينزل بالجميع عقوبات شتى قائمة على التمثيل والتشهير ، كان القانون الوضعى هكذا حتى أخذ فى القرن الثامن عشر بأول مبدأ من مبادئ الشريعة الإسلامية فانقلب قانونا إنسانيا بحتا ، إذ أصبحت العقوبة فيه قائمة على أساس التأديب والزجر بقصد حماية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المجتمع ، ولم تعد هناك حاجة للتمثيل والتشهير ، ولم يعد منطق القانون يقبل محاكمة الأموات والحيوانات والجمادات ، وهذا المبدأ الأول الذى لم يعرفه القانون إلا فى القرن الثامن عشر عرفته الشريعة مع غيره من المبادئ من القرن السابع الميلادى ، ولذلك تركزت المسئولية الجنائية من يوم نزول الشريعة فى الإنسان الحى ، ولم يجعل غيره أهلا ولم يعرف عن الشريعة ما عرف عن القانون من محاكمة الأموات والحيوان والجماد ، ولم يعرف عنها أنها تقبل التشهير والتمثيل ، بل عرف عنها أنها تأباه أشد الإباء ، ... ويكفى الشريعة الإسلامية فخرا بعد هذا أنها سبقت تفكير العالم بأحد عشر قرنا وأن العالم يسير على آثارها من قرنين، ولا تزال تسبق تفكيره بمراحل » (١) .

هذا ولا يزال فى المقارنات مجال ومجال فإلى المقال الآتى إن شاء الله تعالى ؟

محمد محمد أبو شهبة

(١) التشريع الجنائى الإسلامى مقارنا بالقانون الوضعى ج ١ ص ٦٢٨ .

الإسلام والائتمان المصرفى

أقترح أن يحل التكافل الوثيق بين طبقات المجتمع الإسلامى بالنسبة للقروض الاستهلاكية ، والتعاون المثمر بين رأس المال والعمل بالنسبة للقروض الإنتاجية ، محل بعض وظائف النظام المصرفى السائد فى الاقتصاد الغربى .

فالزكاة والإنفاق فى سبيل الله ، سوف يقضيان على الحاجة إلى عقد قروض استهلاكية ربوية .

أما فى القروض الإنتاجية فالمال الذى أودعه صاحبه فى بنك لن ينال عنه « فائدة » ثابتة تتسم بسمات الربا المنهى عنه ، بل ربحا عادلا يتكافأ مع الدور الذى أداه ماله فى التنمية الاقتصادية . وهذا بلا شك تشجيع كاف لكل مدخر على موالاة الادخار ـ العنصر الأساسى فى تكوين رأس المال القومى .

والبنك من جانب آخر ـ بما فيه مساهموه ـ سينال ربحه المشروع جزاء وفاقا على مابذل من جهد بصير وفطنة واعية فى توجيه مال المساهمين ومال المودعين فى استثمارات مجزية ، هذه الروح التعاونية التى تجمع بين رأس المال والعمل فى تحالف سليم هى روح إسلامية خالصة .

الدكتور محمد عبد الله العربى
المستشار القانونى للمؤتمر الإسلامى

[من محاضرة بجامعة الإمام محمد عبده]

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

التصوير السياسي
في شعر ذكريات الهجرة الحديث

للدكتور سعد الدين الجيزاوي

لقد أصاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه حينما اختار يوم الهجرة مبدأ للتاريخ الإسلامى إذ كانت هذه الهجرة المباركة فتحا مبينا للدعوة الإسلامية ، واتخذ المسلمون منها قدوة فى نشر دينهم فى الأقطار ، فخرجوا بعد أن رست قواعد هذا الدين الخالد إلى العراق ، وإلى بلاد الفرس والشام وغيرها ، مهاجرين بمبادئهم القويمة ، هاجرين أوطانهم ، متمثلين قول الله تعالى : « ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغماً كثيرة وسعة ، ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت ، فقد وقع أجره على الله ، وكان الله غفوراً رحيما » (١) .

ولولا تلك الهجرات الأولى ، وما قصد إليه المهاجرون من رغبة صادقة فى إعلاء كلمة الحق ، ونشر مبادئ الإسلام التى تشيع الحرية والعدالة والمساواة بين الناس ، وتكف أيدى أقوياتهم عن ضعفائهم ... لولا تلك الهجرات ما انتشر الإسلام ، وما كان أحد من ملوك تلك الأقطار التى سادها الإسلام ، أو من ساداتها على استعداد لأن يذهب إلى المدينة المنورة ليعلن تنازله عن سلطانه وجاهه إلى خليفة المسلمين ، أو يدخل فى مبادئ الدين الجديد .

وحسنا صنعت الشعوب الإسلامية فى الاحتفال بذكرى الهجرة ، لما فى هذه الذكرى من عبر ، وإيحاء باستمرار الكفاح والجهاد فى سبيل الدفاع عن الحق ، ومناصرة المظلومين ، وطلب العزة والكرامة .

والمعروف أن الاحتفال بأعياد الإسلامية - غير العيدين - وعلى رأسها الاحتفال بالمولد النبوى الشريف ، قد بدأ من عصر الفاطميين بمصر ، ومن تلك المواسم كان الاحتفال برأس العام الهجرى (١) .

وفى أوائل عصرنا الحديث كان الاحتفال بمناسبة الهجرة قاصراً على رفع التهانى للخديويين والحكام كسائر المناسبات الأخرى. وكان الشعراء يتخذون من هذه المناسبات

(١) سورة النساء ١٠٠ .

(١) راجع خطط المقريزى جـ ٢ صـ ٢٨٤ وما بعدها .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فرصا يرفعون فيها المدائح إلى الحكام متزلفين متقربين ليتالوا حظوة عند حاكم أو عظيم دون أن يلتفتوا إلى ما فى مناسبة الهجرة مثلا من عبر ، وصور حية للكفاح والجهاد ، أو يوجهوا نظر أحد لذلك .

فنجد مثلا ، السيد على أبو النصر ، أحد الشعراء المقربين إلى الخديو إسماعيل يرفع إليه تهنئة بمناسبة حلول الهلال لمطلع عام ١٢٩٠ هـ (١٨٧٣ م) يقول فى مطلعها :

أراك أراك الحى تحمل غردا
فهل كلما غنتك تذكر خردا (١)

وبعد أن يكيل المدح والثناء للخديو ، ويخلع عليه ما شاء خياله أن يخلع من صفات ، يعود فيذكر مناسبة الهجرة فى بيتين ، لا أثر فيهما لإشارة ما ، عما فى الهجرة من معان وعبر :

وقد أقبل العام الجديد بسعده
يقول له : أبشر ، فلا كانت بعيدا

خفق على مثلى ببشره به
وينظم فى بشراه درا منضدا

وحافظ إبراهيم يهنئ عباسا بمطلع العام الهجرى ١٣٢٢ الموافق ١٩٠٤ بقصيدة يقول فى مطلعها :

قصرت عليك العمر وهو قصير
وغالبت فيك الشوق وهو قدير

وبعد أن يكيل المدح والثناء ، يبين عن غرضه ، ويعرض حاجته فى ضراعة :

عسى ذلك العام الجديد يسرنى
ببشرى ، وهل للبائسين بشير

وينظر لى رب الأريكة نظرة
بها ينجلى ليل الأسى وينير

إلخ أما عبرة الهجرة وما فيها من دروس ، فلا شىء من ذلك ، ولكن بعد أن أخذ الوعى الإسلامى طريقه إلى النفوس ، وبعد أن تنفس الناس قليلا فى ظلال دعاوى الحرية التى ملأت الأجواء بخطب مصطفى كامل وكتابات اللواء ... وبعد أن ضاق الناس ذرعا بما يملأ أسماعهم عن أمجاد أوروبا ، وانحطاط الشرق ... وبعد أن تجاوبت أصداء البعث الإسلامى فى دعاى جمال الدين الأفغانى ومصطفى كامل ومحمد عبده ... عند ذلك اتجهت الأنظار إلى ماضى الأمة الإسلامية ، وركزت الأنظار بنوع خاص حول يوم الهجرة النبوية وبدأ الشباب يعنون بالاحتفال بذكرى هذا اليوم لما فهموه منه من معانى البطولة والتضحية والإيثار ، وما فيه من إيحاءات تدعو إلى اليقظة والكفاح .

وقد كانت أولى مظاهر الاحتفال بهذا اليوم

---

(١) أراك الأولى : فعل ومفعول به ، والثانية منادى ، وهى شجر الأراك الذى تتخذ منه عيدان السواك .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ذلك الاحتفال الرائع الذى أقامه شباب المدارس الثانوية بدار التمثيل بالقاهرة فى مطلع عام ١٣٢٦ الموافق ١٩٠٨ ، وقد ألقى فى هذا الحفل الكثير من الخطب والقصائد من مندوبى الطلبة وغيرهم ، ثم أخذ الشعراء يتحدثون عن روعة هذا الاحتفال ، وما يبشر به من بعث وسجلوا ذلك التوثب ضد سياسة الاستعمار .

وبعد أن ذاع نجاح هذا الاحتفال الذى يعتبر مؤتمرا سياسيا هاما ، وبعد أن تهيأت النفوس لتقبل مايلقى فى هذا المؤتمر من خطب وأشعار تبعث الشجاعة فى نفوس المترددين .. عند ذلك اضطرت الحكومة إلى مجاراة الشعور العام فأصدر مجلس الوزراء (برياسة بطرس غالى) قرارا فى يناير ١٩٠٩ وكان قد حل مطلع عام الهجرى ١٣٢٧ واعتبر ذلك القرار يوم الهجرة عيداً رسمياً تعطل فيه مصالح الحكومة والمدارس . وفى مطلع ذلك العام أقيم أول احتفال رسمى بدار التمثيل أيضا ، وقد ألقى فيه حافظ إبراهيم قصيدة عامرة لم يكن ميدانها تمجيد الخديو كما كان فى الماضى ، بل إن تيار الأحداث قد جرفه ، فاندمج فى الجو السياسى العام للأمة الإسلامية وراح يصور أحداث مصر وسائر الأقطار الإسلامية قطراً قطراً . سجلها فى قصيدته بأسمائها لم يترك تركيا ولا فارس ولا تونس ولا المغرب ولا جاوة ... ومطلع هذه القصيدة :

أطل على الأكوان والخلق تنظر
هلال رآه المسلمون فكبروا
تجلى لهم فى صورة زاد حسنها
على الدهر حسنا . أنها تتجدد

وبعد أن أشار إلى ما حدث فى العالم المنتهى بكل قطر إسلامى سواء بالعزة والخير كقوله :

وفى دولة الأفغان كانت شهوره
وأيامه بالسعد واليمن تزهر
وفيه بدت فى أفق جاوة لمعة
أضاءت لأهليها السبيل فبكروا

أو بزوال الملك ممن لم يحسنوا عليه القيام كما حدث لملك مراكش الذى عرف بالتهاون حينذاك :

وفيه هوى (عبد العزيز) وعرشه
وأخنى عليه الدهر والأمر مدبر
ولا عجب أن زل عرش ممالك
قوائمه عود ودف ومزهر

بعد ذلك اتجه يتحدث عن التصوير السياسى فى مصر وتوثب المصريين ضد الانجليز ، معتبرا أن ضغط كرومر كان خيراً

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لأنه وجـــه نظر المصريين وحفزهم إلى الانفجار :

وفيه سرت فى مصر روح جديدة
مباركة عن عبرة تتسعر
خبت زمنا حتى توهمت أنها
تجافت عن الإيراء[1] ، لولا (كرومر)
تصدى فأدراها ، وهيهات أن يرى
سبيلا إلى إخمادها وهى تزفر
مضى زمن التنويم يا نيل وانقضى
ففى مصر إيقاظ على مصر تسهر

فلما كان العام التالى أنشد قصيدة مطلعها :

لى فيك حين بدا سناك وأشرقا
أمل سألت الله أن يتحققا

وفى ذلك العام (١٩١٠ / ١٣٢٨) كانت المناقشات تدور حول مد امتياز قناة السويس ثم إن الانجليز قيدوا الصحافة ... وفى هذه القصيدة نجد حافظا يصرح بهذا الضغط السياسى ، غير عابئ برهبة سلطان الإنجليز ، ولعله استمد حريته هذه من تحرره من قيود الوظائف . لأنه فى العام التالى (١٩١١) عين بدار الكتب فلم يقل بيتاً واحداً فى مناسبة الهجرة إلى عام ١٩٣٢ حينما انتقل إلى رحمة الله . استمع إلى تصويره فى قصيدة ١٩١٠ وهى آخر قصائده الثلاثة فى هذه المناسبة :

حصدت مناجله غرائس رجائنا
ولو أنها أبقت عليه لأورقا[1]
فتقيدت فيه الصحافة عنوة
ومشى الهوى بين الرعية مطلقا
وأتى يساوم فى القناة خديعة
ولو انها تمت لتم بها الشقا
إن البلية أن تباع وتشترى
مصر وما فيها . وألا تنطقا
كانت تواسينا على آلامنا
صحف . إذا نزل البلاء وأطبقا

وفى العام التالى (١٩١١ / ١٣٢٩) أنشد المرحوم عبد الحليم المصرى قصيدة مطلعها :

الله أكبر لاحت طلعة القمر
فاستقبلوه بحمد الله والسور

وبعد أن تحدث عن حرب طرابلس ، وفظائع الطليان الذين انتهزوا فرصة انشغال الخليفة بثورة فى اليمن واضطراره لسحب جيش طرابلس فهجموا عليها مطمئنين لموافقة الانجليز ، بعد ذلك اتجه إلى تصوير الأحوال السياسية فى مصر ، وكيف أن الانجليز

---

(١) الإيراء : مأخوذ من أورى الزند : أخرج ناره . والتعبير هنا مجازى والمراد ثورة النفوس بعامل الضغط .

(١) الضمير إلى العام الماضى .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يستولون على خيراتها ويتركون أهلها فى فقر حافزاً هم المصريين :

يأيها العلم المصرى : طل شرفا
لا زال ظلك ممدوداً على النهر
نفديك من خافق كالقلب إن وقفت
به الصبابة بين الوجد والحصر
يا شعب : إنك فى عهد إذا طلعت
به نيرات الليل لم تغر
فكن وقلبك أنى كان منبعثا
تجد من النفع ما تخشى من الضرر
أنحرث الأرض فى مصر ونزرعها
ويجتنى القوم فيها يانع الثمر (١)

ولقد وجد الشعراء فى مناسبة الهجرة متنفسا يعبرون فيه عما يجيش فى نفوسهم ونفوس الشعب من مآسى الاحتلال ، وظلم الانجليز ، وخنقهم للحريات . . وكان الشعر بذلك منبراً عاما ، وحمى يلجأ إليه الشعراء ليتحدثوا إلى حد ما عن سياسة الحكومة والاحتلال فى زمن كان الحديث فى السياسة محظوراً فيه على مختلف طوائف الأمة إلا من يسمح له المستعمرون فى حدود أهوائهم أو يخرج على قيود السلطات فيلقى به فى غيابات السجون .

وقد أخذ تصوير الشعراء للأحوال السياسية فى مناسبات الهجرة يتطور بتطور الظروف وتزداد صراحتهم عاما بعد عام :

ففى عام ١٩١٩ إبان اشتعال الثورة المصرية أطل على العالم هلال عام ١٣٣٨ ، وهنا انبرى المرحوم أحمد محرم يحيي هذا الهلال مصورا ظروف البلاد فى تلك الفترة وقسوة الانجليز فى قتل الأبرياء بغير حساب ، مصوراً كذلك وحدة الأمة ووقوفها صفا واحدا ضد الطغيان منهكما بوعود الانجليز وما أذاعوه من مبادئ تقرير المصير على لسان ولسون لتخدير الشعوب ، حافزاً هم المصريين ومطلعها :

حيوا الهلال وحيوا أمة النيل
واستقبلوا العيد عيد العصر والجيل

ومنها فى تصوير وحدة الأمة ووقوفها صفا واحدا :

قالوا : أقاطيع يغشى الذل ساحتها
فاهتاجت الأسد تحمى عزة النيل
وأقبلت مصر يمشى أهلها زمرا
من حاشدين ، ومن شتى أبابيل
لم تبق فى خدرها بيضاء ناعمة
من العذارى ولا العوذ المطافيل
يهتفن : مصر ، ومصر كل منجبة
ومنجب من بنيها غير مفصول

ومنها فى التهكم بمبادئ ولسون وإخلاف الانجليز وعودهم :

(١) يعنى بالقوم : الانجليز .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

قالوا : السلام فهز الكون صارخهم
عن منهل بدم الأبطال معلول
واسترسلت ترفع النجوى وتنفثها
أيدى اليتامى ، وأفواه المراميل
وبشرونا بما سن (الرئيس) لنا
من شرعة ذات تبيان وتفصيل[1]
لو قيل : يوم يقوم الناس موعدنا
قالوا : مساريع راعونا بتعجيل
ومنها فى حفز همم المصريين وأنهم رجال بأس سيصلون إلى حقوقهم :
إنا لعمر الألى ظنوا الظنون بنا
لا بالضعاف ولا القوم التنابيل
نسمو إلى الشرف الأعلى ويرفعنا
مجد لنا لم نزده غير تأثيل
راس على الدهر إن جاشت زلازله
توهى الجبال ، وترميها بتحويل
نصون مصر ونحميها بما علمت
من الدروع العوالى والسرابيل
يا مصر : عامك عام الخير فارتقبى
فيه المنى ، وثقى منه بتنويل
ما أخلف الله من وعد، ولا كذبت
آمال شعب بلطف الله مشمول

فلما كان عام ١٩٣٦ وامتلأ الجو السياسى فى مصر بما دار حول المعاهدة البريطانية التى وقعت حينذاك ، سجل كثير من الشعراء ذلك الجو فى ظلال قصائد الهجرة والمولد النبوى، ولحرم فى تلك المناسبة كثير من الشعر الصادق فى تصوير الشعور العام ومن ذلك قصيدة كبرى فى ذكرى الهجرة عام ١٣٥٦ (أوائل ١٩٣٧) بعد أن وقعت المعاهدة وقد وضح فى هذه القصيدة أن الحقوق لا تؤخذ بالأقوال ، وإنما لغة السيوف هى الفيصل فى كل خلاف بين عات متجبر ومطالب بحقوقه ، ضاربا المثل من كفاح الرسول الكريم ، ومطلعها .

أقبل ، عليك من الشعوب سلام
فزع الصليب إليك والإسلام

ويسجل فى هذه القصيدة ماينبغى أن تكون عليه الأمة الإسلامية اقتداء بماضيها المجيد :

اضرب لنا مثل الجهاد ، وسر بنا
نغشى الوقائع ، فالحياة صدام
هل أسلم الهادى الأمين قياده
أم كان منه النقض والإبرام
رفع الحياة على أساس صالح
والسيف ركن ، والكتاب إمام
(أحد) و(بدر) شاهدان ، فما على
من يسفح الدم فى الحقوق ملام

---

(١) يشير إلى مبادئ ولسن الأمريكى التى نادى بها سنة ١٩١٨ متضمنة « حق الشعوب فى تقرير مصائرها » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تلك المشاهد : جال فيها مصحف
أم جال فيها مصحف وحسام

ومن طرائف هذه الألوان فى التصوير السياسى صورة رسمها الأستاذ محمود غنيم لموسوليني عندما ادعى أنه « حامى حمى الإسلام » ، وذلك من قصيدة إبان الحرب العالمية الثانية (١٣٦٠ هـ) .

يا شاهرا لحماية الإسـ
ـلام سيف ابن الوليد
جددت فى لوبيا سنا
بغداد فى عصر الرشيد
وظهرت فى هدى الحسين
وأنت أشقى من يزيد
هلا تركت حماية الإسـ
ـلام لله الحميد ؟ إلخ ...

وبعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها فى منتصف عام ١٩٤٥ هل عام ١٣٦٥ فأنشد الأستاذ غنيم قصيدة كبرى سجل فيها اليقظة العربية والدعوة إلى الوحدة ، ومن هذه القصيدة :

ذكرى وموعظة ، أسوقهما إلى
قومى ، فهل للقوم سمع واع ؟
هل يجمعون على الخطوب أمورهم
فالخير كل الخير فى الإجماع
أبناء يعرب : لا حياة لأمة
بالذكريات ، بل الحياة مساع
فثبوا إلى الأهداف وثب مغامر
لا واجب قلبا ، ولا مرتاع ...

تلك هى بعض الأمثلة من شعرنا الحديث فى ذكريات الهجرة فى فترة ما قبل الثورة المباركة ، وقد رأينا فيها كيف تجاوب الشعراء مع الأحداث السياسية التى مرت بها البلاد ، وسجلوا فى شعرهم صوراً رائعة لتطور الظروف العامة ، وأبرزوا آمال الشعب فى أن يحيا حياة كريمة ، ويتخلص من أدران الاحتلال ، حتى قيض الله لهذه الأمة رجالا من أبنائها الكرام ، وحقق على أيديهم تلك الآمال العراض فى ذلك اليوم المجيد الذى انبثق ضوءه قوياً وهاجاً فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ .

ولقد اتجه التصوير السياسى فى شعر ما بعد الثورة وجهة جديدة تتمشى وتطور الظروف الجديدة ، إذ ظهرت أمور شغلت الأذهان : كالجلاء ، والنصر فى العدوان الثلاثى ، والدفع الشورى فى ميادين الاقتصاد والتشريعات الاجتماعية ، وإبراز ما يترتب على وحدة الشعوب العربية من آثار تحقق عزتها وسيادتها . ولقد أسهم الشعراء فى تصوير كل ذلك .

وسنكتفى هنا بعرض أبيات من نموذجين أحدهما حول قضية فلسطين وعودة اللاجئين ، والآخر حول قضية الجزائر :

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى أغسطس سنة ١٩٥٦ م زار الأستاذ عبد الحافظ [١] ريان مدينة غزة ضمن لجنة امتحان الثانوية العامة ، وهناك رأى من أحوال اللاجئين ما حفزه على ارتجال قصيدة فى مناسبة العام الهجرى ١٣٧٦ هـ الذى هل حينذاك : قال فى مطلعها :

يا هلالا أتى لدنيا معيدا
قصة كان من قديم رواها :
أن فى الكون أنفساً شرهات
بانتهاك الحقـــوق تبغى علاها :
قد صحا الشرق يا هلال . فكبر
إن فى العرب من يصون حماها

ومنها :

يا لقلب فى ليله بات يشكو
ويعانى من حالكات دجاها
هاله صرخة لأم حنون
رميت من عاد بأوم رماها

ويقول فى ختامها :

وأرى عملاق العروبة لبى
لفلسطين دعوة وافتداها [٢]
وأرى الزحف راعداً كالأعاصير
العواتى قد طوحت بعداها
يسترد الحقوق من غاصب ما
شاء إلا مذلة ، فارتداها

وفى مطلع عام ١٣٧٩ (١٩٥٩) وثورة الجزائر على أشدها ، أنشد قصيدة مطلعها :

هلال العام قد وافى مشيرا
ليمن النصر ، قد زف البشائر

إلى أن يقول :

أخى فى الحق : فلتسرع لعون
فذا حق العروبة والعشائر
لقد كشفت فرنسا عن وجوه
صفاق . وانبرى غل السرائر
أخى : حرية الأوطان خذها
فما نال المطالب غير قادر
إلى أرض العروبة نفتديها
فهبا بالفدا نحمى الجزائر
أخى : فلنضربن والله يرعى
حمانا . إنه للحق ناصر

« يقين النصر » فى قلبى أراه
ضياء ساطعا يمحو الدياجر

هكذا حقق الله أمنية الشاعر فى البيت الأخير إذ تم النصر الجزائر باتفاق « إفيان » .

اللهم حقق آمال شعوب الأمة العربية فيما ترجون من عزة وقوة ، وأزل الغشاوة عن أعين الغافلين . إنك سميع مجيب ؟

الدكتور سعد الدين الجبزاوى

---

(١) المدرس الاول بوزارة التربية والتعليم . وكان والده من علماء الازهر الشريف .

(٢) يشير إلى الرئيس جمال عبد الناصر .

الإسلام ... في المعركة ضد الجوع

(بمناسبة "الحملة ضد الجوع" التي نظمتها منظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة)

للأستاذ فتحي عثمان

« إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى ، وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى » .

هكذا جاء عهد الله لأبي البشر ...

وعاش آدم في الجنة لا يكدح ولا يجوع ...

ثم شاءت إرادة الله أن ينقله إلى عالم جديد ليعيش بطريقة أخرى .

وهبط الإنسان إلى الأرض ... مشحوناً بطاقة العمل في الكون ، محتاجا للوقود الذي يغذو هذه الطاقة .

كان لا بد أن يعمل ليأكل ، فقد انتهى عهد الجنة التي كان يرزق فيها بغير حساب !

وشهدت الأرض هذه القوة الجديدة ، التي أخذت مكانها تحت الشمس .

شهدت « الإنسان » ! !

وانضافت هذه الطاقة الفريدة إلى ما في هذا الكون من طاقات ...

وتفاعلت هذه الطاقة مع تلك الطاقات .

وتولدت الحضارة المعلاقة ! !

وعاش الإنسان : يعطي ويأخذ ، ويرسل ويستقبل ، ويبذل ويأكل ... ويفتح بطاقته طاقات الكون ، ليتلقى من طاقات الكون مدداً يعين على استمرار الحياة ! !

وبقي عهد الله للبشرية ألا تجوع ...

لقد رعى الله « الإنسان » بغذاء الجنة أولا ... ثم رعاه بما وهبه من طاقة وسخر له من طاقات أخيراً ...

وجاء دين الله رفيقاً « للإنسان » في رحلة الكون ، يرشده إلى ينابيع الطاقة في نفسه وفي الآفاق :

« ولقد كرمنا بني آدم
وحملناهم في البر والبحر
ورزقناهم من الطيبات
وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

* * *

والجوع يهدم الشخصية ، ويقضي على التجاوب الطبيعي بين الإنسان وجميع مؤثرات بيئته البعيدة عن إشباع غريزة الأكل ولا يبقى للعوامل الأخرى التي تصوغ السلوك البشري أي تأثير ، وكذلك تختفي بالتدريج دوافع المحافظة على الحياة وتحكم العقل إلى أن تنتهي بانعدام كل حذر وكل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وازع من ضمير ، وعندئذ يستحيل الإنسان حيوانا ضاريا قد سيطرت عليه الحاجة القصوى إلى إثبات وجوده ، فيقاتل ، ويغزو ويدمر .

والشعور بحدة الجوع ليس متواصلا بل هو متقطع وله فترات ازدياد ونقصان ، وأول مراحله : الهياج العصبي غير العادى وسرعة الغضب المتناهية وتوتر فى الحواس، يعقبه تلبد فى الإحساس واكتئاب شديد وغثيان وعجز عن التركيز .

وثمة ظاهرات اجتماعية متعددة : كقطع الطريق ، والعزلة الكئيبة ، والثورات التى لا تنقطع فى جهات أخرى ، والدعارة والانحطاط الخلقى — ترجع كلها بدرجات متفاوتة إلى الانحلال الذى يحدثه الجوع فى توازن الشخصية البشرية وتكاملها ، وفى خلال تجارب أجراها دكتور كيز ، نشأ عن الجوع التهاب حقيقى فى الأعصاب مصحوب بشعور الكراهية للمجتمع ، فإذا بلغ الجوع ذروته صحبته حالة من الهياج والجنون ، عرفها بحارة القرنين السادس عشر والسابع عشر باسم (سعار الجوع) .

وآثار نقص التغذية أو الجوع المزمن على الروح المعنوية أقل وضوحا من آثار التضور ، لكنها أطول مدى وأصعب شفاء ! فبينما ينشأ عن الجوع الحاد فى العادة نوع من التهيج غير العادى ، نجد الجوع المزمن يسبب الكآبة والتبلد، والذين يعانون الجوع المزمن سرعان ما يفقدون شهيتهم للطعام ، ولا يعودون يحسون بالجوع ، وبهذا تتوقف استجابتهم للدوافع التى تحبب العمل إلى الإنسان ! .

والأثر النفسى للجوع المزمن هو أن يكسب غريزة الجنس من الأهمية ما تعوض به عاطفيا فقدان شهية الطعام ، خلافا للقصور الحاد الذى يقلل الرغبة الجنسية .

والأرقام تبين بوضوح أنه كلما زادت نسبة البروتين هبطت قوة النسل بنفس النسبة ، على أنه كلما زادت نسبة البروتين فى الطعام زادت مناعة الصغار ضد الأمراض، فتقل بينهم نسبة الوفيات ! ...

هذه كلمات منيرة لباحث فى معهد التغذية فى جامعة البرازيل :

هو جوزويه دى كاسترو ...

وهى تبرز خطر (الجوع) فى تهديد (الإنسان) ...

(الإنسان) فى حقيقته وكرامته ومعنوياته.. لا مجرد بنائه البيولوجى ! ومن أجل (الإنسان) ... جاء القرآن يعدد نعم الله على الناس ، فقرن التحرر من الجوع إلى التحرر من الخوف ، قرن الجوع إلى الخوف فى الابتلاء :

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

« وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة ، يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون » ! .

ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين » !

كذلك قرن القرآن الجوع إلى الخوف عند تعداد النعماء وكشف الضراء :

« فليعبدوا رب هذا البيت

الذى أطعمهم من جوع ، وآمنهم من خوف » !

« واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض ، تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم ، وأيدكم بنصره ، ورزقكم من الطيبات » !

* * *

والدين لا يكتفى بأن يحقق للإنسان ما يملأ فراغ المعدة ويقضى ميكانيكياً فحسب على الإحساس بالجوع ...

إنه يطالب للإنسان طيبات الرزق .

« يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم

واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون » .

وشكراً لله على نعمته فى الرزق ، وحكمته فى البيان ! .

فإن التعبير « بالطيبات » يستلزم أن يكون الطعام :

من كسب مشروع : ليس فيه إخلال بحق فرد آخر أو بحقوق الجماعة .

وأن يكون الطعام طيباً من الوجهتين الغذائية والصحية : بأن يتحقق فيه كفاية المقومات الغذائية اللازمة ، والوقاية من أسباب المرض .

ولم يغفل القرآن الإشارة إلى ما نسميه الآن (بالجوع الجزئى) ... أشارة إلى « شيء من الجوع » ، وأشار إلى « نقص من الأموال والأنفس والثمرات » !

« والجوع » كلمة ذات معان عديدة ... الجوع الفردى : سواء فى مجاله الفسيولوجى ، أو فى مظاهره السيكولوجية ... والجوع الجماعى ، الجوع المحلى أو العام الذى يتعرض له أعداد هائلة من البشر ... الجوع الكلى : أى العجز التام الناشئ عن نقص الطعام (التضور) والذى يقتصر على مناطق تنزل بها كوارث شديدة أو على ظروف استثنائية ، والجوع الخفى الذى يقضى على بعض الجماعات بالموت البطىء جوعا لنقص بعض العناصر الغذائية التى لا غنى عنها مع أنهم يشبعون كل يوم ! ... وهذه الأنواع الجزئية الخاصة من الجوع التى كشف العلم الحديث عن نواحيها العديدة فى كل جهة من العالم هو أهم مايعنى به

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى الدراسة حاليا ... وعلى ذلك فإن الجوع يشمل كل شيء ابتداء من أحوال نقص الغذاء وسوء التغذية إلى الموت من الجوع فعلا ... فالغذاء هو الوقود الذى تستخدمه الآلة البشرية لتوليد الطاقة ، وهو الذى يمد الآلة البشرية الحية أيضاً بكل العناصر اللازمة لصيانتها وإصلاحها وتأديتها لوظيفتها . . وعن طريق الطعام يحصل الجسم على الطاقة الضرورية لتأدية وظائفه ، وعلى المواد الأولية الضرورية لبناء أنسجته وتعويض خسائره الفسيولوجية ... ولما كان جسم الإنسان غير قادر على إنتاج هذه المواد مباشرة كان لابد من أن يحتوى عليها غذاؤه حتى لا تتعرض الآلة البشرية الحية للأمراض الخطيرة . والتغذية الكاملة الواقية يجب أن يتوافر فيها أمران : أن تمد الجسم الحى بكل الطاقة التى يحتاجها ، وأن تمده بكل المواد المصنوعة اللازمة لحفظ توازنه . فإذا لم يحصل الفرد على قدر من الطاقة يساوى ما يفقده فإنه يتعرض لجوع عام أى نقص فى الطاقة ، فإذا كان الفرق كبيراً فإنه يقترب من درجة التضور ، وإذا اختفت العناصر المذكورة كلية فإنه يتعرض للموت جوعا . . وإذا نقص عنصر من العناصر الأساسية - بغض النظر عن مسألة توجيه الطاقة - تعرض الإنسان للجوع الجزئى أو النوعى . وكثير من أمراض التغذية - وهو الاسم الذى يطلق على أنواع من الجوع الجزئى - قد لا تبين لها أعراض ظاهرة ولو أنها تؤثر فى الصحة ، وهناك أنواع أخرى تظهر واضحة فى شكل أمراض معينة وهى أمراض النقص الغذائى . وأهم أنواع هذه الأمراض تلك التى تنجم عن نقص مقدار البروتين ، أو بعض المواد الدهنية أو الأملاح المعدنية ، أو الفيتامينات .

والدين لا يرضى عن الجوع الجزئى ، كما لا يرضى عن الجوع الكلى ...

إنه لا يرضى لكرامة الإنسان إلا طيبات الطعام ، على اختلاف الألوان .

« والأنعام خلقها لكم ، فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون » ...

« هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون . ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ، إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون » .

« وما ذرأ لكم فى الأرض مختلفا ألوانه إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون » ...

« وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنياً . فكلى واشربى وقرى عينا » .

« وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طرياً » .

« وإن لكم فى الأنعام لعبرة ، نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

سائغا للشاربين . ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقا حسنا إن فى ذلك لآية لقوم يعقلون . وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلى من الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا ، يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون » .

« أو لم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن ، إنه بكل شىء بصير » ...

« قل أحل لكم الطيبات ، وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله ، فكلوا مما أمسكن عليكم ، واذكروا اسم الله عليه ، واتقوا الله ، إن الله سريع الحساب » .

هذه دعوة الدين ...

دعوة إلى الطيب من كل شىء ...

الطيب من القول والعمل ، والطيب من الطعام والشراب واللباس والسكن ...

وكل طيب حلال للانسان أيا كان ، وعلى الطيبات يتعاون الإنسان والإنسان على اختلاف الأديان والأوطان .

« اليوم أحل لكم الطيبات » ...

« وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم » ...

وهذا ما يليق بكمال الدين وكرامة الإنسان

« يأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل لكم ، ولا تعتدوا ، إن الله لا يحب المعتدين » .

« وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا ، واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون » .

فتحى عثمان

الإسلام والأموال

فكرة الإسلام عن النقد تتلخص فى أنه بجميع صوره ، لا ينبغى أن يكون إلا للدولة ، ومن ثم يكون سك النقود وإصدار العملة الورقية ، وخلق النقود الحسابية بالائتمان مثلا هذه كالفروع لوظيفة واحدة . وهذه الوظيفة لا تنبغى إلا للدولة .

ومن ثم تكون المصارف وهيئات تكوين رءوس الأموال (كشركات التأمين وتوظيف المدخرات) منشئات لا يجوز للفرد ولا للشركة أن تتملكها إلا إذا رجعنا القهقرى وأجزنا للفرد أن يسك العملة وأن يصدر النقود الورقية ، وأن يتقلد فى عشيرته أو فى المجتمع ، وظائف القضاء والأمن .

الدكتور عيسى عبده ابراهيم
الأستاذ فى كلية تجارة عين شمس

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

البابيّة أو البهائيّة

للأستاذ محمد ابراهيم الجيوشى

— ٢ —

قلنا فى مقالنا السابق إن الإسلام خاتم الشرائع ، وإن محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين .

وأشرنا إلى ما تتابع فى التاريخ الإسلامى من دعوات المتنبئين وكشفنا عن العقيدة والبيئة اللتين كانتا مرتعا لهذه الدعوات الضالة .

وكشفنا عن الربط بين هذه العقيدة وتلك البيئة وبين ظهور البابية ، وعرضنا لحياة الباب ومحاولات أتباعه ، والعقائد التى دعا إليها .

ولم تكد الحياة تستريح من شرور الباب وآثامه بمقتله حتى تجمع أتباعه حول رغبة الثأر والانتقام ، فألفوا جمعية سرية تفتك بكل من يعارضها ، وتعد له من أساليب الغدر والخديعة ما تأباه كل نفس إنسانية شريفة ، وكان الميرزا حسين على الملقب فيما بعد بالبهاء هو الرأس المفكر لهذه الجماعة المتعطشة للدماء وكان أعضاء الجماعة ينفذون أغراضهم الشريرة بالذبح ، أو بالسم ، أو بالخناجر المسممة ، وظلوا يشيعون الرعب والهلع فى النفوس حتى انكشف أمرهم فى محاولة قتل الشاه ، فتعرضوا لحملة شديدة كادت تودى بهم ، وأودع ميرزا حسين السجن حتى أنقذه الاستعمار الروسى بعد أن ظل فى السجن أربعة أشهر ، ورحل إلى العراق فى حماية الروس أيضا . وكان صبح أزل أخو البهاء قد أعلن بعد مقتل الباب أنه الموعود بقول الباب «من يظهره الله» ، وآمن به جماعة من البابيين وكان يدعو إلى المبادئ التى أعلنها الباب فى كتابه البيان .

ولما رحل البهاء إلى بغداد أخذ يمهد السبيل إلى نفسه ، ويلقى فى روع أتباعه أنه الموعود ببشارة الباب ، فوقع صدام بين أتباعه وأتباع أخيه صبح أزل ، وكان الأزليون فى ذلك الوقت يمثلون الأكثرية واجتمع كبار زعماء البابية ، وأخذوا يعرضون على البهاء مثالبه ونقائصه فلم يجد بدا من ترك بغداد والفرار إلى صحراء السليمانية يعمل الحيلة ويفكر فى أساليب جديدة للخداع ، وأخذت نفسه تعتمل بالحقد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الأسود على أخيه وأتباعه ، ويستعمل من أساليب النفاق ما يمهد له السبيل للوصول إلى غاياته وأهدافه الخبيثة ، وكان قد شاع أمره وانكشف كفره لعلماء السليمانية ، وهموا أن يأخذوه بكفره ، فلما أحس منهم ذلك فر ثانية على كره منه إلى بغداد ، زاعما أن وحيا إلهيا قد نزل عليه وأمره بالعودة إلى بغداد ، وأخذ يعلن أن الوحى جاءه بنسخ بعض أحكام البابية ، فاشتعلت الفتنة بينه وبين البابيين ، وأخـــذوا يرمونه باللعنة ويصوبون نحوه سهامهم ، وأخذ يرد عليهم فيما يزعم أنه وحى ، ويرميهم بالغدر والسفه وتراشق الفريقان السباب والشتائم وأخذ كل يؤكد أن الباب كان يعنيه هو ، ومن قول الأزليين فى ذلك : « إن الباب كان يعنى يحيى بما قاله فى كتابه البيان : « لا إله إلا أنت ، لك الأمر والحكم ، وإن البيان هدية منى إليك ، وأخذ يحيى يصف أخاه بالإثم ويسميه العجل ويصف أتباعه بأنهم يشركون ، ومن قوله فى ذلك : « خذوا ما أظهرنا بقوة ، وأعرضوا عن الإثم لعلكم ترحمون ، إن الذين يتخذون العجل من بعد نور الله أولئك هم المشركون » .

وكان فتن البهائية ومجونهم قد فاح خاصة إذا جاء شهر المحرم ذكرى احتفالهم بمولد الباب ، وهذا الشهر الذى يحلل الشيعة فيه مظاهر الحزن والأسى على ما أصاب الحسين فكان ذلك داعيا أن يطلب علماء العراق طرد البابيين من ديارهم ، فنفوا إلى الاستانة سنة ١٨٦٤ م .

وأعلن البهاء حينذاك أنه الموعود الذى بشر الباب بظهوره منتهزا فرصة اجتماع البابيين قبل تفرقهم .

وفى تركيا سلك البهاء كل سبيل للقضاء على أخيه وإزالته من طريقه ، وساعده على الوصول إلى أغراضه ما جبل عليه من دهاء ومكر ، ومن معرفة أكثر أساليب الباطنية ، واستطاع أن يوجد من البابيين حزبين متنازعين ، على رأس كل منهما أخ يكيد لأخيه ويصطنع الأساليب والوسائل المختلفة للفتك به والبطش بأتباعه حتى إن البهاء حاول قتل أخيه غيلة ، ولما رأت الحكومة التركية ذلك نفت يحيى إلى قبرص ، وظل بها حتى مات ، ونفت البهاء وأتباعه إلى عكا ، وجعلت على كل منهما رقباء من أتباع الآخر ، إلا أن تعطش البهاء إلى الدماء دعاه إلى أن يدبر مؤامرة فى عكا لأتباع أخيه أبادهم فيها على يد رجاله بالساطور والحراب فى وحشية سافرة لا تصدر إلا عن نفس امتلأت بالإثم وانطوت إلى أقبح معانى الغدر والخسة وأخذت البهائية بعد ذلك ترث البابية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى كل شىء تبقى من تعاليم الباب ما تشاء وتلغى منها ما تريد وتضيف إليها ما تحب .

وكان البهاء قد أعلن أنه المظهر الأكمل الذى بشر به الباب والذى يتحقق على يديه بلوغ رسالته إلى درجة أعلى من الكمال .

فالباب كان ممهداً للبهاء ، وفى شخص بهاء الله عادت الروح الإلهية إلى الظهور لكى تحقق على وجه الكمال ما مهد له الباب فى دعوته ، وعلى هذا فبهاء الله أعظم من الباب ؛ لأن الباب هو القائم . والبهاء هو القيوم ، أى الذى يظل ويبقى ، وليس فى ذلك ما يدعو إلى الدهشة أو العجب ؛ لأن الباب نفسه تحدث عن خليفته فى المستقبل بقوله : « إن الذى يجب أن يظهر فى يوم من الأيام لهو أعظم من ذلك الذى سبق ظهوره » ، وللبهاء كتاب هو الأقدس أفضل من البيان وما سبقه من الكتب . والبهاء لم يثبت فى دعواه على أمر واحد ، فبينما يزعم أولا أنه خليفة القائم إذا به يعود ، ويدعى أنه القائم نفسه ، ثم عاد فخلع على نفسه صفة النبوة ثم صفة الألوهية والربوبية زاعما أن الحقيقة الإلهية التى لم تنل كما لها الأعظم إلا بتجسدها فيه .

وقد رأى فيه مريدوه أنه كائن فوق البشر ، ووصفوه بكثير من الصفات الإلهية فى أناشيدهم الحماسية التى اتخذوها سبيلا لمديحه والثناء عليه .

ويبدو من سلوك البهاء وأخلاقه أنه كان رجلا بعيد الأطماع واسع الحيلة يتخذ من الوسائل والأسباب ما يصل به إلى هدفه وغاياته مستعينا بدهائه الخفى ومكره المحكم وقوة السيطرة على أتباعه .

ووجد البهاء فى الاستعمار والصهيونية قوة تعينه على الوصول إلى أهدافه ، ووجدا فيه أداة يوجهونها كيفما شاءت أطماع الاستعمار ، وحقد الصهيونية من إشاعة البلبلة والفرقة والتمزق فى المجتمع الإسلامى ، وإغراقه فى الخلافات . وشغله بالمنازعات الداخلية ، فأمدوه بالمال ، وأضفوا عليه ظل حمايتهم وبسطوا له فى الأمل ، وكلما فتح ثغرة زادوه عوناً وتأييداً ، فاستغل كل منهم الآخر لتحقيق مآربه وأهدافه .

وأخذ المال ومظاهر التأييد والجاه تتوالى على البهاء من الاستعمار ورجاله حتى أصبح يحيا حياة مترفة ناعمة فى مدينة عكا التى اتخذها مقراً ومقاما ، وأخذ منها يوجه الرسائل ، والكتب إلى كثير من الملوك والحكام فى أوربا وغيرها يدعوهم فيها إلى اتباع دينه الجديد .

وكانت له تنبؤات مع بعضهم حققت الصدف بعضها فاتخذها أتباعه دليلا على صدق دعواه ، وأبرزها تنبؤه بهزيمة نابليون قبل وقوعها بأربع سنوات .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولكن العقل المنطلق من قيود الأوهام يستطيع أن يدرك أن مثل هذا قد يقع إذا ما تهيأت أسبابه ، وليس من العسير على رجل عادى أن يدرك ذلك بالنسبة لما يلاحظه من تطورات وأسباب .

من تعاليم البهاء :

الصلاة :

وقد خالف البهاء الباب فيما أقام عليه من عبادات منها أنه جعل الصلاة تسع ركعات فى الصباح والزوال والبكور ، ومن كلامه فى ذلك فى الأقدس (قد كتب عليكم الصلاة تسع ركعات قد نزل الآيات حين الزوال وفى البكور والآصال ، وعفونا عن عدة أخرى أمراً فى كتاب الله يقصد الكتاب الأقدس - إنه لهو الآمر المختار) .

القبلة :

وجعل القبلة حيث يكون قصره فى عكا إليه يحجون ويتجهون فى صلاتهم ما دام حياً وفى مماته اتخذ البهائيون قبره قبلة لهم ، ومن قوله فى كتابه الأقدس فى تحديد القبلة . .(إذا أردتم الصلاة ولوا وجوهكم شطرى الأقدس المقام المقدس الذى جعله الله مطاف الملأ الأعلى) .

الربا :

وقد سأل أحد اليهود البهاء عن حكم الربا فأجاب : وأما ما سألت عن أرباح منافع الذهب والفضة فقد صدر البيان الآتى من ملكوت الرحمن منذ عدة سنين خاصا لاسم الله زين المقربين عليه بهاء الله الأبهى - قوله تعالى - يقصد قوله هو : فضلا على العباد قررنا الربا كسائر المعاملات المتداولة بين الناس - أى ربح النقود - صار ربح النقود حلالا طيباطاهرا ، وقد توقف القلم الأعلى - يعنى قلمه هو - فى تحديده حكمة من عنده وسعة لعباده .

الجهاد :

ثم حرم الجهاد ودعا إلى هذا فى أكثر من موضع ومن قوله فى ذلك : (البشارة الأولى التى منحت من أم الكتاب فى هذا الظهور الأعظم لجميع أهل العالم محو حكم الجهاد من الكتاب ، وقد نزل هذا الأمر المبرم من أفق إرادة مالك القدم) ، وقد وجد الاستعمار فى هذه الدعوة فرصة سانحة لتحقيق أغراضه فى ابتلاع العالم الإسلامى ، وتربيتهم على الذلة والاستكانة لينفرد بمغانم بلادهم ويستأثر بخيراتها ، فرحب بهذه وساندها بكل قواه ، وأخذ يصطنع من أساليب التأييد كل ما يستطيع حتى يرضى نزعة الشهرة فى صنيعته الظامئ إلى الشهرة ، وكان الاستعمار يحشد له عدداً ضخما من أصحاب الصحف ومراسليها ومندوبى وسائل الإعلان المختلفة ليتلقوا عنه ما يهذى به من هراء وينقلوه إلى أرجاء العالم المختلفة لأن فى هذا تحقيقاً لمآربهم التى يرمون إليها من

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

استغلال العالم الإسلامى والانفراد بخيراته ، وقد سلك الاستعمار الغربى هذا المسلك مع كل خارج على مبادئ الإسلام داع إلى النيل من جلالها وتفكيك وحدتها فى أى مكان نشأ ، وقد وقف الاستعمار هذا الموقف من القادبانى الذى ادعى النبوة فى الهند ، ووضع تحت يديه من ألوان التأييد وأضفى عليه من سبل الحماية ما يمكنه من نفث سمومه وبلبلة أفكار المسلمين وتمزيق وحدته ، ولا شك أنه وجد فى البهاء سلاحا خطيرا فاستغله وبذل له المال جما كثيرا ومن المصادفات التى تستدعى انتباه الباحث وتستوقف نظره فى دعوة كل من هذين الكذابين البهاء ، والقادبانى أن كلا منهما دعا إلى تحريم الجهاد ، ولاقى من تأييد الاستعمار وحمايته النصيب الأوفى .

وكما مضى البهاء إلى نهاية الشوط فى خدمة الاستعمار وتحقيق مآربه نظير ما يضفيه عليه من حماية وما يبذل له من أموال ، اتجه إلى عمالاة الصهيونية والسير فى ركابها لتحقيق أغراضها . وأراد بهذا النفاق أن يضمن تأييد اليهود وعونهم فأخذ يدافع عن حقوقهم فى الأرض المقدسة ، ويفترى الوحى المنزل عليه فى إثبات حقهم . بل مضى خطوة أبعد بأن أعلن أنه يدعو إلى توحيد الأديان كلها على أساس أقدم الكتب المنزلة وهو التوراة . وأخذ أتباعه يفتشون فى ثنايا الكتاب المقدس عن كلمات يوهم ظاهرها تأييد دعوته والتبشير بمقدمه واصطنع أصحابه لغة الإجلال للكتب المقدسة والأنبياء السابقين ليضمنوا استماع أتباعهم إليهم حتى يصبوا فى آذانهم ما يريدون من إفك وضلال ، وقد اندفع بعض اليهود فى استخراج آيات من التوراة تضفى على دعوة البهاء صنعة الوحى المنزل والإشارة إليها فى الكتب السابقة .

وهذا أبو الفضل الجرفادقانى أحد الدعاة البهائيين يقول فى محاولة يبغى من ورائها أن يجد أصلا فى الكتب السماوية لمجىء البهاء فيقول : (البشارات الواردة فى مجىء يوم الله ونزول روح القدس وقيام مظهر أمر الله ، وهذا اليوم هو اليوم العظيم الرهيب المهيب الذى عبر عنه فى الكتب السماوية بتعبيرات شتى ، وسمى بأسماء عليا من قبيل يوم الرب ويوم الملكوت ، ويوم الحسرة ويوم التلاق ويوم القيامة والساعة وأمثالها ، وقد ذكر الأنبياء عليهم السلام لمجىء هذا اليوم أشراطا وعلامات وشواهد وأمارات ودلائل ومقدمات مما هو مذكور ومدون فى كتب الأولين ومنصوص ومصرح به فى كلمات الأقدمين ، ثم ينتهى إلى أن التوراة هى أقدم كتاب سماوى موجود ، ويستشهد منها بالآية الثانية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

من الإصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية من أسفار التوراة التي تقول : « جاء الرب من سينا ، وأشرف من سعير و تلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه قبس الشريعة » ثم يعلق عليها فيقول : فهذه الآية المباركة تدل دلالة واضحة أن بين يدى الساعة وقدام مجيء القيامة لابد من أن يتجلى الله على الخلق أربع مرات يظهر أربع ظهورات حتى يكمل بنى إسرائيل وينتهى أمرهم إلى الرب الجليل . فيجمع شقيتهم من أقصى البلاد ويدفع عنهم أذى كل العباد ويسكنهم فى الأراضى المقدسة ويرجع إليهم موازينهم القديمة إلى أن يقول : فظهر أولا بمقتضى هذه الآية الكريمة سيدنا موسى عليه السلام فتجلى عليهم بظهوره من جبل سيناء ، ثم ظهر ثانيا سيدنا عيسى عليه السلام فتجلى عليهم من جبل سعير ، ثم ظهر ثالثا سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم فتجلى بظهوره من جبل فاران ، فدارت الأدوار وتتابع الليل والنهار حتى ظهر الرب المختار وتم الظهور الرابع بأمر الملك الجبار . ويقصد بذلك . . ظهور البهاء ، بل لم يكتف البهائيون بذلك بل زعموا أيضا أن الميرزا عباس عبد البهاء بشرت به الكتب أيضا وهو ما أشارت إليه آية التوراة السابقة بقولها وعن يمينه قبس الشريعة ». وجد اليهود المتحمسون للبهائية فى إخراج ما يحتمل أن يشير إلى ذلك وتأويله سواء فى التوراة والإنجيل وزعموا أن ما جاء فى سفر أشعياء من الإصحاح التاسع عدد ٦ إنما يقصد به عبد البهاء وهو : يولد لنا ولد ونعطى ابنا وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيبا مشيراً إلها قديراً أبا أبديا رئيس السلام ، من أجل ذلك اندفعت الصهيونية فى تأييد البهائية بكل ما أوتيت من قوة ، واندفع البهاء وابنه وأتباعهما فى خدمة الصهيونية جهد طاقتهم متسترين بمظهر العالمية فى الدعوة والإنسانية فى النظرة .

وظل البهاء سادراً فى غيه عاملا على نشر كفره وباطله حتى استراحت من شروره الحياة سنة ١٨٩٢ فخلفه ابنه عباس عبد البهاء وأخذ يعمل على سنة أبيه فى مسألة الاستعمار والتزلف إلى الصهيونية والكيد للإسلام والتمادى فى الكفر والتمويه على الناس محاولا ربط تعاليم البهائية بأفكار الحضارة الغربية مدخلا عليها من التعديلات ما يحاول به أن يلائم طبيعة الغربيين فى تفكيرهم ، وقد انتقلت البهائية من المجال الإسلامى إلى المجال الأوربى والأمريكى وأخذوا ينشئون لهم مراكز فى أوربا وأمريكا وبنوا لهم داراً فى ـ الولايات المتحدة ـ تسمى مشرق الأذكار ، وأصبحت لهم مجلة تصدر فى أمريكا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

منذ سنة ١٩١٠ تسمى نجم الغرب ويصدر منها فى العام تسعة عشر عدداً لأن العدد ١٩ مقدس لدى البهائيين ثم تولى أمر البهائيين بعد هلاك عبد البهاء ابن اخته شوق ربانى وتلفعت البهائية فى كثير من الأحيان بالتقية واصطنعت النفاق حتى تصل إلى أهدافها فإن وجدت فرصة انتهزتها وإن رأت الأنوار سلطت عليها قبعت فى جحورها وادعت الإسلام شأنها شأن كل مدع جبان .

والبهائية خارجة على الإسلام كافرة به منكرة لتعاليمه، ولهم تأويلات باطلة وانحرافات ضالة فى تفسير ما جاء فى القرآن الكريم ليتفق مع نزعاتهم المنحرفة وضلالهم الآثم وحسب القارئ أن نضع بين يديه طائفة من هذه التأويلات ليدرك مدى ما يرتعون فيه من ضلال وخاصة فى أمور الآخرة فهم يفسرون النفخ فى الصور بأنه خطب قرة العين ، ثم نداء الميرزا بأنه رب القيامة وإفاضة الوجود الإلهى على كل الممكنات ، ويفسرون انفطار السماء بأنه نسخ الأديان السابقة وبطلانها ولا سيما الإسلام والقرآن ويفسرون تبديل الأرض بأنه تبديل القلوب بما أنزل عليها من أسطار الملكوت وانكدار النجوم وتكوير الشمس بضلال العلماء واحتجاب التعاليم الدينية بالأوهام ونسخ الأحكام فى الشريعة السابقة .

ويفسرون الأرض التى يقبضها الله بالعلم والمعرفة ، والسماوات التى تطوى بيمينه سبحانه بالأديان المنسوخة .

والقيامة فى أوهام البهائية تفسير عجيب ، فهى عندهم نوعان : صغرى وكبرى أما الصغرى فحلول روح الله فى جسد بشرى ، ويرون أن العالم قد شهد عدة قيامات ؛ لأن الحقيقة الإلهية عندهم لا تغيب عن الهياكل البشرية وهم تبعا لهذا يرون أن نفس الله قامت بكل واحد من الأنبياء السابقين أما القيامة الكبرى فهى قيام الروح الإلهية فى جسد البهاء ، وواضح من هذا التفسير أنهم ينكرون القيامة بمعنى اليوم الآخر الذى يحشر فيه الناس لرب العالمين وينكرون ما يتبعه من بعث وحساب ورؤية فالبعث هو اليقظة الروحية ، والحساب هو الفصل بين المؤمنين بتجسد الله فى البهاء وبين الكافرين بالتجسد أيضا ، ورؤية الله هى رؤية الجسد البشرى الذى حلت فيه روح الله ، ولقاء الله فى جلاله الأعظم هو لقاء البهاء .

والجنة هى رياض المعرفة التى فتحت أبوابها فى عهد البهاء ، ومعرفة الكتب الإلهية بواسطة البهاء ، وهى الإيمان بأن البهاء هو رب السموات والأرض إلى آخر هذا الطوفان من الهراء والعبث والضلال الذى لا يأوى إلا فى عقول خربة ، ونفوس مظلمة ، وقلوب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أعماها الهوى وأضلتها الشهوة وإليك النص الذى كتبه البهاء يحدد فيه معنى هذه الأشياء قال : « هل القيامة قامت ؟ بل القيوم - يريد نفسه - بملكوت الآيات « وهل ترى الناس صرعى ؟ بلى ، وربى الأعلى الأبهى ، قال : أين الجنة والنار ؟ قل : الأولى لقائى ، والأخرى نفسك أيها المشرك ... إلخ

ومن الجلى أن البهائية فى هذا يتابعون أسلافهم من الملاحدة والباطنية وذوى العقائد الضالة ويوهمون الناس أنهم جاءوا بشىء جديد وما هم إلا نقلة كفر وضلال ودعاة هدم وتخريب وطلاب مطامع ومغانم وأدوات تسخر نفسها لهدم الإسلام والنيل من صفاء جوهره ، وتلق بنفسها فى أحضان الاستعمار والصهيونية وتدلف إلى أغراضها فى أسلوب حقير جبان ، قد باعت نفسها للشيطان، والإسلام منها براء وحاشا لساحته النقية أن يلوثها هذا الدنس أو ينال من رفعته هذا الهراء ، وواجب المسلمين أن يتنبهوا لهؤلاء الأدعياء ويقفوا لهم بالمرصاد حتى ينقذوا العالم من شرهم ، ويجنبوا المجتمع الإسلامى وباءهم المقيت .

ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين ؟

محمد إبراهيم الجيوشى

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

خطئان مطبعيان

فى افتتاحية العـــدد

جاء فى صفحة ٣ فى السطر العشرين من العمود الثانى :

(بأقطارها الثانية عشر) والصواب : بأقطارها الاثنى عشر .

وجاء فى صفحة ٤ فى السطر الخامس من العمود الأول :

(وأن النجوم الاثنا عشر) والصواب : الاثنى عشر .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وحدة الهدف أولاً:

مبدأ من مبادئ الإسلام الخالدة

للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي

١ ــ لا يزال كثير من المسلمين المعاصرين يفهمون الإسلام بالتقليد، ويؤمنون بأصوله وأركانه بالوراثة، ويأخذون أحكامه وآدابه بالتناقل . . . دون أن يرجعوا إلى العقل وأحداث الزمن الحاضرة في فهمه، وتدبر غاياته وأهدافه، وكثيراً ما يثرثرون بما لا يفهمون، ويهرفون بما لا يعرفون، ويقولون ما لا يتدبرون. والعجب العاجب أن تسمع من بعضهم أن الاجتماع على الفضائل الإنسانية، والمثل والقيم النبيلة، يكفي في الإسلام وفي كل دين، دون دخول في الإسلام، وإيمان بالدين، وتصديق برسالة محمد صلوات الله عليه.

وليس أغرب من هذا الفهم في عرف العقل، ولا في رأي الدين نفسه؛ وكأني بهؤلاء يقولون إن: «وحدة الصف» هي الغاية وعليها المعول وفيها الكفاية. وحسبهم أن يجتمع الناس على الخير، ويؤمنوا بالفضيلة، ويصدقوا بوجود الله؛ ففي ذلك كل الغنى، وفيه الفوز برضاء الله ونعيمه الأبدي. . ولقد اجتمع كثير من الدعاة المضللين على الدعاية لفكرة توحيد الأديان، لغرض في نفوسهم، ومرض في قلوبهم، فهذا التوحيد لن تؤمن به اليهودية ولا المسيحية، ولا يؤمن به الإسلام نفسه ما دام أساسه أخذ بعض الدين وترك بعضه، وما أصدق ما يقول الله عز وجل في كتابه الحكيم: «إن الذين يكفرون بالله ورسله، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا. أولئك هم الكافرون حقا، وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً»(١)

إن ذلك كله خطأ ما بعده خطأ في حكم العقل وحكم الدين أيضا، فالإسلام لا يدعو إلى وحدة الصف وإنما يدعو إلى وحدة الهدف فليكن الإنسان مؤمناً أولا بالدين، فهذا الإيمان أساسي وضروري لتحقيق وجود الإنسان الروحي والفكري والأدبي أولا، ثم بعد ذلك عليه أن يلتزم آداب الدين وأركانه وشعائره، ويعمل بها ليحقق الغاية من الإيمان ومن الدين؛ وفي ذلك يقول الله عز وجل: «ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن، فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا»(٢). ويقول وما أصدق ما يقول: «يا أيها الذين آمنوا، آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله، والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر

(١) النساء: ١٥٠، ١٥١ (٢) النساء: ١٢٤.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فقد ضل ضلالا بعيداً » (١)

إن التوحيد فى الأديان أو بينها هو ما نص عليه القرآن الكريم فى قوله عز وجل : « قل آمنا بالله ، وما أنزل علينا ، وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون » (٢) .

وبهذا تتحقق وحدة الهدف بين أتباع الدين، أما أن يجتمع الناس كافة على بعض أصول الدين دون بعض ، تحقيقا لفكرة وحدة الصف ؛ فهذا خطأ فى التفكير والفهم ؛ وقد كان لنا من عبر الحاضر ما يذكرنا بحقائق الدين وحكمة تشريعاته وأصوله ، فقد كنا ندعو إلى وحدة الصف ، ثم عدنا ندعو إلى وحدة الهدف أولا بعد أن تبين لنا أن وحدة الصف لا تكسبنا ولا تكسب دعوة العروبة والقومية والوحدة خيرا . . . فهل يلام الإسلام إذا مادعا أولا إلى وحدة الهدف ، فطالب الناس بالدخول فى الإسلام أولا ، ثم طالبهم بعد ذلك بأعمال الإسلام وتشريعاته وآدابه وأحكامه ؟ .

٢ - إن الدين والإيمان بالله أولا هو الحد الفاصل بين روح الإنسان وبين غرائز الحيوان : بين المدنية والوحشية ، بين العقل والجهل ، بين النور والظلام .

والإيمان بالوحى والرسالات السماوية أمر حتمى ؛ لأنها خيوط الفجر فى ظلمات الحياة، ومبادئ الحق والخير والعدل والحرية فى ضلالات الباطل والشر والظلم والطغيان ، ولأن الرسل الذين اصطفاهم الله لرسالاته هم دعاة المثل والقيم الإنسانية الرفيعة وحاملو لواء المدنية والحضارة والهداية فى الأرض .

والإيمان برسالة الإسلام إيمان بالتطور والتجديد وبالكمال الروحى والنفسى وبالفضائل والمبادئ الشريفة ، وبالحياة نفسها ومثالياتها العالية . . . وما محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أعظم الدعاة إلى أعظم المبادئ وأكرمها وأشرفها عند الله والناس ، وهو الذى قاد الحياة إلى عصر جديد، وشرع لها من المبادئ والأصول ما أعزها وسما بها إلى غايات رفيعة من السلام والخير والهدى والإيثار والمحبة ومرضاة الله والناس ، ونقلها إلى حياة النور والمدنية والعدالة والإخاء والمساواة ، وعلمها أن الدين هو الحياة الشريفة ، وهو موجه الحياة إلى أشرف المبادئ والأهداف ، وقائدها إلى أسمى الغايات وأنبل الاتجاهات والمساعى .

والعمل الصالح ، والتزام الفضائل ، وإيثار العدل ، وحب الحرية ، والإيمان بالمساواة والإخاء ، وبالإيثار ، والعمل لخير المجتمع ؛ هو تحقيق لمدلول الدين نفسه وعمل بمبادئه ، وتطبيق لأحكامه ...

وذلك كله تحقيق لوحدة الهدف قبل كل

---

(١) النساء ٣٦ . (٢) آل عمران ٨٤

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

شيء ؛ دون نظر إلى وحدة الصف ، التي تعني جمع الأنصار والأتباع ، دون أن يشملهم جميعا السلام الروحي ، ودون أن يجتمعوا كلهم على هدف واحد وغاية واحدة وسبيل واحد .

٣ ـ وحـــدة الهدف أولا مبدأ من مبادئ الإسلام الأولى ، عناه الدين وألزم به أتباعه ، وطبقه في كل أمور ودعوته .

ولست مع من يرى أن بعض الأعمال يمكن أن تقدم على الإيمان بالدين نفسه ، كائنة ماكانت هذه الأعمال ، وبالغة ما بلغت من السمو والرفعة والشرف ..

وفي « التفسير البياني » للدكتورة الكبيرة بنت الشاطئ ـ وهو تفسير جديد قيم يسير على مناهج علمية ثابتة ـ عند تفسير قوله تعالى من سورة البلد : « فلا اقتحم العقبة . وما أدراك ما العقبة . فك رقبة . أو إطعام في يوم ذي مسغبة . يتيما ذا مقربة . أو مسكينا ذا متربة . ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة » . ترى الدكتورة الأخذ بصريح الترتيب في الآيات ، وتقول مانصه : (يبين القرآن مراحل اقتحام العقبة ، فيضع كرامة الإنسان بالعتق ، والعدالة الاجتماعية بإطعام فقير أو مسكين ، خطوتين سابقتين على الإيمان ، مقررا ألا سبيل إلى رجاء الإيمان فيمن غره جاهه فاسترق مخلوقا مثله ، وتحجر قلبه فلم يطعم في المجاعة يتيما أو مسكينا ؛ معلنا ألا مكان لإيمان صادق مخلص في مجتمع لا يسيغ إهدار البشرية ، ويطيق أن يمسك الطعام في يوم مجاعة عن يتيم ذي قربى أو مسكين معدم ، لا يجد إلا التراب [1] » .

ومعنى ذلك أن الإيمان في المرتبة الثانية لا الأولى ؛ ودائما نقول : إنه لا يستطيع المحافظة على حقوقه إلا مؤمن بها ، وأن الإيمان أولا ، وكل شيء يجيء في المرتبة التالية له ، فوحدة الهدف أولا . . والإيمان في يد الرقيق وثيقة الحرية ، وفي يد الفقير والمسكين وثيقة العدالة الاجتماعية ، وماجدوى تحرير الرقيق إذا لم يكن يملك الإيمان به ، ولا يملك الوثيقة التي أعلنت تحريره وماجدوى العدالة اجتماعية ، إذا لم تكن هذه العدالة جزءا من الدين والإيمان ، وشعيرة من شعائرهما ؛ وحقا واجبا للفقير أو المسكين واليتيم الإيمان أولا ؛ لأن الإيمان هو الحرية والوسيلة إلى الكرامة الإنسانية والعدالة الاجتماعية . فالقرآن الكريم جعل كل هذا من اقتحام العقبة وتحمل المسئولية ، والإنسان مطالب بها جميعها ، وقدم القرآن فك الرقبة والإطعام للاهتمام بهما في مجتمع جاهلي خوطب بالقرآن ثم رفع من منزلة الإيمان بالتعبير بثم ؛ لأن الإيمان إذا وجد وجد كل عمل صالح وخلق كريم .

والأمر كله أن القرآن والإسلام يعتبران وحدة الهدف أولا : فكل الطاعات والأعمال

(١) ص ١٠٠ التفسير البياني .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الصالحات لا تجيء عبادة مقصودة يتقرب بها إلى الله إلا بعد وجود الأساس الذى تبنى عليه هذه الطاعات ، وهو الإيمان ، وبدونه تكون هذه الأعمال أعمالا إنسانية نبيلة ليس المقصود بها طاعة الله بل إرضاء نزعات أخرى ، وهى لا ترفع مسئولية الإنسان عن وجوب الإيمان بالله ورسالته ولا تبعد عنه عذابه وغضبه فى اليوم الآخر وليست مرضاة الله فى الآخرة إلا عن المؤمنين المصدقين ثم الطائعين . . وفى هذا يقول الله عز وجل : « قد أفلح المؤمنون . الذين هم فى صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون . والذين هم للزكاة فاعلون » . . . إلى أن قال عز وجل : « أولئك هم الوارثون . الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون » .

إن وحدة الهدف مبدأ ظاهر واضح فى تعاليم الإسلام وشعائره وأصوله . . فهى تلى فى المنزلة الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وبخاتم الرسل وبرسالته الكريمة الخالدة .

٤ — ووفق ناموس التدرج والارتقاء لا بد أن تأوى الإنسانية إلى هذه الشريعة السمحة الكريمة ، ولا بد أن ترد إلى أصولها العامة ، ومبادئها الشريفة ، التى وسعت الناس جميعا والتى ساوت بينهم فى الحقوق والواجبات وأعلنت مبادئ الحرية والإخاء بين البشر كافة ، وشرعت شرائع الشورى والديمقراطية والعدالة والحق ، والتكافل الاجتماعى ، وجعلت الناس إخوة ، ونادت بوحدة إسلامية تسع المسلمين جميعا ، وهى التى تنادى بها اليوم فى وحدة عربية ، فهى وحدة عربية إسلامية مصغرة ، كما نادت بوحدة إنسانية عامة ، يشترك المسلمون وأتباع الديانات السماوية الأخرى فيها فى المحافظة على السلام وعلى القيم الإنسانية ، وعلى بناء الحضارة ، وعلى أصول المدنية والمسئولية الأدبية بين العبد وربه . فالوحدة الأولى هى وحدة فى الهدف ، وهى مقدمة على كل شىء والوحدة الثانية هى وحدة فى الصف ، وهى لا تقوم إلا إذا وجدت الأولى ، وهى ضرورية للتوازن العالمى ولسيادة السلام فى الأرض ، ولتبادل التجارة والمنافع بين البشر جميعا .

يقول الأستاذ الدكتور محمود حب الله الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر من محاضرة له فى قاعة الإمام محمد عبده [1] ما نصه : « إذا كان المسلمون قد انحدروا من أجناس وأنساب شتى ، وجاءوا إلى الإسلام من ثقافات وحضارات شتى ، ولهم لغات ولهجات متباينة فإنه لحق كذلك أن الإسلام قد جمع بينهم ، والإسلام عقيدة وشريعة ، مبادئ ومثل وطريق للسلوك فى الحياة ، للسلوك فى شتى أنواعه ومظاهره ، فغرس لذلك بين الأمم والشعوب التى اعتنقته عادات وتقاليد متشابهة

(١) راجع مجلة الأزهر عدد رجب ١٣٨٢ هـ ص ٥٩٣ وما بعدها « الإسلام والعالم » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى الحياة ، وحد بها بين اتجاهات المسلمين فى تصرفاتهم وطرائق سلوكهم فى الحياة ، ولم يوحد الإسلام بين المسلمين فى كلمة التوحيد فحسب ، بل وحد بينهم كذلك فى قواعد السلوك ، وفى أساليب السلوك فى الحياة ، فأصبحت عاداتهم متقاربة متشابهة ، فالوحدة بين المسلمين وحدة حقيقية ؛ لأنها وحدة فى الإيمان ، وحدة فى المثل وفى الأهداف ، وحدة فى الشعور ، ووحدة فى السلوك والأخلاق ، وفى التقاليد والعادات » .

• — إن الإسلام يقف اليوم فى مركز الثقل فى العالم ، يحفظ للإنسانية روحها ، ويجدد للحضارة بناءها ، ويبنى للحياة قيمها ومثلها ، تفرمن أمامه نزعات الإلحاد والمادية وتحاول أن تطغى عليه نزعات الفساد والتحلل فلا تلبث أن تجد العود الصلب ، والحق الثابت ، والقوة الفتية ، والشباب المتجدد ، والمثاليات الإنسانية الكريمة ، فتخشع وتطأطئ الرأس صاغرة ذليلة .

الإسلام هو الحياة المتوثبة ، والشعائر الكريمة الحية المتجددة ، هو كل قوة وكل خير وكل عدل ورحمة فى الأرض : « إنه لا عيب فيه ، ولا ينقصه شىء من مقومات الحضارة ، بل هو الموجد لأعلى أنواع الحضارات ؛ فإذا كانت هناك عيوب ، وإذا كان هناك تخلف ، فهو نتيجة لتفكيرنا ، ولعملنا نحن المسلمين ، وليس نتيجة للإسلام » (١) .

ولا يعنى ذلك أن ندخل فى الإسلام تقاليد المسلمين المتأخرة ، وجمودهم الذى صاروا إليه ، ولا أن نحاسبه على أعمالنا نحن ، وعلى ركوع البعض منا أمام القوة والجبروت والسلطان ؛ بل إن الإسلام هو التحرر والانطلاق والحق والإنصاف ، وهو السمو النفسى والروحى فى كل نواحيه ، وهو كل دعوة كريمة فى الحياة .

وليت شعرى متى يفهم المسلمون رسالتهم فى الحياة حق فهمها ؟ ومتى يؤمنون بالإيثار لا الأثرة ، وبالحق لا بالباطل ، وبالعدل لا بالجور ، وبكل قيم الحياة ومثالياتها الرفيعة ؟

اللهم إنك ربى ، وأنت القادر على تغيير الطباع ، وتصحيح الأوضاع ، وعلى أن يعود مسلمو اليوم كما كانوا بالأمس ، مثلا رفيعة ، وأمثلة حية لمبادئ الإسلام وآدابه وأصوله .

اللهم أنت الذى أنزلت رسالتك ، وأنت الذى وعدت بحفظها فى الأرض لتبقى فيها ما بقيت الحياة ، تبعث الإيمان والخير والفداء والتضحية والبطولة والشجاعة والنبل والشهم والخير بين الناس .. فاكتب للدين وأهله العزة والسيادة والمنعة والقوة والظفر ، حتى تبقى الراية مرفوعة ، واللواء خفاقا ، والعلم مرفرفا ؛ يجتمع عليه الناس كلما فرقتهم الحياة ، وأغرتهم الدنيا ، ووسوست إليهم المادية ودعاتها المبطلون ؟

محمد عبد المنعم خفاجى

(١) المرجع السابق نفسه .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

طبيعة الشعر الغنائي

للدكتور عبد الله الطيب

— ٣ —

قرضه الشعر :

عسى هذا الذى قدمناه أن يكون قد أوقع فى نفسك أيها القارئ الكريم شيئاً مما نراه ، من أن القافية والوزن معاً هما مفتاح القصيدة بما يشيعان فى موسيقاها من وحدة وارتباط .

وإذ هما كذلك فإنهما وثيقا الصلة بالمعانى التى تدور فى قلب الشاعر وتنبعث من أعماق تجربته إلى محض البيان ولقد تذكر أنا فردنا فى كتابنا المرشد الأول بحثاً مستفيضاً عن طبائع الأوزان طوالها وقصارها وما يرتبط بهن من ألوان المعانى . فالذى زعمناه هناك نريد أن نجعله ههنا أساساً لزعم آخر قد كنا ألمعنا لك بطرف منه ، وهو أن اتحاد القافية مع الوزن يحصر دائرة المعانى التى يهم بها الشاعر فى نطاق أقل حيز من نطاق الوزن المجرد قبل أن تصحبه القافية . ثم ضروب التنويع الموسيقى من زحاف إلى سكنات وحركات وهلم جراً ، يزدن فى هذا الحصر حتى لا تبقى أمام الشاعر إلا وثبة البيان التى تحيل مدلول موسيقا الوزن والقافية والزحاف والحركات والسكنات والاختلاسات ، كل ذلك إلى تعبير ناطق .

وأقول وثبة البيان ؛ لأن الوزن والقافية وما يتبعهن كل ذلك فى الإمكان تصوره مجرداً غير مصحوب بتجربة الشاعر . ولنا أن نزعم أن محض القدرة على تصنيع الإيقاع كفيل بأن يهيئ هيكلا ، ذا وزن وقافية وأصناف من الزخارف النغمية ولكن هذا الهيكل يكون بارداً خالياً من الروح هامداً حتى تصحبه وثبة البيان المنبعثة من حاق التجربة والرغبة فى التعبير عنها . ووثبة البيان هذه هى ما كان يسميه القدماء (نفس الشاعر) يعنون به الروح الذى يفتظم رنة نظمه من المطلع ويربط بين سائر أجزاء كلامه ويشيع فيها وحدة عميقة ذات جرس مبين ووحى نافذ.

وإذا بلغنا هذا المبلغ فإنا نجسر فنقول إن القصيدة العربية شكل وهيكل ذو وحدة تامة مصدرها إطار موسيقى السمع ونفس حار ينبعث منه هذا الإطار الموسيقى حتى يكون مفتاح التعبير له ، ووسيلة تأتيه إلى البيان .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ذلك بأن الشاعر العربي يقبل على القول إقبالا مباشرا ولا يتكلف التماس الوسائط، وأعني بهذا أنه يروم إيصال تجربته إلى السامع فيها مشاركة تامة، وحتى يصير كأنه هو نفسه قد اجتاز بمراحلها وأحس نشواتها وحرقاتها وهذا المرام من الشاعر العربي يضطره إلى الصراحة وإلى أن يكافح نفس سامعه كفاحا حتى يتصل بها اتصالا لا تشوبه شائبة من حجاب.

وإذا الصراحة طريق عسر، فإن الشاعر العربي قد طلب لها التذليل بإيرادها في إطار من الوزن والقوافي والزخرفة النغمية نوع من مادة الموسيقى والغناء. ذلك بأن الموسيقى والغناء مما يحركان النفوس ويسموان بها — يسموان بنفس الشاعر حتى يملك الشجاعة التي يقوى بها على الصراحة وعلى مكافحة نفوس السامعين، ويسموان بالسامعين حتى يتجردوا من حجب الذاتية إلى لقاء الشاعر في تجاربه.

والشاعر يرزم في أعماق فؤاده بالموسيقى والنغم والحركات والسكنات قبل أن تسمح نفسه إلى طريقة من الوزن والقفية وهذا الارزام يكون أول مراحل التعبير وأول مراحل الرتبة البيانية ومن طريقه ينتقل الشاعر من أرض الحجاب الذي يكون بينه وبين السامع المنتظر، إلى سموات من الأسفار، وتصحبه في انتقاله هذا نشوة نفسية تزداد عنفا كلما قارب البيان والإفصاح — هذه النشوة النفسية إنما هي ضرب من الجذب الروحي الذي يعتري الكهان والعرافين وأمثالهم من أهل الوجدان والتطلع إلى الملأ الأعلى.

والشاعر قد تعتريه هزة الجذب الروحي والنشوة الشعرية قبل أن تتفتح نفسه إلى موضوع بعينه. وقد تعتريه بعد أن يصدم نفسه حادث ما أو موضوع ما. فإذا اعترته قبل أن يكون قد استثاره موضوع يعرف أمره، فإن حالته النفسية تكون في ظلام من الانقباض أشبه شيء باليأس الخانق على أنه وهو في هذه الحال، يدرك أنها إرهاص بالتعبير الذي لابد أنه تاليها ثم ينكشف عنه الظلام إما رويدا رويدا إلى نور الإفصاح وإما بفجأة بعد عسر طويل، والغالب عليه في هذه الحالة أن يتخبط في التماس سبل البيان آخذا آنا بهذا الوزن وتلك القافية، وآنا بهذاك الوزن وهاتيك القافية، وربما نظم قصيدة كاملة ثم وجدها لا تحمل كبير معنى من نفسه فاطرحها ولا يزال في نحو من هذا العناء حتى يفرج عنه.

والحق أن الشاعر في هذه الحالة إنما يكون قد ألمت به دوافع تجارب من الماضي طال اختباؤها حتى إذا حان أوان بروزها

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

اجتذبته بعنفها فلم يجد بدا من الانقباض والضجر حتى يستذكرها إلى أن تشرق عليه واضحة جهيرة . هذا وإذا اعترت الشاعر حالة الجذب بعد حادث بعينه ، أو موضوع بعينه فالغالب أن يكون اعتراؤها إياه يسير المس أول الأمر ، ضعيف الإلمام ، وربما وجد نفسه ينطق برنة الوزن والقافية ، أو ببيت كامل أو عدة أبيات

وقل أن يستوفى التجربة حقها فإذا أعرض بعد ما تأتى له أولا فإنه لابد أن تعاوده دوافع هذه التجربة ولو بعد أمد طويل وتصنع به نحواً مما قدمنا نعته من قبل وإن لم يعرض ، وأقبل على إيفاء التجربة حقها من التعبير ، فإنه لابد أن تلم به حالة الضجر والقلق والظلام بعد انقطاع أوائل الأبيات أو أوائل التعبير عنه ، ولا تزال هذه الحال تشتد به وهو يلتمس السبل إلى البيان حتى يجد مسالكه إليه . ومن هنا تتشابه حالة الجذب فى مظهريها - أى حين تعرو وبلا سابق حادث وحين تعرو بأثر صدمة حادث بعينه أو موضوع . وعندى أن منشأ هذا التشابه من أن الشاعر فى كلتا الحالتين يروم استخراج خبىء تجارب الماضى التى توحى إليه بالبيان . ولعل صدمة الحادث المعين أو الموضوع المعين إن هى إلا مجرد سبب مباشر لإثارة التجارب المودعات . وكثير من حالات الجذب تقع فى طرائق وسط بين مجرد الانبعاث من دون سابق حادث أو مجرد الاستجابة إلى صدمة حادث أو موضوع ، من ذلك مثلا أن يتذكر الشاعر حادثا مضى ثم يعتريه انقباض ما إلى أن يقول فيه بيتاً أو بيتين . ثم يقطع به ، ثم يراجعه القول بعد ذلك .

هذا وإن من تجارب الشاعر ماينثال به إلى البيان اندفاعا ومنها مايستسر إلى حين . ومنها مايروم مخرجا وأكثرها يختمر ويتعتق ويمكث دهوراً ثم يحدث فى نفس الشاعر ما سبق لى نعته من انقباض وظلام ثم وضوح وانبلاج وإفصاح .

وهذا الوصف كله تقريبى لا أزعم أنه يصدق على أحوال الشعر جميعها وأرانى غير واجد بدأ من أن أستثنى ضروب القول المتعمد ، وهو الذى يصطلح له المعاصرون قولهم شعر المناسبات إذ الشاعر لا يصدر فيه عن دافع منبعث من الأعماق ، ولكنما يستجيب إلى دعوة من الخارج يسخر لها ملكته .

على أنه حين يجمع أطراف ملكته ويتخير مفتاح التعبير فى الوزن والقافية ، ويمد بنات فكره إلى شتى تطوف المعانى ، لا يخلو

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى كل ذلك من رجعة إلى ماضى تجاربه ، ومن وثبة إلى فنن من الخيال . وحينئذ يبطل عامل المناسبة ، ويتلاعب التعبير على طريقة مستقيمة من طرق البيان الأصيل . ومتى تأتى الشاعر ذلك أمكنه أن يصعد بالنفس الخطابى ، وهو النفس الغالب على أصناف البيان المتعمد بمعرض المناسبات ، إلى طرق من الإفصاح الرحب المدى ، الذى ربما استثارهم بجموعة بأسرها . على أنه لابد من الاحتراس ههنا بأن النظام فى المناسبات مزلة أقدام . وربما وثق الشاعر بملكته ثقة أعمته عن حقائق عوامل الأصالة فى نفسه . فيكون الترنيم بأنغام بما أوتيه من ملكة ودربة ، ويحكم نظاما من المعانى ، ثم لا يصاحب ذلك جميعه عنصر الجذب الروحى الذى لابد منه لحياة الإطار الموسيقى والعبارة البيانية .

وقد كان أحمد شوقى رحمه الله كثيراً ما يزل هذا الزلل ، وتشفع له مقدرته على النظم والتنضيم . ولقد سبق لى أن ضربت من ذلك فى المرشد أمثالا ، ولا أهاب ههنا أن أصف سائر مراثيه بأنها من شعر المناسبات وأنها خالية من الروح كل الخلو لا أكاد أستثنى من ذلك شيئا إلا بيته فى سعد رحمه الله :

شيعوا الشمس ومالوا بضحاها
واثنى الشرق عليها فبكاها

والصناعة فى الشطر الأول لا تخفى إذ ضمنه قوله تعالى : « والشمس وضحاها » على أنها صناعة خفية التكلف ورنة النغم تشفع لها هذا ، ومما يقارب شعر المناسبات فى خطورة المرقى ، ومقاربة الزلل ، شعر المجاريات ، وأحسب أن المجاراة الجيدة لا يقدر عليها إلا ملهم موفق أو تجىء على محض الاتفاق والمصادفة .

ذلك بأن الوزن والقافية كما قدمنا لك هما مفتاح للتعبير . فالذى يجارى شاعراً آخر ، إما أن يكون قد اتفق له ذلك اتفاقا ، وإما أن يكون قد تعمده ، فمن أمثلة الأول كلمة أبى الطيب :

يا أخت خير أخ يا بنت خير أب

فهذه لا يغفل أن يكون هو قد تعمد بها مجاراة أبى تمام حيث قال :

السيف أصدق أنباء من الكتب

ومن أمثلة الثانى كلمة شوقى :

بسيفك يعلو الحق والحق أغلب

فإنه جارى كلمة أبى الطيب :

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب

ومحل النظر هو هذا الضرب الثانى ، لأن الشاعر الذى يوافق آخر قبله فى الوزن والقافية على سبيل الاتفاق والمصادفة ، إنما يشابهه فى أمر واحد فقط وهو أن كلامه فى جملته داخل فى حيز المعانى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

العاطفية التي تشير إليها طبيعة الوزن والقافية كاستشعار البطولة مثلا - إذ غير خاف أن أبا الطيب أسبغ على خولة ألونا من البطولة استشعر ذلك منها وحسبك شاهداً صريحا قوله :

فما تقلد بالياقوت مشبهها
وما تقلد بالهندية القضب

ولا تصح المجاراة المتعمدة من الضرب الثانى إلا إذا احتدم جانب العاطفة والروح وغلب على الشاعر غلبة جعلته يتخذ من وزن الشاعر الآخر هو الذى يجاريه ومن قافيته نموذجا يحتذى ، ويجرى ويتاد فيه مسالك تجربته وانفعاله ومقاصد تعبيره ، ولا ريب أنه تصاحب هذا النوع من التعمد حالة من حالات الجذب شبيهة بما يعانيه الشاعر حين تظلم نفسه قبيل إشراق الشعر عليه ، وذلك أنه بالنسبة للنموذج يكون كالمتحسس فى الظلمة ، فمتى وقع خاطره على كلمة شاعر بعينها نزلت عنده بمنزلة المفتاح لما يعتلج فى نفسه ، ولا أكاد أمترى أن عبدة بن الطبيب قد لاقى عناء من هذا الضرب فى قصيدته التى أولها :

هل حبل خولة بعد الهجر موصول
أم أنت عنها بعيد الدار مشغول

إذ قد نظر فيها إلى كلمة كعب بن زهير :

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول

ولعلنا لا نباعد أن عددنا هذه المجاراة أدخل فى باب الاتفاق والمصادفة منه فى باب التعمد البحت الكالح ، الذى استشهدنا له بكلمة شوقى فى مجاراة المتنبى .

ذلك بأن المتعمد تعمدا بحتاً إنما يروم مجاراة الوزن والقافية بالاجتهاد وقوى الملكة ، ولا أشك أنه يرتكب الكلفة والصناعة بادئ أمره ، وربما عمد إلى ألوان من التدليس بما هو بضاعة الشعراء كالافتنان فى التنغيم والمحسنات البلاغية واصطياد المعانى الشاردة ، كل ذلك يروم أن يضاهى به ما لا بد للشعر الصالح منه ، من حرارة النفس ، واندفاق الطبع .

وقدر للشاعر المجيد بعد هذا التكلف أن تنفتح بعض آفاق نفسه فيصدق فى التعبير ، على أن هذا إن تأتى إنما يجىء كالفلتة وفى الأبيات القلائل وأكثر مجاريات المرحوم أحمد شوقى من هذا الضرب ، كهذه البائية التى استشهدنا بمطلعها فإنها فى جملتها ليست بشىء وكسينيته التى جارى بها البحترى وليته لم يفعل ؟ ومن أغرب ما قرأت من المجاريات كلمة الأديب الغزى أوردها صاحب الجريدة فى اختياراته ، يجارى بها تائية أبى العلاء التى فى سقط الزند :

هات الحديث عن الزوراء أو هيتا
وموقد النار لا يكرى بتكريتا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وهي كلمته :

أمط عن الدرر الزهر اليواقيتا
واجعل لحج تلاقينا مواقيتا

ولا أدري لماذا يطلب المواقيت إذا تيسر التلاقي ، ولكنه أتى من طلب المؤاخاة بين الحج والمواقيت فأفسد هذا المعنى كل الإفساد ، وخور الشطر الأول لا يخفى على القارئ :

تشرك اللؤلؤ المبيض لا الحجر
المسود لأثمه يطوى السباريتا

والثم يحف بالملثوم كرته
حاشا ثناياك من وصم وحوشيتا

والمقابلة ههنا بين اللؤلؤ المبيض والحجر المسود اجتهاد مرهق . ولعمري لو شبه ثغرها بالحجر الأسود لكان أبلغ ، إذ يسبغ عليه قداسة ونورا ولكنه اندفع مع الطباق ورام المقابلة بذكره أن لا ثم الحجر الأسود يطوى السباريت ، وهذا كما لا يخفى معنى سرقه من أبي العلا المصري إذ هو كثير الدوران في لزومياته ، وما على من يريد ثما من ثغر محبوب أن يطوى إليه السباريت ؟ .

أمست سعاد بأرض لا يبلغها
إلا العتاق النجيات المراسيل

هذا ولقد جمع خيال الغزي رحمه الله - اللهم غفرانا ، بل إغرابه حتى أخذ ينعى على الحجر الأسود أن الشفاه أجحفت به وأثرت فيه وثغر المحبوب بزعمه يزداد حسنا على الثم فهو ههنا يرثى على الحجر الأسود ، فتأمل هذا الفنت .

ولعمري أن قوله « الثم يجحف بالملثوم كرته » آبدة من الأوابد لغريب عبارتها وخشونتها وما الكر والثم ، ولا أحد لفظة « الملثوم » كما لا أحد لفظة « يجحف » وأما « حاشا » و« وحوشيتا » وما إليها فتذكير لنا بأنه يجاري المصري ، وويل الكواه من مجاراة العراب ، وإنما أراد إلى قول المصري : —

ذم الوليد ولم أذم ديارهم
فقال ما أنصفت بغداد حوشيتا
فإن لقيت وليدا والنوى قذف
يوم القيامة لم أهدمه تبكيتا

ثم قال الأديب الغزي : —

قابلت بالعنب الأجفان مبتسما
فبدا من ناظريك السحر منكوتا
فكان فوك اليد البيضاء جاء بها
موسى وجفناك هاروتا وماروتا
جمعت ضدين كان الجمع بينهما
لكل جمع من الألباب تشتيتا
جسما من الماء مشروبا بأعيننا
يضم قلبا من الأصلاد منحوتا

وإنما نظر في هذه الأبيات إلى قول أبي العلاء : —

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يادرة الخدر فى لج السراب أرى
مقلداً بعقيق الدمع منكوتا

إلى آخر ما قاله . ولقد بالغ فى التكلف وإنما سقنا هذا الذى سقناه من تائيته الضرب مثلا على المجاراة التى يراد بها إظهار الصناعة فإنها أكثر ما تئول إلى نقيض ما يريده صاحبها .

هذا والنقائض فى الشعر مما يدخل فى باب المجاراة المتعمدة كالذى تجده فى مناقضات جرير والفرزدق . غير أن هذين كانا يجريان كلامهما مجرى الخط وقد سبق لهما قبل المباراة أن حددا لأنفسهما مجال القول فإذا استهل أحدهما بوزن ما وقافية ما كان ذلك كالمؤذن لصاحبه بأن مجال القول ههنا . فمتى جاراه صاحبه فى وزنه وقافيته لم يكن بالمبعد كل الإبعاد عن طريقة الرضى التى تنشأ من الانفعال والنفس العاطفى الحار . ولقد نرى عند جرير والفرزدق أنه ربما عمد أحدهما إلى مخالفة صاحبه فى القافية لا فى الوزن ليجعل ذلك أقرب ما يهم هو بقوله من ذلك ما فعله جرير فى مجاراة الفرزدق إذ يقول .

إن الذى سمك السماء بنى لنا
بيتا دعائمه أعز وأطـــول

فانه قد خفض الروى لينجو بالقول عن التفخيم إلى ما هو من طريقه ومذهبه من الوثب والاندفاع . تأمل فى التدليل على هذا الذى نذهب إليه قول الفرزدق : ـ

إن الذى سمك السماء بنى لنا
بيتا دعائمه أعز وأطول
بيتا زرارة محتب بفنائه
ومجاشع وأبو الفوارس نهشل
أحلامنا تزن الجبال رزانة
وتخالنا جنا إذا ما نجهل

وتأمل بعده قول جرير :

أخزى الذى سمك السماء مجاشعا
وبنى بناءك بالحضيض الأسفل
بيتا يحم فينكم بفنائه
دنس مقاعده خبيث المدخل
أبلغ بنى وقبان أن حلومهم
خفت فما يزنون حبة خردل

ولعمرى إذ عمد الفرزدق إلى التفخيم والرفع فلا شىء أبلغ فى نقض ذلك من التحقير والخفض وهذا ما عمد إليه جرير فأجاد .

وقد تجد أحد هذين الشاعرين ربما عدل عن وزن صاحبه ورويه ، متى بدا له أن يغير مجال القول نفسه ، فإما تبعه صاحبه وإما خالفه ، وجرير أبدا يروم جذب الفرزدق إلى الوافر والكامل والقوافى الذلل المنطلقات والفرزدق أبدا يجنح إلى الطويل وإلى ما يكون حزنا من ضروب الروى .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

شيطان الشعر :

هذا ونعود بك أيها القارئ الكريم إلى ما كنا فيه من نعت حال الشاعر حين يروم القول ويلتمس أسبابه فى أصناف النغم الذى يصير من بعد مفتاحا للتعبير وطريقة للبيان والإفصاح .

إن حال الجذب والانفعال التى ترافق تطلع الشاعر إلى تحصيل فى الوزن المناسب والقافية المؤاتية ، هى نفسها التى تصبغ كلامه كله بصبغ واحد وتشيع فيه روحا واحدا وتجعله ذا نفس واحد متصل وهى فى رأينا سر الوحدة عند الشاعر العربى وجوهر الروح العاطفى فى كلامه ـ تفيض أول أمرها نغما صرفا ثم تتسرب بعد ذلك فى مسارب القول الناصع .

وقد بينا لك آنفاً أن طريقة الشاعر العربى فى التعبير الجهير المباشر هى التى ألجأته إلى أن يصعد بنفسه إلى قمم من الانفعال حتى يقدر على التصريح غير هائب ـ لأن همه الاعتراف ـ وحتى يتقبل السامعون ذلك من صنيعه قبولا حسناً وهو إذ يصعد بنفسه إلى علياء الانفعال ويهمهم فى أعماقها بالنغم ملتمساً للتعبير ، يصير كما قدمنا إلى شىء من حالة الجذب والهيام ، يرتفع به عن مطلق الفردية البشرية إلى شىء من البطولة . ولذلك زعمت العرب أن الشاعر يصاحبه شيطان يلقى إليه ، قال سويد بن أبى كاهل :

وأتانى صاحب ذو غيث
زفيان عند إنفاد القرع
قال لبيك وما استصرخته
حاقر للناس قوال القذع
ذو عباب زبد آذيه
خط التيار يرمى بالقلع
زعربى مستعز بحره
ليس للناهر فيه مطلع
هل سويد غير ليث خادر
ندت أرض عليه فانتجع

وغير خاف ههنا أن شيطان سويد هو سويد نفسه بدليل البيت الأخير ، وهذا يقوى ما نزعمه من حالة الجذب ، وقضية شيطان الشعر معروفة فلا تحتاج إلى بسط ههنا ، وحسبك شاهداً على إيمان العرب بها أن الذين ألمع إلى مذهبهم هذا فى قوله تعالى : « هل أنبئكم على من تنزل الشياطين . تنزل على كل أفاك أثيم . يلقون السمع وأكثرهم كاذبون . والشعراء يتبعهم الغاوون . ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون . وأنهم يقولون مالا يفعلون . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » . والمنعوتون بالإفك والإثم والكذب ههنا هم الكهان ، ثم أضيف الشعراء إليهم بسبيل المشابهة والمضاهاة ومنهم من

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

استنثته الآيات كما ترى . وفى الأثر أن حسان ابن ثابت أعين بروح القدس بعد أن أسلم ، وهذا أيضاً دليل على إثبات الهاتف الذى يجذب الشاعر ويجيش فى صدره .

ويحسن بنا هنا أن نوازن بين مزاعم الفرنجة فى نسبة الشعر إلى « الميوزات » أو « عرائس الشعر » وبين مزاعم العرب فى الشيطان والرئى . ألا ترى أن الذى تلهمه العرائس جدير أن يكون فى بيانه ذا ريث ومهل وانفعال بنفسه شيئاً ما عن طبيعة الموضوع الذى هو بصدده ، حتى يجىء كلامه نعتا أو كالنعت لا اعترافا ولا تصريحا ، ولا رومًا إلى إيصال تجربة بعينها إيصالا مباشراً إلى نفس السامع ، ذلك بأنه من طبيعة المستلهم إلى العرائس أن يتأملهن ويعجب بهن ويتأتى إليهن ، وفى كل هذا شوق وطرب مع تقية وانفعال .

أما من كان قرينه شيطانا فإنه يخالطه مخالطة لا يدع معه له انفراداً بنفسه أو انفعالا بذاتها . وعلى هذا فإن تعبيره يكون ضربة لازب ألوانًا من الاعتراف يتدافعن تدافعا وينفجرن انفجاراً . فعسى هذا التمثيل أن يعين شيئاً على إدراك بعض حقيقة الفوارق بين مذاهب الشعر الإفرنجى والشعر العربى .

هذا وإذ نحن بصدد الحديث عن شيطان الشعر ، فقد لا نبعد عن تثبيت معانى ما نحن بعراضه ، إذا استطردنا بالقارئ شيئاً إلى نعت بعض شعراء العرب المشاهير بنعوت شياطينهم أليس معلوما أن كل شاعر قد كان يدعى لنفسه شيطانا ؟ أم لم يمر بك كلام سويد بن أبى كاهل من قبل ؟ أم لا تعلم قول حسان :

ولى صاحب من بنى الشيطان
فطوراً أقول وطوراً هوه

وقول الأعشى :

دعوت خليلى مسحلا ودعوا له
جهنام جدعا للهجين المذمم

فأبو العتاهية مثلا شيطانه من الجن بالحاء المهملة ، وهو أمة حبيشة من الجن شديدو العبث مع ضعف وتخاذل . ويخيل لى أن أكثر شياطين الشعر المعاصر من هذه القبيلة .

وآية الضعف والتخاذل فى أبى العتاهية أنه تشكب الجزالة فى التعبير بدعوى الزهد ، والناس يذكرون أنه كان زنديقا وكان جشعا وأشد خلق الله حرصا على المال ، والذى فى أسلوبه من الركاكة والهجنة لا يخفى . وأحسبه لو لم يتخذ الزهد طريقة ما كان لينفق فى زمان كان يستمع إلى أبى نواس ، وبشار ومروان بن أبى حفصة .

(البقية على صفحة ١٠٩)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

منها وبكى فى جوف الليل وسكونه إنابة إلى الله حتى يبلل الأرض بدموعه فيغفر الله له تلك الهنات ، روى الحاكم من حديث أنس مرفوعا (من ذكر الله ففاضت عينه من خشية الله حتى يصيب الأرض من دموعه لم يعذب يوم القيامة) وروى عن أبى هريرة مرفوعا (لا يلج النار أحد بكى من خشية الله حتى يعود اللبن فى الضرع) وروى أن داود عليه السلام سأل ربه : ما جزاء من بكى من خشيته حتى تسيل دموعه على وجهه؟ قال : أسلم وجهه من لفح النار .

وروى عن سيدى عبد العزيز الدباغ وهو عامل من عوامل علم التصوف والمعرفة والشهود أنه علم عن أخ له فى الله كثرة بكائه وتحول جسده حتى كاد بصره أن يكف فأنشد رضى الله عنه :

من أين للعارض السارى تلهبه
أم كيف طبق وجه الأرض صيبه
هل استعار دموعى فهى تنجده
أو استعار ضلوعى فهى تلهبه ؟

نسأل الله أن يحشرنا وإخواننا مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما ؟

عباسى ط

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

(بقية المنشور على صفحة ١٠٤)

ودعبل شيطانه من الجن الآبدين سكان الفلوات والقفار الذين يلبون بالناس أحيانا ليصرعوهم . وقد ذكر الرواة أنه كان يألف القفار وربما صاحب جماعة الشطار واللصوص وربما قطع الطريق ، وهو فى كل ذلك يلم بالحضر وما كان يفعل ذلك إلا ليفتك بعظيم أو خليفة بهجاء يصمه به آخر الدهر. وديك الجن ، وهو من معاصرى دعبل ، وقد كان شيطانه من العمار وهم الجن الذين يسكنون البيوت . وقد كان صاحب طريقة من النظم أحسبه سبق بها أبا تمام لما كان يستعمله من البديع والإغراب . وروى له ابن رشيق أنه ألم به دعبل فأنشده قوله :

كأنها ما كأنه خلل الخلة
وقف الحبيب إذا بنا

وإنما أراد أن يروعه بهذا ، فأنكره دعبل عليه وسخر منه .

الدكتور عبد الله الطيب

(البحث بقية)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله

للأستاذ عباس طه

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : الإمام العادل ، وشاب نشأ في عبادة ربه ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ، ورجل تصدق فأخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه)

ومن نافلة القول العرض حتى ولو لماما للأنواع الثلاثة التي وردت في صدر الحديث وإنما الخليق بالعرض والتحليل والإشادة والتفصيل ما سنبسطه بإسهاب فيما يلي :

أولا : رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه :

غير خاف أن العدد هنا عدد الأصناف لا عدد الأفراد ، أي سبعة أصناف وأنواع من الناس يجمع كل صنف صفة من الصفات فلا يرد أن هذا الرابع فيه رجلان فحق العدد أن يكون ثمانية ، وذلك لأنهما وإن كانا رجلين فإنهما مشتركان في صفة واحدة فهما صنف واحد ، فليس للمذكور زيادة على السبعة ، وإنما ذكرا على وجه التثنية لأن الغالب في المحبة التي تجري بين الناس أن تكون متبادلة ، فالنفس دائما تستريح إلى النفس التي تحبها ، فتؤدي استراحتها لها إلى مشاركتها لها في المحبة . قيل : إن رجلا طلب إلى أحد الملوك أن يحب ابنه ، فرد عليه بأن المحبة ليست أمرا اختياريا يملكه الإنسان من نفسه حتى يطلب منه تحصيله ، فقال له : طريق ذلك أن تحسن إليه فيحبك فتحبه ، وحقيقة جبلت النفوس على حب من أحسن إليها ، كما قال الأول :

وكل امرئ يولي الجميل محبب
وكل مكان ينبت العز طيب

واستدعاء محبة أحد الطرفين محبة الآخر أمر يكاد يكون مطرد المشاهدة :

والشيء مع الشيء مقاييس وأشباه
والقلب على القلب دليل حين يلقاه

نعم قد قالوا : إن أصل كل المحبة محبة المرء لنفسه ، ومنها يتفرع حبه لغيره ، فهو إذا أحب المحسن فإنه إنما أحبه لذات إحسانه ، وإذا أحب جمالا في المخلوقات كألوان الزهر وتجلي الشمس والقمر كان مرجع ذلك إلى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

استمتاع حواسه أو استرواح نفسه ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فلأن الله أودع هذا السر فى هذا الزهر لأنه يريد أن يسوق الناس إلى محبته .

وكلمة (تحابا) على صيغة تفاعل ، وهذا الوزن يأتى فى العربية لمعان ، منها وهو المراد هنا أن يشترك اثنان أو أكثر فى فعل بدون أن يلحظ أن لأحدهما صفة البدء به أو المجاوبة على بدئه .

وأما قوله ـ اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ـ فمعناه أنه حب قلبى وروحى صادق ، ليس رياء ولا ملقا فهو فى حال الاجتماع والافتراق سواء ، يثمر فى الأول العطف والإيناس والتواد ، وينتج فى الثانى رد غيبته ، وحفظ حقه ، ورعاية مصلحته . وخليق بمن أحرز هذا الوصف أن يكرمه الله بإظلاله بظله يوم لا ظل إلا ظله .

هناك محبة عليا لا تسمو إليها إلا النفوس الخيرة هى محبة الله ، لله وفى سبيل الله ، محبة تسمو على الاعتبارات والنزوات ولذلك يقول صهيب رضى الله عنه عمدة أهل الحق : « اللهم أنت تعلم أنى لا أحبك طمعا فى جنتك ولا خوفا من نارك ، ولكنه الانقياد إلى خير طريق وأبلج محجة » ، ومن أجل ذلك يقول عمر ابن الخطاب : « نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه » . وقد روى أن أيوب السختيانى وسرى السقطى والخليل بن أحمد من علماء الصوفية المتقدمين أطبقوا على أن محبة الله مطلب لا ينال إلا بالرياضة والإقبال على الله والتجرد من الدنيا وعلائقها مع الاحتفاظ بنصيبهم فيها وقد جاءت السيدة رابعة العدوية وهى قطب من أقطاب علم التصوف فقالت مخاطبة لله عز وجل :

أحبك حبين حب الهوى
وحبا لأنك أهل لذاك
فأما الذى هو حب الهوى
فكشفك لى الحجب حتى أراك
وأما الذى أنت أهل له
فشغلى بذاتك عمن سواك

ثانيا : ورجل طلبته إمرأة ذات منصب وجمال فقال إنى أخاف الله .

غير خاف أن تغلغل الشهوة فى قلوب الناس وتمكنها من نفوسهم أمر معروف بلا مرية ، وإنما يتفاوتون فى الفضل بقدر ما يبذلون من جهد للتخلص من إسارها ، وقهر النفس على الفرار من سيئاتها ، وقد يكون الخلاص منها لضعف تعلق النفس بها لأنها لم تستكمل كل الرغائب ، كأن يكون الوصول إليها متعاصيا لاطاقة للمرء عليه ، أو أن تكون داعية الجمال فيها ضعيفة فتضعف الجاذبية أو أن تكون فى إنسان مرذول تنفر بعض النفوس من الاتصال به

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لحقارة شأنه وأنفة النفس من معاشرته فإذا كملت الرغائب وهى مبنية على النزوات كانت الصلة ميسورة ، وكان أمامها ما يرغب فيه ولا تعاف النفس مقارفته . فهذا هو الامتحان حقا ، فمن أعرض عنها وقد توافرت رغباته فيها ، فإنما يكون ذلك خوفا من الله ولمن خاف مقام ربه جنتان .

وهذا هو ما صوره الحديث الشريف ، فقد بدأ بأن الطلب من المرأة ، وهذه أول درجات الإغراء ، وثنى بأنها ذات منصب أى شرف وحظوة فلا تأنف النفس من الاتصال بمثلها ولا تحتقرها ، وثلث بأنها ذات جمال ، وذلك أساس الرغبة الشهوية ، فإذا امتنع عن ذلك مخافة من الله دخل فى قوله جل شأنه : « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى » وقوله : « قال إنى أخاف الله » أى قال لنفسه ذلك يعظها ويزجرها ، ويربى فى نفسه خـــوف الله ، فهى لضعفها أحق بأن تخاف ما يخافه الرجل القوى ، وتخصيصه فى الإجابة الخوف بنفسه وكأنه يقول لها : أنا خفت على نفسى فإن كان يهمك نفسك فخافى أنت أيضاً على نفسك فكأنه يتركها وقد فتح لها باب المخافة لتستنبط هى بنفسها الخـــوف على نفسها ، وهذا فى الغالب أشد تأثيراً من أن تدعو الشخص إلى الخوف صراحة . وقريب من هذا ما فى قوله تعالى : « ومالى لا أعبد الذى فطرنى وإليه ترجعون » .

ثالثا : ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه :

للنفوس ولوع بالمال وإحرازه والتحفظ عليه والاستمساك به والهلكة فى سبيله لا يدانيه ولوع بأى شىء آخر ، فهم يرون فيه جماع أغراضهم ، وملاك رغباتهم ، ونيل مشتهياتهم :

والمال مذ كان تمثال يطاف به
والناس مذ خلقوا عباد تمثال
إذا جنى الدور فانع القاطنين بها
أو الممالك فاندبها كأطلال

« زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب » .

وقوله : « تصدق أخفى » جملة أخفى حال ، أى تصدق مخفياً صدقته ، وروى فأخفى ، وروى إخفاء ، وروى تصدق بصدقة فأخفاها ، ووجه رواية الفاء أن الإخفاء أو الجهر حال من أحوال الفعل وصفة من صفاته ، وصفة الشىء متأخرة فى الملاحظة عن وجوده وإن لم تنفصل عنه وجودا .

وقوله : (حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه) .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

غير خاف أن الترغيب فى إخفاء الصدقة محمول على صدقة التطوع ، أما زكاة الفرض فالأفضل إظهارها لأنها شعيرة من شعائر الدين ، وفى إظهارها إظهار لعزة الدين ، وليكون قدوة للبالكين معينا لتضافرهم على أدائها .

ومما لا مرية فيه أن الصدقة المخفية فضلا عما فيها من سد الخلة ففيها عدم إحراج للمتصدق عليه .

روى الجاحظ فى كتابه ـ البيان والتبيين ـ أن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها جلست ذات يوم فى دارها وحولها فضليات النساء من الصحابة فقالت عائشة : (رحم الله لبيدا حين يقول :

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم
وبقيت فى خلف كجلد الأجرب

فقال بعض الحاضرات من النسوة : كيف ذلك يا أم المؤمنين وما معناه . فقالت عائشة : ذهب قوم كان أحدهم إذا علم عن أخيه خلة سدها بغير علمه ، وجاء قوم فى أعقابهم كان أحدهم إذا علم عن أخيه خلة استوثق من صاحب الخلة ثم سدها بعلمه ، ثم جاء من بعدهم قوم كان إذا علم أحدهم خلة انتظر حتى يسأله ، فإذا سأله سدها ، فجاء من بعدهم قوم أشحاء النفوس مهملو الرءوس كان أحدهم يذهب إليه ليسد خلته فيأبى ذلك عليه ، وهو أسوأ الفرق الماضية والحاضرة) .

ولا شك أن الرعيل الأول من المسلمين كان يخفى صدقته أو معونته وعن هذا الفريق يحكى الله فى قوله تعالى : « للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا ، وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم » .

رابعا : ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه

لا مشاحة فى أن فيض العيون عند الخلو بالله عز وجل نعمة كبرى يفيضها الله على عباده ، فالعبد إذا خلا بربه ذكره ذكر المؤمنين ، وخشيه خشية الخائفين ، لأنه يعلم السر والنجوى ، ويعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون ، ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، فالعبد الخائف من ربه حين يخلو به يظهر أمامه على حقيقته دون مصانعة ولا مخاتلة ، وهذا الفضل قد يكون فى غير المسلم فأولى أن يكون فى المسلم الذى يعتقد أن هناك ثوابا وعقابا فى دار الجزاء ، وليست الدموع التى تفيض من عين العبد عند خلوه بربه دموعا مصطنعة ولا زائفة وإنما هى دموع الرجل الخائف المضطر ، روى الإمام الغزالى فى كتاب الإحياء أن بعض الخائفين من الله كان يحصى على نفسه من وجه النهار إلى آخره جميع ما يصدر عنه من الأعمال فإذا جن الليل استحضر السيئات

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

منها وبكى فى جوف الليل وسكونه إنابة إلى الله حتى يبلل الأرض بدموعه فيغفر الله له تلك الهنات ، روى الحاكم من حديث أنس مرفوعا (من ذكر الله ففاضت عينه من خشية الله حتى يصيب الأرض من دموعه لم يعذب يوم القيامة) وروى عن أبى هريرة مرفوعا (لا يلج النار أحد بكى من خشية الله حتى يعود اللبن فى الضرع) وروى أن داود عليه السلام سأل ربه : ما جزاء من بكى من خشيته حتى تسيل دموعه على وجهه؟ قال : أسلم وجهه من لفح النار .

وروى عن سيدى عبد العزيز الدباغ وهو عامل من عوامل علم التصوف والمعرفة والشهود أنه علم عن أخ له فى الله كثرة بكائه وتحول جسده حتى كاد بصره أن يكف فأنشد رضى الله عنه :

من أين للعارض السارى تلهبه
أم كيف طبق وجه الأرض صيبه
هل استعار دموعى فهى تنجده
أو استعار ضلوعى فهى تلهبه ؟

نسأل الله أن يحشرنا وإخواننا مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما ؟

عباسى ط

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

(بقية المنشور على صفحة ١٠٤)

ودعبل شيطانه من الجن الآبدين سكان الفلوات والقفار الذين يلبون بالناس أحيانا ليصرعوهم . وقد ذكر الرواة أنه كان يألف القفار وربما صاحب جماعة الشطار واللصوص وربما قطع الطريق ، وهو فى كل ذلك يلم بالحضر وما كان يفعل ذلك إلا ليفتك بعظيم أو خليفة بهجاء يصمه به آخر الدهر. وديك الجن ، وهو من معاصرى دعبل ، وقد كان شيطانه من العمار وهم الجن الذين يسكنون البيوت . وقد كان صاحب طريقة من النظم أحسبه سبق بها أبا تمام لما كان يستعمله من البديع والإغراب . وروى له ابن رشيق أنه ألم به دعبل فأنشده قوله :

كأنها ما كأنه خلل الخلة
وقف الحبيب إذا بنا

وإنما أراد أن يروعه بهذا ، فأنكره دعبل عليه وسخر منه .

الدكتور عبد الله الطيب

(البحث بقية)

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ما يقال عن الإسلام

الإسلام فى تاريخ العالم

للأستاذ عباس محمود العقاد

من موضوعات التأليف التى كادت أن تصبح لها فى اللغة الانجليزية « دورة » كالدورة الصحفية موضوع الكتابة عن تاريخ العالم فى مجلد واحد ، مختصر أو يطبع فى الطبعات الدقيقة التى تسمى عندهم بمكتبة الجيب .

ومن الواضح أن الدورة فى هذه المؤلفات تحسب بعشرات السنين : كل عشرين سنة هجرية ، أو كل ثلاثين سنة ، أو كل جيل من الأجيال البشرية المتعاقبة ، إذا حسبنا الجيل ثلث قرن على العرف الشائع ، لأن السنين الثلاث والثلاثين يلتقى فيها على الدوام جيل قديم ، وجيل مقبل ، وجيل قائم فى إبانه.

وقد ظهر فى الجيل الأخير باللغة الانجليزية ، ثلاثة تواريخ عالمية من مطبوعات المجلد الواحد : وهى تاريخ « ولز » المصلح الاجتماعى والكاتب القصصى ، وتاريخ فان لون الناقد الفنى والكاتب الأديب ، ثم هذا التاريخ الذى بين أيدينا لمؤلفه جون باول Bowle المشرف على تأليف الموسوعة الجامعة لتاريخ العالم ، وله من مؤهلات الإحاطة بالتواريخ الإنسانية ، والتواريخ الشرقية على الخصوص ما لم يكن لزميليه السابقين ، وإن لم يبلغ مبلغهما من الملكة العقلية واستقلال الرأى أمام التقاليد.

والخاصة التى تتميز بها التواريخ العالمية فى مجلد واحد أنها تكتب من وجهة نظر مقدورة فى موازين مؤلفيها ، فليست هى مجموعة من المتفرقات لا تربط بينها رابطة غير الاجتماع على خريطة الكرة الأرضية ، وليست هى مجموعة من الوقائع مجردة من المغزى والدلالة على طريقة المؤرخين المسجلين للحوادث العامة فى كتب المطولات ، ولكنها أشبه بقصة متناسقة يعرضها شارح واحد يقدم للنظارة شريطا من الصور المتحركة ، ويذكر لكل مرحلة منه مناسبة ملحوظة تلحقه بالمراحل التى سبقته وتصل بينه وبين المراحل التى تليه .

ولقد كان « ولز » كفئا لهذا التنسيق على أساس النظرة الواسعة إلى الوحدة الإنسانية فى أطوار التقدم الاجتماعى والانتقال من نظام « معيشى » إلى نظام يخلفه ويحل فى أكثر الشعوب محله ، وكذلك نظر إلى دور الصيد ودور المرعى ودور الصناعة ، ثم دور

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

التوسع فى العلاقات الاجتماعية والأخلاقية التى تقوم عليها دعائم المجتمعات والهيئات الحاكمة

وكان فان لون مقتدراً على تنسيق التاريخ العالمى فى نطاق الحركة الفكرية والدلالات الفنية ، كأنما ينظر إلى الإنسانية فى مراحلها لمتتابعة نظرته إلى بعثة ثقافية تشتغل بالتموين إلى جانب اشتغالها بالبحث والتحصيل .

أما المؤلف الأخير - وقد ظهر كتابه فى أواخر السنة الماضية - فالمرجع الأكبر أمامه هو مرجع الجغرافى الذى استوفى أسانيد الإحصاء وأنباء الصحف والإذاعة ، وأخذ ينقل الأبعاد الزمانية إلى خريطة مكانية يعرض فيها مواقع الماضى كأنها تحصل فى الوقت الحاضر ، ولم يتخذ له فى هذا العرض موقفا مستقلا غير الموقف « التقليدى » الذى يصطنعه « المسجل المعاصر » حين يدين نفسه بمظاهر « الاستنارة » على حسب اصطلاح العرف الحديث ... فكل تعليقاته على الحوادث التاريخية الكبرى فهى تعليقات مسبوقة من بقايا القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، مضافا إليها علم الرجل العصرى كما يستمده من مراجع الإحصاء والإذاعة ، وبخاصة فى القسم المفرد أو الأقسام الموزعة التى عرض فيها لتاريخ الإسلام

يبدأ بتقرير الواقع المشهور عن دور الإسلام بين أدوار الديانات العالمية ، ويفصله عن ديانات رومة وأثينا والصين والهند بأنه هو الديانة الثالثة الكبرى بين الأمم السامية ، وأولاها اليهودية ثم المسيحية .

ويقارن بين النبى عليه السلام وبين السيد المسيح صاحب الديانة السامية الأخرى وبين « بوذا » صاحب الديانة الآرية المهذبة ، فيقول إنه مثلهما يملك العبقرية الدينية ولكنه يمتاز عنهما بالكياسة السياسية مع القدرة العسكرية .

فإذا تكلم عن العوامل الاجتماعية ، والنفسية ، التى ينسب إليها تمكن الإسلام فى وطنه ثم انتشاره فى سائر الأوطان على نحو لا نظير له من قبله ولا من بعده ، فهنالك تغلب عليه تلك الفكرة « التقليدية » عن عقيدة السيف والغنيمة ، ويفوته التعليل التاريخى الأول الذى ينبغى أن يسبق كل تعليل : وهو انتشار الإسلام لأنه وافق فى العالم كله حاجة عامة ، بعد أن حان أوانها وتمهدت الأسباب للوفاء بها فى عالم الفكر والضمير

فكل ما عدا القدرة السياسية والعسكرية فى نبى الإسلام فهو قابل للتفسير بحماسة « التعصب » العنيف وبالرغبة فى كسب الغنائم ، وبالطبيعة البدوية التى بنيت على تعدد الرحلات والغارات .

ويتبين قصور هذا المؤلف خاصة عن تعليل للحوادث العظمى كلما ذكرنا أنه أعرف من زميليه بتواريخ المشرق فى كل من الهند والصين والبلاد الملاوية ، وهى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

البلاد التى يوجد فيها اليوم قرابة ثلثمائة مليون مسلم دخلوا فى الديانة الإسلامية بعد عصر الفتح بعدة قرون ، وبغير عامل من تلك العوامل التى تفسرها غارات البدو أو طمع الفقراء من أبناء البادية فى كسب الغنائم واغتصاب الديار .

ويتبين هذا القصور من وجهة النظر العصرية قبل كل شىء ؛ لأنهم تعودوا فى هذا العصر أن يعللوا كل نجاح كبير بمقدار الحاجة له والموافقة بينه وبين أشواق النفوس ومطالب المعيشة وضرورات الحياة ... فماذا يفعل الطمع فى الغنائم لو لم تكن للإسلام مزية إنسانية يتطلبها العالم ويستعد لها قبل أوانها ؟ ولماذا لم يفعل هذا الطمع فعله فى تاريخ انتشار الديانة اليهودية وهى ديانة قبائل بادية ومطامعها فى الغنائم واغتصاب الديار تحل عندها محل الشريعة المقررة فى مواعيد الإله ؟

وينتقل المؤلف من هذه النظرة التقليدية إلى نظرة تقليدية أخرى عند الكلام على الحضارة الإسلامية بعد انتشارها بين الشعوب السامية الآرية ، فهو يعيد هنا تلك الدعوة المحفوظة عن استعارة الثقافة العربية خاصة والإسلامية عامة من الثقافة الإغريقية ، ولا يكلف نفسه مؤنة المقابلة بين ذخائر التراث العربى الإسلامى فى الحكمة والطب والكيمياء والجغرافية والتاريخ والأدب وبين الذخائر التى تخلفت باللغة اليونانية فى جميع هذه الموضوعات ، بل لا يكلف نفسه مؤنة البحث فى المسائل المنقولة والمسائل المبتكرة التى تحتوى فيما احتوته ردودا على حكماء اليونان وعلمائهم وزيادات مستقلة فى دراسات الحكمة والطب لم تؤثر عن مرجع يونانى وصل إلى العرب أو بقى له أثر فى القارة الأوربية وقد كان أولى من ذلك كله وأقرب إلى التحقيق العلمى أن يسأل المؤلف نفسه : لماذا حوربت الثقافة الإغريقية عند نقلها إلى الأوربيين ولم تحارب هذه الثقافة - بمثل هذه الشدة بين شعوب الإسلام على اختلاف الأجناس ؟ وربما كان أولى من ذلك أيضا أن ينظر المؤلف إلى الفن العربى الإسلامى فى البناء ليعلم مبلغ استقلال الذوق العربى عن اليونان فى ناحية ثقافية من ألصق النواحى بهم وهى ناحية الفنون الجميلة ، ويعلم كذلك أن الذوق العربى قد استقل بفنه بين أمم شرقية كثيرة سبقته أبناء الجزيرة العربية إلى تشييد العمائر وابتكار أساليب البناء .

ولكن المؤلف يشهد للحضارة العربية الإسلامية شهادة تشفع له فى هذه الزلة التقليدية ، لأنه يقرر بعد إسهاب الكلام عنها أنها لم تستتبع فى التاريخ دورا من أدوار الظلمات كما حدث بعد الحضارة الرومانية اليونانية بين أبناء القارة الأوربية .

* * *

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ومن النظرات التقليدية التى سبق إليها المؤلف تلك المقارنة بين العقيدة الإسرائيلية والعقيدة الإسلامية كما وردت فى كتب الديانتين ، ويذكر من هذه المقارنات أن القرآن يسأل الإنسان : « أفرأيتم الماء الذى تشربون . أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون » وعنده أن هذا السؤال الإلهى كسؤال الله لأيوب أأنت الذى زينت جناحى الطاووس ؟ » وأن العقيدة الإلهية متقاربة — إذن — بين الديانتين !!

وفى هذه المقارنة أكثر من خطأ واحد لأنها مجموعة من الأخطاء لا يتخللها صواب واحد فى جهات الموازنة بين الجانبين .

فالخطأ الأول أن سفر أيوب ليس من الأسفار الإسرائيلية ، لأنه خلا من كل إشارة إلى الفداء أو إلى المسيح المنتظر لخلاص بنى إسرائيل ، ولم يكتبه نبى من اليهود .

ويماثله فى الخطأ أن الإله فى سفر أيوب لا يمثل إله الكتب الإسرائيلية « يهود » الذى يدين عباده بميزان محدود ، ويدين سائر العباد بميزان آخر غير ذلك الميزان .

ويأتى بعد ذلك خطأ المقارنة بين عبارة عارضة فى سفر أيوب وبين العبارات القرآنية التى تنتظم الكتاب كله ولا تدع فى الأرض أو السماء صورة من صور الخلق لا يقام بها الدليل على وجود الخالق وعلى رحمته وعدله واستغنائه بدليل العقل عن أدلة الخوارق والمعجزات .

وشفيع المؤلف فى هذه الأسطورة التقليدية أنه خص الإسلام بالقوة الصالحة لتوثيق الوحدة « الأخوية » بين المؤمنين وأنه لم ينظر إلى فارق من فوارق الجنس واللون أو فوارق الغنى والفقر كأنه فارق حائل دون جامعة الإخاء بين أبناء آدم وحواء ، ولكنه على هذا التقدير منه لدعوة الأخوة الإنسانية فى الإسلام لم يذكر لهذا الدين حسنته « الإنسانية » الأولى فى إنقاذه لبنات حواء من مذلة العبودية ، ومن مذلة الحرمان من الروح ، ذلك الحرمان الذى أوشك أن يلحقها بالخلائق العجماء .

وقد لازمه خطأ الفهم إلى النهاية حين ختم فصله الخاص بانتشار الدين معيداً قوله فى الفصل كله : إن الصبغة « الحربية » قد لازمت حضارة الإسلام فى كل صفحة من صفحاتها التى مثلتها عواصم دمشق وبغداد والقاهرة والقسطنطينية ، وإن سر هذه الصبغة كامن فى الدفعة « الديناميكية » الباقية منذ قيامه على « عصبية الصحراء » . وينسى فى هذا الختام الموجز كل ما قرره عن خاصة « الأخوة الإنسانية » التى اختص بها هذا الدين « السمح » الكريم ؟

عباس محمود العقاد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الكتب

نقد وتعريف : للأستاذ محمد عبد الله السمان

---

١ — منهج الإمام محمد عبده في تفسير القرآن

للأستاذ عبد الله محمود شحاته

هذا البحث تقدم به المؤلف إلى جامعة القاهرة لنيل الماجستير ، وأشرف على الرسالة فضيلة الشيخ محمد محمد المدني ، والذي كان رئيساً للجنة التي ناقشتها على مدرج كلية دار العلوم - وكان عضوا اللجنة الأستاذ الدكتور محمود حب الله والأستاذ عبد الوهاب حمودة ، وقد منحت اللجنة المؤلف درجة جيد في العلوم الإسلامية (مادة الشريعة) وقام بطبعها المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، وكتب مقدمتها فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة .

الرسالة تقع في حوالي ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير ، الباب الأول تناول المؤلف فيه حياة الإمام ، وترجم له ترجمة مركزة لا إسهاب فيها ، وفي الباب الثاني تناول المؤلف منهج الأستاذ الإمام في تفسير القرآن مقارنا بمناهج المفسرين السابقين ، واعتبر أن منهجه قام على تسعة أسس : اعتبار السورة وحدة متناسقة ، عموم القرآن وشموله ، القرآن المصدر الأول للتشريع ، مناهضة التقليد ، المنهج العلمي في البحث ، تحكيم العقل ، ترك الإطناب في المسائل المبهمة ، التحفظ من التفسير المأثور ، تنظيم الحياة الاجتماعية على هدى القرآن .

أما الباب الثالث والأخير فقد تناول المؤلف فيه مدرسة الإمام في التفسير ، ويعني بها مدرسة المنار ، وخصائصها الخمس : التحقيق العلمي ، تأثر الشيخ رشيد بابن كثير ، تأثره بالغزالي ، التوسع والإطالة ، بيان السنن الاجتماعية وأسباب التطورات التاريخية مستنبطا ذلك من القرآن .

الأستاذ شحاته لم يكن في بحثه هذا موالياً لآراء الإمام في كل ما رأى ، بل له وقفات معارضة لا سيما عند الكلام عن تحكيم العقل في فهم القرآن ، وإن كانت هذه الوقفات جانب بعضها الصواب ، فالإمام لا يتأثر بالمؤلفين الفرنسيين في حديثه عن المعجزات والنبوات كما يرى المؤلف ، ومحاولة الإمام

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أن يقرب إلى الأذهان المعجزات الإلهية ويعلل وقوعها بما يوافق العلم والعقل ليس فيه خروج عن أصول التفكير والبحث السليمين ، ولا تأثر بالمفكرين الفرنسيين ، وقد سبقوا بمفكرين إسلاميين لهم مكانتهم في مجال الفكر ، كالمعتزلة وغيرهم ، ومسألة خلق عيسى من غير أب التي وقف عندها المؤلف ، لأن الإمام يرى أن الاعتقاد القوى الذى يستولى على القلب وعلى المجموع العصبى يحدث فى عالم المادة من الآثار على خلاف المعتاد ، لم ينكر الإمام عندها قدرة الله سبحانه ، وإلا فمن الذى بعث الملك لينفخ فى فرج العذراء ؟

من المسائل التى تعرض لها الإمام ووقف منها المؤلف موقف المعارض ، مسألة السحر ، وسحر الرسول - صلوات الله عليه - بوجه خاص ، فالإمام يستبعد أن يكون الرسول قد سحر إلى الدرجة التى تجعله يظن أنه يفعل شيئاً وهو لا يفعله ، كما يستبعد مسألة سحر الرسول إطلاقا ، والمؤلف يوافق الإمام فى الجانب الأول ، ولا يوافقه فى الجانب الآخر ، وإن كان يرى أن سحر الرسول بمثابة إصابته بنوع من الهم أو الثقل امتحانا له ، ويعود المؤلف فيحاول تأييد حديث البخارى ويدافع عنه ، وفيه أن الرسول سحر حتى كان يرى أنه يأتى النساء ولا يأتيهن ، وفى هذا تناقض المؤلف مع نفسه ، ولو جرى هذا لكان هناك مجال للتشكيك فى نزاهة إبلاغ الرسول عن ربه ، ولا يستبعد أن يكون قد نزل شىء التبليغ فى تلك الفترة ، والتشكيك فى سلامة رواية الحديث أجدر وأحق من التشكيك فى التبليغ ، وسد لباب لا يأتى بخير ، لا سيما الحديث من الآحاد التى لا يعول عليها فى المسائل العقيدية .

أما اعتبار كلام الإمام (بأن السحر ليس علما يعتمد على الحقائق) فيه مجانبة للصواب كما يرى المؤلف ، ففى هذا الاعتبار شطط ، فقد أشار القرآن فى بعض آياته أن السحر تخييل وخداع ، ولم يثبت علميا أن السحر من الحقائق العلمية إلى اليوم ، فهو ما زال ضرب من الشعوذة ليس إلا .

الحق أن البحث الذى نحن بصدده بحث جيد ولا يحد من قيمته معارضة المؤلف لبعض آراء الأستاذ الإمام ، والذى ألاحظه أن الترجمة للإمام كانت مقتضبة ، وأن الأسس التسعة التى اعتبرها المؤلف مما قام عليها منهجه فى التفسير لم تشمل كل الأسس المعروفة عن منهج الإمام ، وأنا أعتز بكلمة الشيخ أبو زهرة فى مقدمته للبحث : وهى أن السيد المؤلف خاض خوضا شديداً نوافقه فى بعضه ونخالفه فى بعضه ، ولكنا فى الموافقة والمخالفة نقدر اجتهاده » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

٢ - النبي محمد :

للأستاذ عبد الكريم الخطيب

عنوان الكتاب الذى نشرته دار الفكر العربى بالقاهرة للأستاذ الخطيب ، هو : (النبى محمد ، إنسان الإنسانية ونبى الأنبياء) وأعتبر أن هذا البحث الذى يقع فى حوالى ٤٥٠ صفحة من القطع الكبير ، حلقة ثالثة سبقها كتابه (قضية الألوهية بين الدين والفلسفة) فى حلقتين (الله ذاتاً وموضوعا) و (الله والإنسان) .

تناول البحث : النبوة ، النبى ، المعجزة ، الإعجاز ، مصادر الرسالة الإسلامية ، خاتم النبيين ، الداعى وموطن الدعوة ، الرسول ومعجزاته ، الرسول والمعجزة الكبرى ، بشرية الرسول ، المرأة فى حياة النبى ، نبى الملحمة ثم نبى الرحمة .

الأستاذ المؤلف فى بحثه عن « النبوة » وهل هى ضرورة إنسانية ، عرض مذاهب الناس تجاه النبوة ، فهناك المؤمنون بالشرائع السماوية إيمانا كاملا وهم مقرون بالنبوة بالطبع ، وبصلتها بالسماء ، وهناك غير المؤمنين بالشرائع السماوية ، فمنهم من يعتقد فى الله وينكر رسالات الأنبياء ، ومنهم من ينكر الله ، وينكر الشرائع السماوية إطلاقا ، وقد كان لفلاسفة اليونان والهند وغيرهم نصيب أوفر فى إنكار كمال الجنس ليرقى إلى مرتبة النبوة .

والمؤلف يناقش فى البابين الثالث والسابع قضية المعجزة ، ومعجزات الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد أولا رأى بعض الفلاسفة المنكرين للمعجزة ممن يرون أن كل ما يقع فى الحياة مألوف وغير مألوف هو جار على طبيعتها ، وواقع على ما تقضى به سننها ، وأن الأحداث التى تبدو غريبة أو خارقة لمألوف الحياة هى فى الواقع أحداث طبيعية لم تعرف أسبابها التى لا بد أن تكون قائمة وراءها ، وأما فيما يتصل بالمعجزات التى حفلت بها كتب السيرة ونسبت إلى الرسول ، فالمؤلف مع تقريره بأن من مستلزمات المعجزة أن تكون للتحدى ، يعرض هذه المعجزات وينعى على منكريها ، وهى فى جملتها ليس فيها شىء من التحدى اللهم إلا فى قصة الشجرة التى ذكرت فى قصة الأعرابى الذى عرض عليه الرسول الإيمان فأبى إلا بدليل فاستشهد الرسول الشجرة فأقبلت تنطق بالشهادة بنبوة محمد ثلاثا ثم عادت أدراجها فآمن الأعرابى .

والمؤلف نقل القصة من كتب السيرة دون ما إشارة إلى سندها وروايتها ودرجة صحتها فى مجال البحث العلمى للحديث النبوى ومع إيمانه بأن المعجزة الكبرى هى القرآن الذى توافر له كل مؤهلات التحدى ، يعود فيحاول إسناد قصة الشجرة بتحليل بعيد عن المنهج العلمى .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إن القرآن قطع بأن معجزته هى المعجزة الكبرى حين جاء فى سورة العنكبوت : « وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله ، وإنما أنا نذير مبين. أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم » ....

والمؤلف فى عرضه للمعجزة غفل جانبا مهما فى القضية . فالمعجزات التى ترددها فى كتب السيرة من الأمور العقيدية التى تتطلب خبراً قطعى الدلالة والورود ، وكنت أود أن يناقش المعجزات بالروح التى ناقش بها ختان الرسول وشق صدره بعد عامه الثانى فقد كان واسع الأفق خصب التفكير ...

وللمؤلف بعد ذلك تقديرنا ، فقد أضفى على بحثه لونا من التحليل العميق فجاء بحثا شيقا ممتعا .

٣ — شرح القصيدة النونية :

لفضيلة الشيخ محمد خليل هراس

هذا الكتاب فى جزءين كبيرين نشرته مكتبة أنصار السنة المحمدية بعابدين والقصيدة النونية التى تبلغ أكثر من ستة آلاف بيت ، وضعها العلامة ابن قيم الجوزية ، وأسماها « الكافية الشافية فى الانتصار للفرقة الناجية » وقام بشرحها والتعليق عليها فضيلة الشيخ محمد خليل هراس المدرس بكلية الشريعة وفضيلته أقدم على شرحها شرحا مطولا ؛ لأنه يرى من ناحية أنها أعظم ما ألف فى التعريف بمذهب السلف الصالح فى إثبات الصفات لله تعالى مع تنزيهه عن مشابهة المخلوقات والرد على فرق الزيغ والضلال من المعطلة النفاة ، أو المجسمة الغلاة ، ومن ناحية أخرى ، أن هذه القصيدة لم تزل بكراً لم يفتض ختامها ، والمحاولات التى سبق أن تعرضت لشرحها يسيرة ليس فيها شفاء لعليل ، ولا رى من غليل » .

أما منهج الشارح الذى ذكر فى المقدمة أنه قد التزم به ، فهو الشرح الوسط بين البسط والإيجاز ، والواقع أن فضيلته لم يلتزم تماما هذا الوسط فى الشرح ، فقد أضفى على تفسير أبيات القصيدة النونية الكثير من الشروح وأعتقد أن هذا كان ضروريا ، فالشعر مهما كانت بلاغته يقصر دون عرض القضايا الكلامية عرضا تاما سليما ، وابن قيم الجوزية حاول فى قصيدته أن يعرض مذهب السلف فى إثبات الصفات لله ، وأن يجادل ويناقش المنحرفين عن مذهبهم من الجهمية وغيرهم ، وأستاذه ابن تيمية سبقه عن طريق النثر ، وتأثر تلميذه به فى الجدل والمناقشة حين عرض هذه القضية فى كتابه (الصواعق المرسلة فى الرد على الجهمية والمعطلة) .

إن شرح القصيدة النونية بالطريقة المسهبة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

التى انتهجها فضيلة الشيخ هراس ، كان ضروريا فالشعر يقصر دون إيضاح المسائل العقلية المعقدة ، وقد اعترف بذلك ابن قيم الجوزية حين جاء فى بعض أبياته حين تعرض لأدلة العلو والاستعلاء :

والنظم يمنعنى من استيفائها
وسياقة الألفاظ بالميزان

فأشير بعض إشارة لمواضع
منها وابن البحر من خلجان

المهمة التى أداها الشارح جديرة بالتقدير ، وكان ينقصها مقدمة تلخص منهج ابن قيم الجوزية فى القضايا الكلامية التى أثارها ، كما كان ينقصها التبويب المنسق الذى ييسر على القارئ استيعاب هذه القضايا المعقدة المتشعبة وروح البحث العلمى المجرد من العنف والصلابة فى الرأى .

٥ — فى أصول الحديث

لفضيلة الشيخ محمد أبو شهبة

المؤلف هو الأستاذ الجليل الشيخ محمد محمد أبو شهبه ، الأستاذ بكلية أصول الدين جامعة الأزهر ، واحد كتاب مجلة الأزهر المعروفين ، والموضوع من الموضوعات العلمية الشاقة التى تحتاج إلى علم وذهن خصب ودقة فى البحث والاستيعاب ، فأصول الحديث — كما يقول الأستاذ المؤلف (من أجل العلوم وأشرفها وأدقها وأعظمها إفادة إذ به يعرف صحيح المنقول من ضعيفه ، ومقبوله من مردوده) .

بدأ البحث بالرواية وأقسامها وكونها طريقا للعلم وتاريخها ، ثم مميزاتها فى الإسلام ثم تناول الحديث فى عهد الرسول وعصر الصحابة والتابعين ، ثم تحدث عن كتب أصول الرواية وشروط الراوى ومناهج المحدثين فى النقد ، ثم أسباب الجرح ومراتبه وشروط المتواتر ، وشبهاته ، ثم أخبار الآحاد وأقسامه ، ثم تناول البحث قصة الوضاعين وأمارات الوضع ، وانتشار الموضوعات فى كتب العلوم وكتب التفسير وكتب الوعظ وكتب السير والأدب واللغة وختم البحث بعرض لكتب الموضوعات والأحاديث المشتهرة والتخاريج .

الكتاب — وإن كان على ما يبدو ، مدرسى المنهج ، ولذا جاء مقتضبا غاية فى التركيز — إلا أن الأستاذ المؤلف ، قدم لنا دراسة طيبة عن أصول الحديث لا يفيد منها الطالب وحده ، وإنما يفيد منها أيضا كل من يعنيهم الأصل الثانى من أصول التشريع ، والذى ما زالت قضيته مثار أخذ ورد ، وجدل ونقاش ، وتحتاج دائما إلى دراسات مستفيضة وعلى مستوى عال من المنهج العلمى فى أصول البحث .

محمد عبد الله السمان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أنباء وآراء

حول موضوع التبشير فى أندونيسيا :

زار السيد الملحق الصحفى لسفارة أندونيسيا بالقاهرة إدارة المجلة وتحدث عما نشر بعدد شوال عن موضوع التبشير فى أندونيسيا ، ثم قدم سيادته مذكرة بالمبادئ الخمسة « البانجاسيلا » وهى المبادئ التى أشار إليها الكاتب فى حديثه عن التبشير فى أندونيسيا وهى :

(١) الإيمان بالله .

(٢) القومية الأندونيسية .

(٣) الإنسانية .

(٤) الديمقراطية « سيادة الشعب » .

(٥) العدالة الاجتماعية .

ثم قال إن المبدأ الأول : وهو الإيمان بالله شرحه الرئيس أحمد سوكارنو فى خطابه الذى حدد فيه فلسفة الثورة الأندونيسية إذ قال : مبدأ الإيمان بالله ليس معناه أن الشعب الأندونيسى يؤمن بربه فحسب ، ولكن معناه أن كل فرد من أفراد الشعب يؤمن بربه : فالمسلم يعبد ربه وفق تعاليم النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، والمسيحى يعبد ربه وفق تعاليم عيسى ، ويؤدى البوذى مراسيم عبادته تبعا لكتبه الدينية وحينئذ تكون أندونيسيا دولة تؤمن بالله .

فهلموا نعمل بأوامر الدين سواء المسلم منا أو المسيحى ، وقد أوصى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وصايا كثيرة فى التسامح واحترام الأديان ، كما أوصى بذلك أيضا عيسى المسيح . فهلموا بنا - عملا بتلك الوصايا - نعلن مبدأ الإيمان بالله الذى يعنى عبادة الله الشاملة لمكارم الأخلاق وتبادل الاحترام والتقدير .

ومن هذا يتبين الخطأ الذى وقع فيه الكاتب وقد يكون مصدر هذا الخطأ قصورا فى فهم صحيح للمبادئ الخمسة التى كان ينبغى عليه كأندونيسى أن يلم بها إلماما كاملا .

وعليه فالجمهورية الأندونيسية عملا بهذه المبادئ الخمسة تحمى حرية العقيدة ، ولا تسمح

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لأى دين بأن يعادى دينا آخر الأمر الذى يهدم مبدأ من مبادئ « البانجاسيلا » ، ويتعارض معها ويهمنا فى هذا الأمر أن نشير إلى نقطتين هامتين جاءتا فى كلام السيد الكاتب :

الأولى : تختص بالعون الذى تقدمه وزارة الشئون الدينية بأندونيسيا للهيئات الدينية والتعليمية المختلفة من حيث المساواة فى هذا العون بين المسلمة منها وغير المسلمة ؛ والمعروف أن عدد المسلمين بأندونيسيا يمثل ٩٥ ٪ من الشعب الأندونيسى والباقى هو ٥ ٪ موزع بين المسيحيين والبوذيين وليس من المنطق ولا الواقع أن يتساوى العون مع هذا الفارق العددى الضخم .

الثانية : مما جاء فى كلام السيد الكاتب من دخول الأجانب دون قيد ولا شرط والحق : أنه لا يسمح لأى أجنبي بدخول البـــلاد إلا بشروط قررتها الحكومة إذ لا يعقل غير هذا كما هو المتبع فى أى دولة أخرى .

والمجلة تفسح صدرها لهذا التعقيب ، وتعقب عليه بقول الله تعالى :

« إن الدين عند الله الإسلام » .

حول مقال الثورة الوطنية والفنية فى شعر أحمد محرم .

اقبلت بشغف على مطالعة مقال الباحث الفاضل الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى عن (محرم) لأنى أحس فى كل ما يكتب عن محرم فى هذه الأيام بالذات بشوع من المشاركة الوجدانية مبعثه اهتمامى بمحرم وتراثه ومصاحبتى له سنوات أقنعتنى بأصالته الفنية وخصبه المتعدد النواحى على الرغم مما لاقاه من جحود وإهمال . وكان كتابنا عنه هو أول محاولة تهدف إلى لفت الأنظار إلى ما يستحقه هذا الشاعر العظيم من تقدير . وإلى الكشف عن خصائصه الفنية وشاعريته الخصبة ، فضيت فى مطالعة المقال مستصحبا هذا الإحساس المشوب بالرضا .

غير أنى استوقف نظرى وأنا اقرأ البيت :

قتلت برشوة حقا ضعيفا
له من إثمها كفن ورمس

أن السيد الباحث أشار فى الهامش إلى مصدر البيت على أنه الجزء الثانى من الديوان ص ١٨٨ - ولما كنت موقنا أن قصيدة الرشوة لم ترد فى الديوان عدت إلى الصفحة المشار إليها ، فلم أجد القصيدة وتأكد ظنى ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ورجعت إلى كتاب شاعر العروبة والإسلام فوجدت البيت واحداً من قصيدة الرشوة ص ١٨٨ وقد دعانى ذلك إلى مراجعة سريعة لمصادر البحث فوجدت نظائر لهذه الحالة فى الأبيات التى تشير إلى تعليم البنت ، أشار فى الهامش إلى أن مصدرها ص ٢٧٦ ج ٢ من الديوان ، والصواب أن الصفحة المذكورة من كتاب شاعر العروبة والإسلام ومصدرها فى الديوان ص ١٥٠ ج ٢ .

والأبيات التى يقول فى ختامها :

راودتنى عصبة عن حقها
وأبى العرق الكريم المنتمى

يشير إلى مصدرها ص ١٥٩ ج ٢ والصحيح ص ١٥٦ ولعل التصحيف وقع أثناء الطبع وعلى الرغم من أن السيد الباحث كان حريصا على الإشارة إلى مصادره بالنسبة للديوان فإنى أراه كان على العكس من ذلك بالنسبة لقصائد أخرى لم ترد فى الديوان فقد استشهد بأكثر من ثلاث عشرة مرة من كتاب شاعر العروبة والإسلام بأبيات من قصائد لم ترد فى الديوان ولم يشر إلى الكتاب إلا مرة واحدة وكان يسرنا أن يشير الباحث الفاضل إلى مصادر القصائد الأخرى ؛ وله مع عتبنا شكرنا والسلام .

محمد ابراهيم الجيوشى

تعقيبات :

— ١ —

بين الكسائى وسيبويه :

قرأت ما كتبه الأستاذ محمد رجب البيومى ليدافع عن الكسائى فلقد تلوث الغربال بعنوان ... وهو الكسائى وصمة عار فى جبين الضاد — ويقول الأستاذ إنى قرأت ترجمته فى كثير من الكتب . ولكننى أقول له بقى كتاب لم يطلع عليه وهو بغية الوعاة للسيوطى فقد كتب فيه أسطراً فى ترجمة الكسائى ونقل عن ابن الأعرابى ، قال : كان الكسائى أعلم الناس ضابطاً عالما بالعربية قارئاً صدوقا إلا أنه كان ... ... والحياء يمنعنى أن أسطر ما كتبه فراجع صفحة ٢٣٦ . أما سيبويه وحكايته مع الكسائى فسوف يكون فى مقال آخر إن شاء الله .

— ٢ —

الدكتور جمال الدين الرمادى

العلم والعمل فى الإسلام

قرأت مقال الدكتور أيضاً فراقنى أسلوبه وقدرت نفسيته التى صورت هذا المقال إلا أننى كنت أنتظر أنه لا يكتب حديثاً إلا إذا راجع مظان الأحاديث فإنه يكتب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى مجلة الأزهر ولها شهرة عالمية كما لا يخفى فلا يصح أن يكون مصدراً لذكر أحاديث تكلم فيها بالوضع ، مع أننى أكرر وأقول إن مقاله فى مستوى رفيع وهو المطلوب من العلماء فلا غبار على الأسلوب وملاحظتى على ذكره للأحاديث التى ذكرها ، فمنها أنه كتب وقال : (من طلب الدنيا فعليه بالعلم ومن طلب الآخرة فعليه بالعلم) هذا كله لم يسمع من الأفواه ولم يذكر فى كتاب أنه حديث وإذا كان قد ذكر على أنه حديث فليبين ، ولا يصح التساهل. فقد جاء الوعيد فى التساهل ، كذلك ذكر حديث (إذا أتى على يوم لا أزداد فيه علما يقربنى إلى الله عز وجل فلا بورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم) وقد نبه عليه جلال الدين السيوطى فقال منكر لا أصل له . والحكم كذاب يروى الموضوعات .

وقال ابن عدى لا يروى عن الزهرى غير الحكم ثم عقب عليه فى صفحة ١٠٩ فى كتاب اللآلئ المصنوعة والعلم ليس فى حاجة إلى ذكر أحاديث لم تصح فحسبه قوله جل ذكره . « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ... ولنا كلمة أيضاً فى مقال الأستاذ الشرقاوى فى القهوة سنذكرها فى مناسبة قادمة بعون الله تعالى ؟ .

سيد على الطوبجى

ذكرى الرافعى :

لم ألق فى الأدباء مثلك (مصطفى)
تحكى براعته الحسام المرهفا
تحمى حمى أم اللغات بجده
وتذود عنها من بغى وتعسفا
قول كآيات الكتاب تنزلت
قد جل حسن بيانه أن يوصفا
كالصبح نوراً والنسائم رقة
والدر نظما والربيع مفوفا
ألقى البيان قياده لك تنتقى
منه - كما شئت - الأرق الألطفا

* * *

يا ناصر الفصحى بقولك لم تكن
متصنعا فيه ولا متكلفا
أعليت بالأدب الرفيع لواءها
فهفا على العرب الكرام ورفرفا
وأعدته شعبا قويا بعد ما
قد كان أوهى ما يكون وأضعفا
فلتبق ذكراك الكريمة بيننا
فهى الأحق بيومها أن يحتفى

عبد الرحمن نجا

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

باب الفتاوى :

من أضابير لجنة الفتوى

بشرف عليه : ابراهيم محمد الأصيل

السؤال :

الجمع بين صلاة المغرب والعشاء لعذر المطر

جماعة جمعوا بين صلاة المغرب والعشاء بسبب غزارة المطر وصلوا العشاء قبل المغرب ، بحجة أن وقت المغرب قد فات لأنهم صلوا بعد وقت العشاء .

فهل صلاتهم صحيحة وفى أى المذاهب تصح وأيها تبطل ؟

عبد العزيز عبد الله القطيفى ـ الكويت

الجواب :

مذهب الإمام أحمد رضى الله عنه جواز الجمع بين المغرب والعشاء خاصة للمطر تقديما وتأخيراً بشرط أن ينوى الجمع فى وقت المغرب قبل خروجه بما يسع الصلاة ليتميز التأخير المشروع عن التأخير تعدياً ، فإن لم ينو كان متعدياً بتأخيرها وكان فعلها فى وقت العشاء قضاء .

وعلى كل : سواء فعلت مع العشاء أداء العذر أى نوى التأخير قبل خروج وقتها أو قضاء فإنه يجب الترتيب بين المغرب والعشاء لأن الفعل يحاكى استقرارها فى الذمة ، وحيث ثبتت فى الذمة مترتبة فإنه يجب فعلها كذلك مترتبة . فإن خالف وعكس الترتيب بأن صلى العشاء قبل المغرب كما فى مسألتنا كان فعل العشاء باطلا يجب فعلها ثانيا بعد صلاة المغرب.

ومذهب الشافعية عدم جواز الجمع تأخيراً بالمطر وعليه ففعل المغرب مع العشاء فى وقت العشاء لا يكون إلا قضاء . والترتيب فى فعل المقضيات مندوب خروجا من خلاف من أوجبه لا واجب ، فإذا صلى العشاء أولا والمغرب ثانيا وقعت صحيحة وإن لم يأت بالمندوب .

ومذهب الحنفية عدم جواز الجمع إلا فى الظهر والعصر تقديما بعرفة والمغرب والعشاء تأخيراً بمزدلفة فلا يجوز الجمع عندهم فى غير ذلك ، وعليه ففعل المغرب فى وقت العشاء فى غير المزدلفة يعتبر قضاء ، والترتيب واجب إن كان من أهل الترتيب بأن لم يترك فى حياته ست صلوات ولو من أيام متفرقة لسهولته عليه حينئذ فإن لم يكن من أهل الترتيب بأن اجتمع عليه ست صلوات فأكثر سقط وجوب الترتيب وله أن يصليها كيف شاء ، فإذا صلى العشاء قبل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المغرب حينئذ وقعت صحيحة لعدم وجوب الترتيب .

ومذهب المالكية عدم جواز الجمع بين المغرب والعشاء تأخيرا بالمطر فتأخير المغرب إلى وقت العشاء موجب للإثم والترتيب بينهما واجب بحيث لو فعل العشاء قبل المغرب كانت العشاء باطلة .

وهذا هو حكم المسألة فى المذاهب الأربعة كما طلب السائل .

الغسل مع صبغ الشعر وتخضيب الأظفار والحمل الصناعى

السؤال :

١ — هل الشارع يمنع الحائض أثناء الحيض من صبغ شعرها وتخضيب أظفارها وإن فعلت لا يصح لها غسل لامتناع وصول الماء للشعر والظفر لكونهما تخفيا وهما بحالة غير طاهرة ؟

٢ — تقدم الطب الذى تمكن من إعطاء مصل منوى للمرأة بطريقة الحقن تحمل بواسطته طفلا وتنجب أولاداً فما رأى الشرع ؟

مدير الأشغال العامة بطرابلس ـ لبنان

الجواب :

عن الأول نفيد بأن الأصباغ التى يصبغ بها الشعر ويبقى أثرها لا تمنع فيه الطهارة فى الوضوء والغسل سواء أثناء الحيض أو أثناء الطهر منه وأن الأصباغ التى يخضب بها النساء أظافرهن الآن لا تمنع الطهارة فيها وقد نص الحنفية فى باب الغسل كما فى شرح الدر على أنه لا يمنع الطهارة ما على ظفر الصباغ كما نص الشافعية فى هذا الباب كما فى حاشية الباجورى على شرح ابن قاسم على أنه : « يجب إزالة ما على اليدين من الحائل كالوسخ المتراكم من خارج إن لم يتعذر فصله ، وإلا لم يضر لكونه صار كالجزء من البدن » .

ولا شك أن إزالة الخضاب فى كل وضوء وغسل متعذر فيصح وضوءهن وغسلهن دون أن يكلفن إزالة هذه الأصباغ .

وأما عن السؤال الثانى فنفيد: بأن التلقيح الصناعى المذكور فى السؤال محرم شرعا وفيه من اختلاط الأنساب ما لا شك فيه فيحرم قطعاً سواء رضى الزوج به أم لم يرض .

أجرة مكث الماشية فى السوق

السؤال :

اشترى شخص من الجزائر سوقا من الحكومة وهذه السوق تستعمل فى بيع المواشى فيحضر البائع ماشيته ليبيعها فى هذه السوق ، ولمالك السوق الحق فى أخذ مبلغ معلوم على كل رأس تدخله . فهل المبلغ المعلوم هذا حلال أم حرام ؟

ميساوى الأخضر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الجواب :

هذه أجرة جائزة على مكث الماشية فى السوق يوم البيـــع والشراء ولا يضر فى ذلك تفاوت المدة طولا وقصراً لجريان العادة بذلك ورضا الناس به ما دامت الأجرة معلومة كما ذكرت .

إقراض المصوغات المنضبطة وزنا وعيارا

السؤال :

أرادت سيدة أن تقترض من أخرى مبلغا هو خمسون جنيها ولكن السيدة الثانية لم يكن معها سوى ٢٠ فقط ، فألحت الأولى كثيرا لتقترض من الثانية بما استدعى الثانية أن تعرض عليها بيع بعض المصوغات لسد حاجتها ، وفعـــلا اتفقنا على أن تبيع الثانية الذهب ولما ذهبنا إلى الصائغ وجدت السيدة الثانية أنها إذا باعت الأساور سوف تخسر جـــزءا من قيمتها عند الاسترداد فعرضت عليها الأولى أن توفى بجميع المبلغ بما فيه الخسارة وفعلا بيع ما قيمته ١٨ قيراطا من الذهب على أن يرد ثانية عند الوفاء ١٨ قيراطـــا ثم حـــدث عند الوفاء أن زادت قيمة هذا القدر عن المبيع سبعة جنيهات مصرية .

والسيدة الثانية تسأل عن حكم أخذ هذه الزيادة ؟

محمد على

الجواب :

الأساور الآن منضبطة وزنا وعيارا وصنعة بسبب ما يوجد حول هذه الصنعة من الاحتياط وبمغ المنضبط الصحيح عياره منها دون غيره فيجوز حينئذ إقراضها على أن يرد مثلها وزنا وعيارا وصنعة وإن ارتفع الثمن وقت التسديد عن وقت الاقتراض .

القتل الخطأ

السؤال :

كنت سائقا سيارتى الخاصة وفى أثناء سيرى بها صادفنى شخص يركب دراجـــة فاصطدم بالعـــربة دون خطأ منى مما أدى إلى قتله

وأريد أن أعرف حكم الشرع فى هـــذه المسألة حتى لا أسأل عنها أمام الله ؟

ح ـ ب ـ عنابة ـ الجزائر

الجواب :

صاحب السيارة إذا لم يتمكن من تفادى هذا الصدام بأى وجه من الوجوه يكون لا دخـــل له فى القتل وحينئذ فلا شىء عليه ولا تلزم الدية . أما إذا كان يستطيع أن يتلافى هذا الصدام بوجه من الوجوه ولكنه لم يفعل يكون عنده نوع من التقصير فتكون الدية مناصفة نصفها عليه والنصف الآخـــر يسقط عنه .

ويكون عليه كفارة القتل الخطأ وهـــو صوم شهرين متتابعين فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا لكل مسكين مد من الطعام .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بين الصحف والكتب

اختيار وتعليق : الأستاذ عبد الرحيم فودة

تمكين الحق

إن إرادة الله كانت تحتم تمكين الحق من السلاح الأقوى لكى يستطيع أن يعلى كلمة الله بنصره .

وفى نفس الوقت بذلتم جميعاً هناك أخلص الجهود وأكرمها لكى لا تسيل على أرض اليمن دماء غزيرة ، ولقد كان سلاحكم قادراً ـ لو تركتم له العنان ـ أن يسيل دماء بغير حساب ، لكن العقاب لم يكن غايتكم ، لقد كنتم هناك أصدقاء الحياة ولم تكونوا أعداءها .

وإنى لأعلم أن كثيرين من شهدائنا الأبرار الذين جادوا بالدم الزكى على أرض اليمن راحوا ضحية محاولتهم تجنب سفك المزيد من الدماء ، وكشفوا أنفسهم للعراء أمام كل فرصة لاحت للسلام .

لقد وضعتم الدعوة جنبا إلى جنب مع طلقة الرصاص ، وفتحتم قلوبكم قبل أن تفتحوا نيران مدافعكم ، ووصلت رسائلكم بكلمة الهدى تسبق طائراتكم ، كل ذلك حرصا على الحياة ، وفهما عميقا للمرحلة التى تجتازها أمتكم وفيها من يسعى على أرضها بالضلال والتضليل ويترك للمخدوعين أن يدفعوا وحدهم ثمنها . .

الرئيس جمال عبد الناصر

من خطابه فى الاحتفال بعودة الأبطال

« جريدة الأهرام »

بنو الإنسان

والمجتمع الإسلامى لا يهدم من كيان الاجتماع الذى استفاده بنو الإنسان من أطوار حياتهم الاجتماعية فى الحقب الطوال ، لأن المفهوم من سير الهداية الإلهية كما يسردها القرآن الكريم أن حياة النوع الإنسانى تاريخ متصل يتم بعضه بعضا . وتنتهى إلى التعارف بين الشعوب والقبائل فى أخوة عامة لا فضل فيها لقوم على غيرهم إلا بالعمل الصالح ، ولهذا يحرص الإسلام على كيان الاجتماع فى الشخصية الفردية وفى الأسرة وفى الإيمان بوحدة النوع ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولا يهدم بنية من هذه الأبنية الحية التى « تحققت » لتعيش بين القوى العاملة فى المجتمع لا لتهدم وتندثر فى حقبة بعد حقبة كأنها من الشرور التى تولد على الرغم منا . وتعود كلما استأصلناها كرة بعد كرة ولا ندرى من أين تعود . .

عباس محمود العقاد
من كتاب الشيوعية والإنسانية

بعد الفتح بالقلم

قالوا غزوت ، ورسل الله ما بعثوا
لقتل نفس ولا جاءوا لسفك دم
جهل وتضليل أحلام وسفسطة
فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم
والشر إن تلقه بالخير صقت به
ذرعا وإن تلقه بالشر ينحسم

« شوقى »
من الشوقيات

قيم الحضارة العربية

.. والقيم التى تستطيع الحضارة العربية ويستطيع العرب أن يفيئوها على البشرية تتناول جوانب الدنيا كلها ، ولكن منها قيما ثلاثة نعتبرها محاور الحضارة العربية أو معالم الحياة الإنسانية كما يتصورها العرب ويؤمن بها ، وهذه القيم هى :

أولا : الإيمان بالقوى الروحية ، وإذا كانت الحضارات المعاصرة قد نعمت فى فترات من تاريخها بالانقياد لتعاليم الديانات السماوية ، فإن الحياة الواهية لشعوب الغرب اليوم لا تفسح مكانا للديانات . أو القوى الروحية ، وكان من ذلك ما يعرفه كل أحد من سيادة القيم المادى للحياة والأحياد ، وانتزاع الأمن والرضا . واختفاء السعادة الإنسانية الأصيلة من حياة الناس .

ونحن العرب نؤمن دائما بالله .. وبالغيب . وبالآخرة . وبالقيم الروحية التى تميز الإنسان باعتباره نفحة من روح الله ، ونؤمن بأن تجديد هذا الإيمان فى نفوس العرب أولا . ثم فى نفوس الناس كلهم ثانيا هو مفتاح السر الذى يفتح آفاق الخير والحضارة الإنسانية الحقة أمام الشعوب كلها . .

ثانيا : الإيمان بالإنسان ، وإذا كانت الحضارات كلها تدعى إيمانها بالإنسان فإننا نحن العرب نستمد هذا الإيمان من تصور خاص للإنسان باعتباره مركز هذا الكون ومحوره ، وباعتباره صاحب الخلافة عن الله فى أرضه ، وإيماننا بالإنسان يتخذ — فوق ذلك — صورة الحرص على تكريم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الفرد ، واحترام ذاته ، وتقديس حريته ، لأن الله تعالى يعامله على هذا النحو فيقول « ولقد كرمنا بنى آدم » ثم يقيم شريعته كلها على أساس هذا التكريم ، فيقرر له حرية اختيار العقيدة والفكرة ، ويحمى حياته وماله وحرفته من الأذى والعدوان . وإذا كانت مشكلة الحضارات ليست فى جملتها سوى مشكلة الإنسان ... فإن هذا التقييم الخاص للإنسان كفيل فى الحقيقة بحل أزمة الحضارة المعاصرة .

ثالثا : الإيمان بالسلام ، والدعوة إليه .. وهذه القيمة مستمدة هى الأخرى من أديان السماء ، فالمسيحية جاءت سلاحا خالصا للناس والاسلام يستمد اسمه من السلام ، ويجعل تحيته السلام ، ويجعل الأصل فى علاقات الناس حتى مؤمنهم وكفارهم هو السلام فيقول « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها » .

والدنيا اليوم عامرة بالحقد والعداوة والبغضاء ، ونفوس الناس مستعرة بنار هذه الأحقاد ... وهيهات أن يصنع السلام أمثال هؤلاء ... أما عن العرب فندعوا إلى إقامة السلام داخل النفس البشرية أولا ... حتى إذا توافقت طاقاتها على الخير كان من الطبيعى أن تصنع السلام العالمى وأن تمكن له؟

دكتور احمد كمال أبو المجد

من مجلة الرابطة الاسلامية

الحياة للأقوياء :

إننا لا نريد أن تساس مصر بأسلوب هؤلاء الفلاسفة ، وإن كنا نرحب بهذا الأسلوب على أنه لون من ألوان الثقافة النظرية يضيف إلى أذهاننا معلومات ، وإنما نريد أن تساس بأسلوب الحياة التى لا تحترم إلا القوة ، ولا يعيش فيها إلا الأقوياء ، وإذا كنا مع دولة (صدقى باشا) فى أنه يجب الاعتماد على أنفسنا والعناية بشئوننا الخاصة ، وعدم الاسراف فى العاطفة نحو جيراننا . فإننا مع ذلك يجب ألا نتخلى عن التبعات الثقيلة التى ألقتها الأقدار على عاتق مصر من قديم ، فاضطلعت بها فى صورة كريمة مشرفة يزدان بها تاريخها المجيد ، فقد حطم التتار بغداد وقوضوا صروح حضارتها ، ثم اندفعوا يهلكون الحرث والنسل إلى أن جاء دورهم مع مصر فحطمتهم وأنقذت الشرق من شرورهم وأخطارهم ، وقد انتزع الصليبيون بيت المقدس من المسلمين ، وظل فى أيديهم أحقابا طوالا ، ثم جاء دور مصر معهم فردتهم على أعقابهم ، واستردت منهم هذه الوديعة التى أؤتمن عليها المسلمون والعرب .

ع . ف

من مقال بجريدة الزمان

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فهـرس

صفحة	
١	أمة التوحيد تتوحد للأستاذ أحمد حسن الزيات
٥	فى مطلع العام الهجرى للأستاذ الإمام الأكبر شيخ الأزهر
٧	المدد فى اللغة العربية للأستاذ عباس محمود العقاد
١٢	مناهج الإسلام لتقوية روابط الأسرة ـ ٤ ـ للأستاذ محمد محمد المدنى
١٦	العبث بالتأريخ الصحيح ضلالة فى الدين للأستاذ عبد اللطيف السبكى
٢١	المحرم والسنة العربية وعاشوراء للأستاذ الدكتور على عبد الواحد وافى
٢٦	الإسلام والمدنية الحديثة ـ ٢ ـ للأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود
٢٩	وحدة الشاعر : للأستاذ الموضى الوكيل
٣٤	المجتمع الاشتراكى فى ظل الإسلام ـ ٢ ـ للأستاذ عبد الرحيم فودة
٣٨	حروف القرآن وحدوده للأستاذ محمود الفرقاوى
٤٣	من معانى القرآن للأستاذ عبد الرحيم فودة
٤٤	من روائع المثنى بن حارثة للأستاذ محمد رجب البيومى
٥٢	محاولة لبعث القديم للدكتور أحمد كمال زكى
٥٩	التنافس السلمى حول الثقافة فى الإسلام للأستاذ حسن فتح الباب
٦٥	بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية ـ ٦ ـ للأستاذ محمد محمد أبو شهبة
٧٠	التصوير السياسى فى شعر ذكريات الهجرة الحديث للدكتور سعد الدين الجيزاوى

صفحة	
٧٨	الإسلام فى المعركة ضد الجوع للأستاذ فتحى عثمان
٨٣	البابية أو البهائية ـ ٢ ـ للأستاذ محمد ابراهيم الجيوشى
٩١	وحدة الهدف أولا . . ! للأستاذ عبد المنعم خفاجى
٩٦	طبيعة العصر العربى ـ ٣ ـ للدكتور عبد الله الطيب
١٠٣	سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله للأستاذ عباس طه
١٠٨	ماقيل عن الإسلام : الإسلام فى تاريخ العالم للأستاذ عباس محمود العقاد
١١٢	الكتب : للأستاذ محمد عبد الله السمان منهج الإمام محمد عبده فى تفسير القرآن ـ النبى محمد ـ شرح القصيدة النونية ـ فى أصول الحديث
١١٧	أنباء وآراء : حول موضوع التبشير فى أندونيسيا ـ حول مقال الثورة الوطنية والفنية فى شعر أحمد محرم ـ تعقيبات بين الكسائى وسيبويه ـ العلم والعمل فى الإسلام ـ ذكرى الرافعى
١٢١	الفتاوى : للأستاذ إبراهيم محمد الأصيل الجمع بين صلاة المغرب والعشاء لعذر المطر ـ الغسل مع صبغ الشعر وتخضيب الأظفار والحمل الصناعى ـ أجرة مكث الماشية فى السوق ـ إقراض للصوغات المضبطة وزنا وعيارا ـ القتل الخطأ
١٢٤	بين الصحف والكتب : تمكين الحق ـ يبنى ولا يهدم ـ بعد الفتح بالقلم ـ قيم الحضارة العربية ـ الحياة للأقوياء

مطبعة الأزهر

الثمن أربعون مليما

(رقم التليفون الجديد للمجلة : ٩٠٥٩١٤)